


بين التاريخ والواقع

الجزء الثاني

تأليف

دكتور راغب السرجاني






الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

بطاقة الفهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة
لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

السرجاني، راغب .
بين التاريخ والواقع / تأليف راغب السرجاني. ط١- القاهرة
مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠٠٩
(٢٠٨ص)، ٢٤ سم
تدمك: ٣ - ٦٠٢ - ٤٤١ - ٩٧٧
١ - العالم - تاريخ
أ - العنوان
٩٠٩

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/٢٤٤٤٥

مركز السلام للتجهيز الفني
عبد الحميد عمر
٠١٠٦٩٦٢٦٤٧

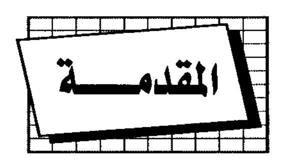
مؤسسة اقـــرأ

للنشر والتوزيع والترجمة

١٠ ش أحمد عمارة - بجوار حديقة الفسطاط

القاهرة ت: ٢٥٣٢٦٦١٠ محمول: ٠١٠٢٣٢٧٣٠٢ - ٠١٢٦٣٤٤٠٤٣

Email:iqraakotob@yahoo.com



إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدًا.. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

ثم أما بعد..

فإنه قد تبين لي بعد دراسة أحسبها مستفيضة، واطلاع لا بأس به، أنه لا جديد على الأرض!!.. فالتاريخ يكرر نفسه بصورة عجيبة.. ونفس الأحداث نراها من جديد رأي العين، فقط باختلاف يسير، يكاد لا يتعدى الأسماء و الأمكنة..

ولذلك فالمتعمق في التاريخ يقرأ ببساطة ما يحدث على وجه الأرض من أمور، ولا يُخدع بسهولة، مهما تفاقمت المؤامرات، ومهما تعددت وسائل المكر والمكيدة.. فهو وكأنه فعلاً يرى المستقبل!! إنه يعرف بوضوح أين يضع قدمه، ويعرف كذلك كيف يقود نفسه ومجتمعه وأمته.. فهو كالشمس الساطعة، تنير الطريق لأجيال تتلوها أجيال، وقد يمتد أثره إلى يوم تقوم الساعة، كيف لا؟!.. وقد ذكرنا من قبل أنه لا جديد على الأرض..

ويكفينا للدلالة على أهمية التاريخ أن نفقه الأمر الإلهي الحكيم: ﴿**فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: ١٧٦]، فقصُّ القصة، أو رواية الرواية، لا يغني شيئاً إن لم يُتبَع بتفكر.. ودراسة التاريخ ليست دراسة تكميلية أو جانبية أو تطوعية، إنما هي ركن أساسي من أركان بناء الأمة القوية الصحيحة.

في جمعنا بين التاريخ والواقع نعرض لأمور لا تستقيم حياة المسلمين بغيرها، فنحن نعرض لأمور من العقيدة، وأمور من الفقه، وأمور من الأخلاق، وأمور من المعاملات، وأمور من الأحكام.. ونعرض كذلك لفقه الموازنات، وفقه الأولويات، وفقه الواقع.. أو إن شئت فقل: نعرض لكل أمور الدين..



هكذا علمنا الله ﷻ في كتابه الحكيم، فهو يقص القصة، ويعرض فيها الحُجَّة التي تقنع العقل، ثم يعرض فيها الرقيقة التي تلمس القلب، وقد يعرض فيها أمراً عقائدياً، وقد يعرض فيها حكماً فقهيًا، ثم هو يربط القديم بالحديث، والتاريخ بالواقع، والماضي بالحاضر.. فتشعر أن التاريخ حيٌ ينبض، ولسانٌ ينطق.. وتكاد تجزم أنه لا يحدثنا عن رجال ماتوا ، ولا عن بلاد طواها التاريخ، إنما هو يحدثنا عن أحداثنا، وينبئنا بأنبائنا، ويخبرنا بأخبارنا.

والتاريخ – من هذا المنظور – ثروة مدفونة تحتاج إلى بذل مجهود، وتفريغ وقت، وحشد طاقات، وتحتاج إلى عقول وقلوب وجوارح.

لقد واجه المسلمون في تاريخهم كل أشكال المآزق والمحن والمشكلات، كما واجهوا عديدًا من الأعداء، وقد أثمر ذلك تجارب ضخمة تضم في ثناياها ما واجهته البشرية على مدار تاريخها الطويل.

وقد قامت الحضارة الإسلامية في بقاع مختلفة من العالم: في الشرق والغرب، والشمال والجنوب، وكان تنوع الأصول العرقية للمسلمين دافعًا لتنوع الثقافات، ومع ذلك فإنَّ الدين الإسلامي قد صهر الجميع في بوتقة واحدة يشعر الجميع فيها بشعور واحد؛ فيفرحون لنفس الأسباب، ويحزنون لنفس الأسباب؛ فهي إذن أمة واحدة منحت البشرية رصيدًا ضخمًا من التجارب الإنسانية.

والتاريخ الإسلامي هو –ولا شك في ذلك– أنقى وأزهى وأعظم وأدق تاريخ عرفته البشرية، وسعدت الدنيا بتدوينه... فالتاريخ الإسلامي هو تاريخ أمة شاهدة ، وأمة خاتمة، وأمة صالحة، وأمة تقية نقية، وهو تاريخ أمة آمرة بالمعروف، ناهية عن المنكر، داعية إلى كل خير، محاربة لكل شر.

التاريخ الإسلامي هو تاريخ رجال ما عرف التاريخ أمثالهم أبداً، فهم رجال فقهوا دينهم ودنياهم، فأداروا الدنيا بحكمة، وعيونهم على الآخرة.. فتحققت المعادلة الصعبة العجيبة: عزٌ في الدنيا، وعزٌ في الآخرة، ومجد في الدنيا، ومجد في الآخرة، ومُلك في الدنيا، ومُلك في الآخرة.

التاريخ الإسلامي هو تاريخ حضارة جمعت كل مجالات الحياة في منظومة رائعة راقية، جمعت الأخلاق و السياسة و الاجتماع و الاقتصاد والمعمار والقضاء والترفيه والقوة والإعداد والذكاء والتدبير.. جمعت كل ذلك جنباً إلي جنب مع سلامة العقيدة، وصحة العبادة، وصدق التوجه، ونبل الغاية.. وصدق الله تعالي إذ يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

هذا هو التاريخ الإسلامي في أصله وجوهره..

ولا يمنع ذلك أن هذا التاريخ العظيم يحوي أخطاءً، بعضها عظيم، ويشمل عيوباً بعضها خطير، وإنه لمن العبث أن ندعي أنه بياض بلا سواد.. و نقاء بلا شوائب، لكن من الظلم البين أن نلصق أخطاء المسلمين بدين الإسلام.. فالإسلام دينٌ لا ثغرة فيه، ولا خطأ فيه، ولا عيب فيه.. فهو دين مُحكَم تام كامل، أنزله الذي يعلم السر وأخفى.. سبحانه هو الحكيم الخبير.. ومن خالف دين الإسلام من المسلمين فوباله على نفسه، وليس على الإسلام..

وكثيرًا ما يخالف الناس فتحدث هزات وسقطات، لكنها ما تلبث أن تتبع بقيام، وذلك إذا ثابوا إلي رشدهم، وعادوا إلي دينهم، وإلا استبدلهم القوي العزيز بغيرهم من المجاهدين الصابرين الطاهرين..

ثم وقفة وسؤال!!

هذه الثروة الثمينة، وهذا الكنز العظيم.. ثروة التاريخ الإسلامي الطويل..

مَن مِن البشر في زماننا أَمِنَّاه عليها؟!

مَن مِن البشر أعطيناه مفاتيح الكنوز التاريخية لينقب فيها ويستخرج جواهرها ؟!

مَن مِن البشر أسلمناه أُذُننا و عقولنا وأفئدتنا ليلقي عليها ما استنبط من أحكام وما عقله من أحداث؟!..

وا عجباً لأمتنا!! .. لقد أعطت ذلك لحفنة من الأشرار.. طائفة من المستشرقين

الأجانب، وطائفة من المفتونين بهم من أبناء المسلمين!!.. لقد تسلم هؤلاء كنز التاريخ، لينهبوا أجمل ما فيه، وليغيروا ويبدلوا ويزوروا !!.. حتى خرج التاريخ إلينا مسخًا مشوهًا عجيبًا.. وقُطعت بذلك حلقة المجد، وانفصل المسلمون في حاضرهم عن ماضيهم، كما تنفصل الروح عن الجسد تماماً بتمام..

لقد انتبه الشباب فوجدوا بين أيديهم سجلاً حافلاً من الصراعات والمؤامرات والخيانات والسرقات.. صفحات سوداء تتلوها صفحات أكثر سوادًا.. واحتار الشباب في تاريخهم، أيمسكونه على هونٍ، أم يدسونه في التراب ؟!! ..

يا للجريمة البشعة!!

فويلٌ ثم ويل لمن افترى على الله كذبًا ليضل الناس بغير علم ..

وويل ثم ويل لأبناء المسلمين الذي فتنوا بمناهج العلمانية، فصاغوا التاريخ صياغة مشوهة مزورة محرفة، فحرموا المسلمين من أمثلة عملية تطبيقية رائعة لكل أمر من أمور الدين..

وويل ثم ويل لمن يقدر على التصحيح فلم يفعل ، ولمن يقدر على التوضيح و التبيين فلم يفعل.. ولمن يقدر على النصح والإرشاد فلم يفعل..

يقول جابر بن عبد الله ﷺ: (إذا لعن آخر هذه الأمة أولها، فمن كان عنده علم فليظهره، فإن كاتم العلم يومئذٍ ككاتم ما أنزل على محمد ﷺ)..

إن التاريخ الإسلامي ليس قصصًا للتسلية، وليس كذلك سبيلاً للفخر بأمجاد المسلمين الأوائل في أوقات قوتهم دون أن نتعلم منهم كيف أسسوا الدول والحضارات، وإنما هو – في حقيقته – دروس نتعلم منها كيف نقرأ الحاضر ونصنع المستقبل، ونعرف منها ماذا يريد أعداؤنا منَّا على الحقيقة، ونعرف لماذا علا أسلافنا في عهود قوتهم، ولماذا انتصر عليهم العدو في أوقات الضعف، ولماذا كانت تلك القوة، وكان ذلك الضعف من الأساس.

وبين أيدينا هذه المحاولة الطيبة التي تسعى لربط التاريخ بالواقع، والتي نُشِرت وما زالت تُنشَر على موقع (قصة الإسلامislamstory.com (لتتجلَّى الحقائق ناصعة أمام أعين الجميع، وليبصر من أراد البصر، وآتاه الله البصيرة؛ فيحيا من حيَّ عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة.

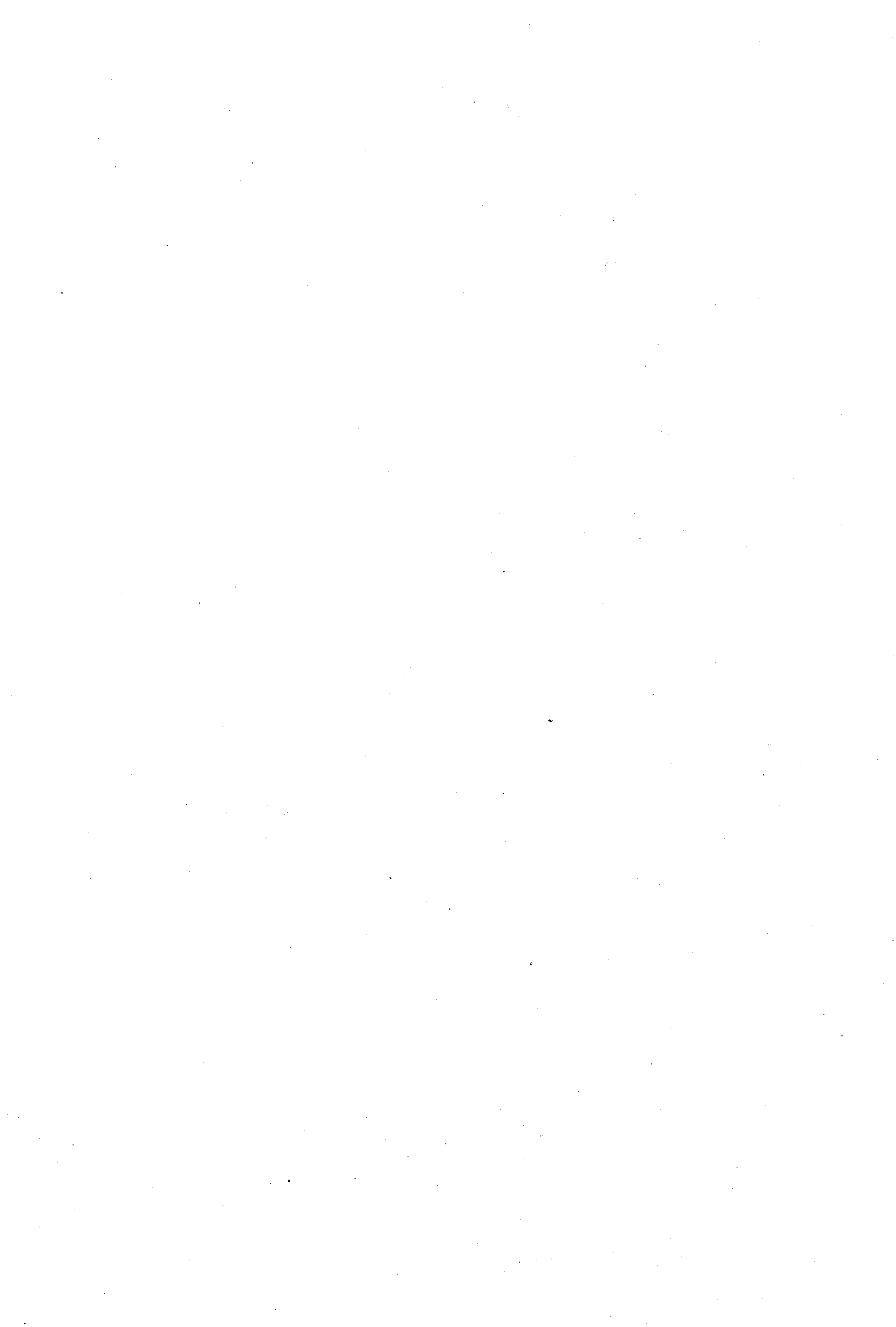
والله أسأل أن يتقبَّل مني، ومن كل من أسهم في نشر هذه المادة، كما أسأله سبحانه أن ييسر لنا جميعاً الفقه لتاريخنا وواقعنا، وأن يستعملنا لخدمة شرعه، ورفعة دينه.. إنه ولي ذلك والقادر عليه..

فستذكرون ما أقول لكم، وأفوض أمري إلى الله، إن الله بصير بالعباد..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الدكتور / راغب السرجاني

***



(١)

أصحاب الأخدود في غزة!![1]



لعل المتابع لحصار إخواننا المسلمين في غزة يجد أوجه الشبه كبيرة بينه وبين ما أخبرنا ربنا ﷻ في سورة البروج من حصار للمؤمنين في قرية من قرى اليمن، ثم إبادتهم جميعًا عن طريق التحريق. قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۞ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۞ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۞ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۞ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۞ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۞ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۞ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۞ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ واللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ١-٩].

وإذا كان التحريق الذي حدث أيام أصحاب الأخدود قد تمَّ بالحطب والأخشاب، فهو يتم الآن على نطاق واسع بالقنابل والصواريخ وقاذفات اللهب والأسلحة المحرمة دوليًا. وإذا كان المُحاصِرون للمؤمنين في قصة الأخدود هم مجموعة من الكفار الظالمين، فالمُحاصِرون اليوم طائفة من أشد الناس عداوةً للمؤمنين، وهم الذين قُرنوا مع المشركين في عداوتهم للمسلمين، بل بدأ الله بهم ليشير إلى شدة ظلمهم وعدوانهم؛ قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

إن الشيء الوحيد الذي ذكره ربنا ﷻ ليكون سببًا لكراهية المشركين للمؤمنين هو

---

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٢١/١/٢٠٠٨م.

إيمان المؤمنين بالله؛ فقال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨].

واليوم لا يتم الحصار إلا للذين أعلنوا أنهم من المؤمنين، أمّا الذين تبنَّوا مناهج علمانية أو شرقية أو غربية أو باعوا القضية تمامًا، وباعوا كل المناهج فإنهم في بيوتهم آمنون!!

لكن مع شدة الشبه بين حصار أصحاب الأخدود وحصار إخواننا في غزة إلا أن هناك فروقًا ضخمة بين القصتين تجعلنا نقف وقفةً للتدبر..

فحصار أصحاب الأخدود حدث لطائفة من النصارى المؤمنين، وحدث وسط صمت عالمي من عموم النصارى، وهذا الصمت له ما يبرره؛ فالطوائف النصرانية تختلف فيما بينها اختلافًا جذريًّا يجعل الرابطة القلبية بينها منعدمة، فما أكثر الحروب بين الكاثوليك والأرثوذكس، وبين الكاثوليك والبروتستانت، وبين الكنيسة الأرثوذكسية والأرمنية، وبين طوائف الأرثوذكس نفسها!! وهكذا مما ذكره ربنا في قوله:

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤].

إن الله ﷻ كتب أن تظل العداوة بين قلوب النصارى إلى يوم القيامة، وهذا قد يبرر عدم انتفاض النصارى من هنا وهناك للدفاع عن إخوانهم في اليمن عند تحريقهم بالنار، ولكن ما عذر المسلمين في سكوتهم عما يحدث في فلسطين وقد ألَّف الله ﷻ بين قلوبهم، وعدَّ هذا التأليف نعمةً أغلى من كل ما في الأرض؟!!



قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].

بل إن الله ﷻ جعل هذه المودة والألفة شرطًا لدخول الجنة، فلا يصلح أن ندخل الجنة دون أن نحب إخواننا..

قال رسول الله ﷺ: «**وَاللهِ لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا...**»(١).

ما عذرنا في تركهم في حصارهم، وكان من المفترض أن يكون ألمنا كألمهم، وإصابتنا كإصابتهم، وجرحنا كجرحهم؟!!

قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»(٢).

إنه إن عُذِر العالم النصراني في ترك أصحاب الأخدود يحرقون قديمًا، فلا يُعذر المسلمون لترك إخوانهم في غزة يُحاصَرون ويُقتلون!!

ثم إن العالم في أيام أصحاب الأخدود كان لا يسمع بالقصة إلا بعد انتهائها؛ فالمسافات بعيدة، والاتصالات منعدمة، أما الآن فنحن نشاهد الحريق وقت حدوثه، والقنبلة وقت سقوطها، والشهيد وقت ذبحه، والدار وقت هدمها، فما عذرنا؟!

لا أشكُّ أن السؤال أمام الله ﷻ عن هذا الحصار سيكون طويلاً!

لا أشك أنه سيكون عسيرًا!

ولا بد لكل مسلم أن يُعِدَّ للسؤال جوابًا!

إنه ليس أقل لكل مسلم أن يرفع يده بالدعاء لإخواننا هناك أن يثبِّت الله أقدامهم، ويفك حصارهم، وينصرهم على عدوهم..

إنه ليس أقل لكل مسلم أن يُسهِم في تخفيف كوارثهم بما يستطيعه من مال ونفقة، فهو جهاد حقيقي في سبيل الله..

---

(١) رواه مسلم (٥٤)، وأبو داود (٥١٩٣)، والترمذي (٢٥١٠)، وابن ماجه (٦٨)، وأحمد (١٠٦٥٨) واللفظ له.
(٢) رواه البخاري (٥٦٦٥، ٦٠١١)، وأحمد (١٨٤٠٤) واللفظ له.

إنه ليس أقل لكل مسلم أن يتحدث في كل مكان عن فلسطين، وما يحدث بها بدلاً من الحديث عن كأس الأمم الإفريقية، أو غيرها من الأحداث التافهة التي لا يستقيم لأمة تُذبح أن تتحدث عنها.

ثم إنه ليس أقل لكل مسلم أن يعود من جديد لتفعيل مقاطعة أي منتجات يهودية أو أمريكية؛ فليس من المعقول أن يزور بوش البلاد الإسلامية ليدعم الكيان الصهيوني بكل طاقته سياسيًّا وعسكريًّا واقتصاديًّا، ثم نجد المسلم لا يستطيع أن يمتنع عن كوب من المياه الغازية أو حذاء من المصانع الأمريكية!!

إن القضية جادة، وإن الأمر جَلَل، وإن الساعة آتية لا ريب فيها، وإننا كلنا عائدون إلى الله..

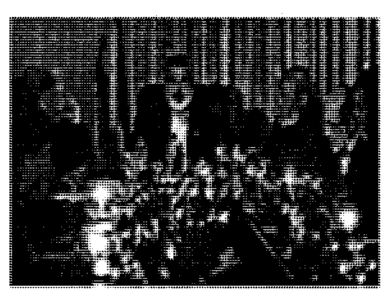
أمّا الحكام المسلمون الذين ينظرون وكأنهم لا يبصرون، والذين أَلِفوا الذل والهوان، ورضوا بالدنية في دينهم وعرضهم؛ فهؤلاء لا أشك أن حسابهم عند الله عسير، ومهما طالت بهم الأيام فلا بد لهم من وقوفٍ بين يدي مَن لا يغفل ولا ينام..

قال تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

***

(٢)

حماس في عيون أهل غزة !![1]



لقد شُغِل العالم كله هذه الأيام، والأيام الماضية بأزمة غزة، ومحنة الناس الأبرياء فيها الذين عاقبهم العالم كله -ولا أقول: الاحتلال الصهيوني- على اختيارهم الحر لحركة حماس في الانتخابات النيابية بعدما يئسوا من فساد غيرهم الذين جثموا على صدر الشعب الفلسطيني عقودًا عديدة محتكرين تمثيله، بينما هم في الحقيقة يمثلون المحتل الغاصب، وينوبون عنه في سوم الشعب الفلسطيني البطل العذاب في غزة ورام الله، ويبادرون في كل مناسبة إلى التنازل عن حقوقه التاريخية مقابل عَرَضٍ زائل من أعراض الدنيا .

ومع صعوبة الحصار، وحجم الأزمات التي حدثت للشعب الفلسطيني حتى وصلت لتعريض الأطفال الرُّضَّع ناقصي النمو للموت في حضَّاناتهم نتيجة نفاد الوقود والكهرباء؛ إلا أنه لا بد من التوقُّف للتدبر في عبر ودروس.

وقد يتعجب الإنسان من وجود استفادة من هذه الأزمة، لكن واقع الأمر أن الله ﷻ لا يُنزل المحن إلا ويُنزِل في ثناياها المنح.

ومن أهم المنح في هذا الحصار أنه كشف انطباع الشعب الفلسطيني عن الأفراد والمنظمات العاملة على الساحة الفلسطينية؛ ففي الوقت الذي كان يُتَوقَّع فيه الانقلاب الجماهيري على حماس كما أراد الاحتلال وأعوانه في رام الله؛ نتيجة الحصار والتضييق، والتخاذل الإسلامي، وقطع الكهرباء، ونقص الدواء والغذاء، كان ينتظر الانقلاب على

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٣١/ ١/ ٢٠٠٨.

من كان يحاول الاحتلال تصويره على أنه السبب في الأزمة، ولكننا فُوجِئنا -ومعنا الاحتلال وأعوانه- بأن وجدنا ترابطًا من الشعب، واحترامًا لحماس، وتبرئة لها من الأزمة.

ولعلَّ من أبرز الأدلة على ذلك بعض الدراسات الخاصة التي أُجرِيت لقياس الرأي العام، والتي ذكرت أن شعبية حماس في قطاع غزة ارتفعت بعد الإظلام الذي حدث من ٣٩٪ إلى ٤١ ٪.

وهذه الزيادة -رغم ضآلتها النسبية- تثبت أن شعبية حماس لم تقلّ، رغم كل ما وقع من أحداث.

ومما يثبت التفاف الشعب الفلسطيني حول حماس ذلك الانضباط الذي ظهر عليه الفلسطينيون عند عبورهم إلى مصر؛ فرغم أن ٨٠٠ ألف فلسطيني قد عبر إلى مصر -وهو ما يزيد على نصف سكان القطاع البالغ عددهم مليون وخمسمائة ألف تقريبًا-، فإننا لم نشهد انفلاتًا أمنيًّا، بل وجدنا انضباطًا شديدًا؛ وذلك رغم أن قوات الشرطة المصرية الموجودة بالمكان لا تزيد على سبعمائة جندي فقط حسب التصريحات الرسمية.

لو كان الشعب الفلسطيني يضيق بحماس؛ لشهدنا ما لا يُحمد عُقْباه في سيناء، ولكننا شهدنا التزامًا من الشعب الفلسطيني بإجراءات حماس في التعاون مع الشرطة المصرية لضبط الحركة على المعبر.

أمّا ما قيل إنه حدث من بعض الأفراد فهي تصرفات فردية تحدث في كل مكان، خاصةً ممن وقعوا تحت هذا الضغط الفظيع، ولو كان غيرهم لحدث منهم الكثير، وهي لا تُقاس أمام حجم الأعداد الضخمة التي عبرت.

ويتوافق ذلك التأييد الفلسطيني لحركة حماس مع نتائج الاستبيان الذي أجريناه على موقعنا حول مسئولية أزمة غزة وهل السبب فيها الكيان الصهيوني، أم حركة فتح أم حركة حماس؛ حيث حمَّلت نسبة ٥٠ ٪ تقريبًا من المشاركين في الاستبيان المسئولية للكيان الصهيوني، بينما حمَّلها ٤٦ ٪ تقريبًا لحركة فتح، في الوقت الذي حمَّل ٤ ٪ فقط من

المشاركين حركة حماس المسئولية.

وهذه النتائج لَتَدل بما لا يدع مجالاً للشك على أن رؤية الشارع الإسلامي لقضية فلسطين صارت واضحة، وأن الشعوب الإسلامية قد فقدت ثقتها نهائيًّا في المنظمات العلمانية كحركة فتح، وأن هذه الشعوب تبنَّت النهج الإسلامي الصحيح، وهذا بشير انتصار ونهضة بإذن الله لن تشمل العالم الإسلامي فقط، بل قد تعمُّ العالم كله. نسأل الله ﷻ أن يفرِّج كربة إخواننا في فلسطين، وأن يعيننا وإياهم على تحريرها، ونسأله النصر للإسلام والمسلمين.

***



(٣)
العلماء وحصار غزة[1]

لقد كشفت مأساة غزة، وما صاحبها من أحداث، وما تلاها من ردِّ فعل عن أهمية قيام كل عناصر الأمة بدورها المنوط بها، ولعل من أهم الأدوار التي ينبغي التأكيد عليها، وإثارة أصحابها ليقوموا بها، دور العلماء.



إن العلماء للأمة كطوق النجاة للغريق ينقذه من الغرق، ويهبه -بإذن الله- حياة جديدة، والعلماء هم من يبصرون الحق إذا عميت البصائر في ظلمات الفتن.

وقد رفع الله ﷻ العلماء في مكانة سامقة ترنوا إليها أبصار المسلمين وأفئدتهم، فقد قال ﷻ: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ واللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

وقد بين الرسول ﷺ علو منزلة العلماء حتى على العُبَّاد من الأمة، وبين كذلك كيف يرحم الله ﷻ وتدعو الملائكة والناس جميعًا حتى الحيوانات والحشرات للعالم الذي يعلم الناس، فقال ﷺ: «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِينَ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحُوتَ

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٦/ ٢/ ٢٠٠٨م.

لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ»[1].

وهذه المكانة السامقة التي وضع الله ﷻ ورسوله ﷺ فيها العلماء يلوذ المسلمون دائمًا بهم في الملمات ويسترشدون بأقوالهم علَّها تنقذهم؛ لذا علينا ان نتساءل: ما دور العلماء إذن في مثل محنة غزة؟ وهل قاموا بها فعلاً أم لا؟

إننا نرى أن أول واجب على العلماء القيام به هو تعريف الحكام بما يجب أن يقوموا به، وما يجب أن يكونوا عليه، وإرشادهم إلى ما فيه صلاح الأمة؛ فإن الله ﷻ يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن، وإن الحاكم مسئول أمام الله ﷻ يوم القيامة عن رعيته كلها، «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ...**» كما قال رسول الله ﷺ[2].

وينبغي أن لا يهتم العالم بما قد يصيبه من أذى نتيجة صدعه بالحق، فكل الناس مبتلًى، وهذا هو ابتلاء العلماء، وإن لم يثبت العلماء ويقولوا الحق، فمن يصدع به إذن؟!!

ولا يفوتنا التذكير بما حدث للإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- عندما جأر بالحق في فتنة خلق القرآن، وظلَّ يتحمل التعذيب نتيجة ذلك ما يقرب من سبعة عشر عامًا، حتى نصر الله الحق على يديه بإذنه تعالى.

لقد حفظت الأمة له هذا الجميل، فلقبته بإمام أهل السنة والجماعة، ولكن فضل ربك خير وأبقى..

وكذلك نتذكر بكل الفخر والإعزاز مواقف سلطان العلماء العز بن عبد السلام مع الملك الصالح إسماعيل في دمشق، والصالح نجم الدين أيوب في مصر.

ومن أدوار العلماء المهمة في مثل هذه المحن، إرشاد المسلمين إلى ما يجب عليهم نحو إخوانهم، فالأخوة الإسلامية هي من شعائر هذا الدين، ولا يجوز لمسلم أن يترك نصرة

---

(١) الترمذي: كتاب العلم، باب فضل الفقه على العبادة (٢٦٨٥)، وقال الألباني: صحيح (٤٢١٣) صحيح الجامع.

(٢) البخاري: كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن (٨٥٣)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية (١٨٢٩).

أخيه المسلم حين يحتاجه، وكيفية تفعيل هذه الأخوة في هذه المواقف لا بد أن يدلي فيها العلماء بدلوهم.

كما ينبغي أن يوضح العلماء الحقائق لعموم المسلمين، فقد بدأت نبرة أعداء الأمة الإسلامية في الداخل -أي المنافقين- تعلو مدعيةً أن ما حدث من دخول إخواننا المحاصرين في غزة إلى مصر مؤامرة مرتَّبة، وأنه انتهاك للسيادة المصرية، إلى آخر هذا الكلام الذي ألقاه أولياؤهم من أعداء الأمة على ألسنتهم.


كشف عن مخطط لحماس

إن على العلماء دورًا كبيرًا في كشف زيف هذه الأقوال، وغرض أصحابها من وراء إطلاقها، كما أن عليهم دعوة الأمة الإسلامية إلى التضامن الحقيقي بالأفعال لا الأقوال.

وعلى العلماء كذلك أن يشرحوا للناس أبعاد القضية، وجذور المشكلة، ولماذا احتُلَّت فلسطين أصلاً، وكيف تم ذلك، ومن العدو في قصتها، ومن الصديق، وما المتوقَّع في هذه الأحداث، وما رد الفعل المطلوب؟

ومن الأحرى بالعلماء إذا دعوا المسلمين إلى أمر مناصرة إخوانهم أن يكونوا أول المشاركين فيه، فيجاهدون بأموالهم وألسنتهم، وإلا فقد الناس القدوة والنموذج، وألقى شياطين الجن والإنس في قلوبهم أن هؤلاء العلماء يقولون ما لا يفعلون، فيثبطونهم عن طاعة الله بالوقوف مع إخوانهم.

وإذا أراد العلماء أن يكون لصوتهم أثر فعليهم أن يتجمعوا في كيان واحدٍ ليكون صوتهم مؤثرًا، ولن يحدث ذلك إلا إذا تناسوا خلافاتهم، وأقبل بعضهم على بعضٍ بحب.

وعليهم ألا يكرروا ما حدث خلال فترات الضعف في التاريخ الإسلامي من

خلافات أضاعت الأمة، فالتاريخ لا ينسى أنه في عام ٣١٧هـ، وبينما وقع خلاف في بغداد بين بعض شيوخ الحنابلة، وبين عموم الناس حول تفسير آية من القرآن الكريم، فتحزَّب كل فريق، واقتتلوا بسبب ذلك، ووقع بينهم قتلى، بينما كان ذلك يحدث كان القرامطة -وهم فرقة خارجة عن الإسلام- يقتحمون المسجد الحرام، ويقتلون الحجيج، ويسرقون الحجر الأسود، ويأخذونه إلى عاصمتهم (هجر) في البحرين لمدة عشرين عامًا.

كان الخلاف بين المسلمين سبب ضعف الأمة وتفرقها، وقد كان علماء هذا الزمان مشاركين في هذا التفرُّق، فعلى العلماء الآن أن يدركوا خطورة الفُرقة، وأن يسعوا إلى الوحدة والتوافق.

وقد أجرينا على الموقع استبيانًا حول تقييم دور العلماء في أزمة غزة، وهل هو ممتاز، أم جيد أم ضعيف، فجاءت نسبة الأصوات لمن يرونه ممتازًا ١٢,٣ ٪، ونسبة من يرونه جيدًا ٢٣,٩ ٪، ونسبة من يرونه ضعيفًا ٦٣,٩ ٪؛ مما يكشف عن عدم رضا الأمة عن جهود علمائها في هذه المحنة، وعن أدائهم بصفة عامة، فعلى علمائنا أن ينشطوا للقيام بأدوارهم التي أوكلها الله ﷻ إليهم، وتنتظرها الأمة منهم.

نسأل الله ﷻ أن يوفِّق علماءنا إلى ما فيه الخير، وأن يبارك في جهودهم؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

***

(٤)

أبو تريكة وحصار غزة[١]



كانت لفتة طيِّبة من اللاعب المعروف بخُلُقه الرفيع، والتزامه الديني (محمد أبو تريكة)، واللفتة هي أن يرتدي قميصًا مكتوبًا عليه «تعاطفًا مع غزة».

فقد كان حصار غزة مأساة دامية لشعب عظيم تحمَّل الاحتلال سنوات طويلة، وصبر على التجويع والحصار منذ شهر يونيو الماضي، لا لشيء إلا لأنه اختار حركة حماس في الانتخابات النيابية.

هذا الشعب الباسل الذي دفع ثمن اختياره الحر، وُضِع في ظروف غير إنسانية، تمالأ عليها القاصي والداني، وكان لا بد من إنسان يثير انتباه العالم إلى تلك المأساة، وقد كان (أبو تريكة) هو هذا الإنسان.

لقد كان قميص (أبو تريكة) دليلاً على إحساسه بمشاكل أمته، ودليلاً على أن الرياضة لا تنفصل عن السياسة ولا عن الدين، فكل المجالات مرتبط بالآخر، ولكن الدلالة الأهم هي أن عُرى الأخوة الإسلامية لم تنفصم بعدُ، وما زالت تسكن قلوب المخلصين من أبناء هذه الأمة.

من هنا فإن الشعب الفلسطيني وخاصةً أهل غزة قد تلقوا تلك اللفتة بقدر عالٍ من الترحيب، وبغاية التقدير؛ لذا أنشأوا جائزة باسم (أبو تريكة) لأفضل لاعب متضامن، كما انتشرت صورة اللاعب على قمصان صنعها أهل غزة، كما قام المسئولون في غزة

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ١٤/ ٢/ ٢٠٠٨م.

بدعوته مع المنتخب المصري للعب مع المنتخب الفلسطيني في غزة.

وفوق ذلك فقد سعدت الأمة الإسلامية كلها بهذه اللفتة، حتى تحول اللاعب إلى أكثر اللاعبين شعبية في العالم كله.

وقد أجرينا على موقعنا استبيانًا عن لفتة (أبو تريكة)، وهل هي: مفيدة للقضية، أم عادية، أم غير موفَّقة؛ وقد جاءت نسبة من يرونها مفيدة: ١ , ٩٠ ٪ من المصوِّتين، والذين يرونها عاديّة ٩ , ٧ ٪، بينما كانت نسبة من يرونها غير موفقة ٢ ٪. وهذه النسبة تعكس استجابة العالم الإسلامي لهذه اللفتة، والرغبة الداخلية في التفاعل العملي والتضامن مع إخواننا المحاصرين في غزة.

لقد أثبت أبو تريكة أن اللاعب الملتزم يمكن أن يصبح داعيةً بلعبه، وأن يوصِّل بلمسات بسيطة ما لا يستطيع الدعاة أن يوصِّلوه، وأن يؤثِّر في طبقات وشرائح من المجتمع لا يصل إليها العلماء والدعاة.

لقد كانت أغلب ردود الأفعال على تصرف (أبو تريكة) إيجابية، ولكن ظهرت بعض الأصوات التي أساءت إلى اللاعب، واتهمته بالنفاق أو تسوُّل الجماهيرية بهذه المواقف، كما انتقدت سجوده عقب الفوز وإحراز الأهداف.

والحق أن شكر الله ﷻ على النِّعم هو دليل على حياة القلب المؤمن، كما أن تصرف (أبو تريكة) جاء في مواجهة واقع رسمي عالمي محاصر لغزة، وبالتالي كان تصرف (أبو تريكة) مغامرة قد يدفع ثمنها غاليًا، ومن ثَمَّ فتصرفه هذا شجاعة تُحمد له.

أما نفاق الجماهير أو تسول الشعبية والجماهيرية فهذه قضية قلبية لا يطلع عليها أحد إلا الله ﷻ؛ فعلى من اتهموه بها أن يكفوا ألسنتهم وأقلامهم عنها، وأجدر بهم أن يشجعوا الالتزام والأخلاق في الملاعب بدلاً من أن يحاربوا كل قيمة إسلامية تشجِّع الجماهير على الالتزام.

نسأل الله ﷻ أن يرزق لاعبينا كلهم الالتزام والخُلُق الحميد، وأن يوظِّف جهودنا جميعًا لطاعته، ونسأله العزة للإسلام والمسلمين.

***

(٥)

الكرة في الإسلام[1]

شُغِل الرأي العام في مصر والعالم العربي على مدار عشرين يومًا تقريبًا بمباريات كأس الأمم الأفريقية، ثم بالاحتفالات العارمة بفوز الفريق المصري ببطولتها، وهذا يدعونا إلى الحديث عن هذه القضية الحسَّاسة، وهي قضية كأس الأمم الإفريقية، أو فلنقل: قضية الكرة في الإسلام.

ولكن لماذا هذه القضية حساسة؟

والإجابة -التي نجدها- هي أنها حساسة؛ لأن الناس وقفوا منها على طرفي نقيض؛ فمنهم من تحمَّس كل الحماس، وسعد كل السعادة، وتجاوز في سعادته حدود المألوف، ومنهم من أنكر كل هذا بالكُلِّيَّة، وقال: إن الاحتفال بهذه المناسبات غير جائز؛ فالأمة أزماتها كثيرة، ومن ثَمَّ فليس هناك محل للاحتفال بينما المسلمون يُذبحون.

والبون بين الفريقين شاسع؛ إذ كل فريق قد أبعدَ في رأيه وموقفه، ولكننا نرى أن الموقف الصواب هو في الوسط؛ فالإسلام دين الوسطيَّة، يقول تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾ [البقرة: ١٤٣]. ومن الأمثلة على ذلك قضية المِزَاح والضحك في حياة الرسول ﷺ؛ فبعض الناس يفهم من مزاحه ﷺ، أنه ليس هناك ضيرٌ في المزاح، ويستشهد ببعض مواقف من حياته ﷺ، بينما البعض الآخر ينظر لمواقف أخرى، وأحاديث مثل: «**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ[2] إِلَى اللهِ**»[3]؛ فلا يسمحون بالمزاح، ويرونه مخالفة للسنة

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٢١/ ٢/ ٢٠٠٨م.

(٢) تجأرون: من جأر إذا صاح، وجأر إلى الله تعالى تضرع إليه بالدعاء.

(٣) رواه الترمذي (٢٣١٢) وابن ماجه (٤١٩٠)، وحسنه الألباني.

المطهرة، ومن ثَمَّ يتعمدون العبوس في وجه الناس.

وكلا الطرفين -في الحقيقة- مخالفٌ للسُّنَّة.

أما السنة الصحيحة، فإنه ﷺ كان يمزح قليلاً، ولكنه لم يكن يتجاوز في مزاحه حدود الشرع؛ فلا يكذب ولا يسخر ولا ينتقص أحدًا، وكذلك كان دائم الابتسام كما قال عَبْدُ الله بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ؛ إذ قَالَ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ»[1]. وكما قال جرير بن عبد الله: **«مَا حَجَبَنِي رَسُولُ الله ﷺ قَطُّ، وَلا رَآنِي إِلاَّ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي»**[2]. وأحيانًا كان يضحك حتى تظهر نواجِذُه، ولم يكن هذا الابتسام مقرونًا فقط بمواطن السكينة والأمن والسلام والرخاء، بل يكون أحيانًا في الأزمات، وقد يكون كذلك عند حدوث خطأ من بعض الصحابة.



إذن لا نستطيع أن نقدِّر الوسطية بناءً على مقاييسنا نحن، بل ينبغي أن نقدِّر بناءً على دراسة حياة القدوة ﷺ.

ومن هنا وقبل أن نفتح ملف الرياضة عامَّة، والكرة بصفة خاصَّة، وكأس الأمم بصفة أخص.

تعالَوْا نُجب عن سؤال مهم، وهو: هل الرياضة حلال أم حرام؟

قد يرى البعض السؤال غريبًا، ولكن إجابته ستأتي مفاجأة لكثيرين؛ فإني أرى أن الرياضة يعتريها الأحكام التكليفية الخمسة: الوجوب، والندب (الاستحباب)، والإباحة، والكراهة، والتحريم؛ فهي واجبة للجنود

---

(١) رواه الترمذي (٣٦٤١)، وأحمد (١٧٧٥٠)، وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري (٢٨٧١، ٥٧٣٩)، ومسلم (٢٤٧٥).

الذين يجب أن يمارسوها استعدادًا للجهاد في سبيل الله تعالى.

وهي مندوبة لمن في جسده ضعف، ويريد تقويته.

وهي مباحة لمن كان يمارسها للتسلية.

وهي مكروهة إن كانت تضيع أوقاتًا طويلة، ولكنها لا تضيع الفروض والطاعات.

وهي حرام إن أضاعت وقت العبادات، وإن مارستها النساء أمام الرجال، وحرام كذلك إن مارسها الرجال وهم يرتدون ملابس تحدِّد عورتهم؛ كزي السباحة المعمول به في البطولات، وكذلك تكون حرامًا إن خالطها رهانات، أو لعب ميسر.

والآن تعالوا نحلِّل معًا ما حدث في كأس الأمم من إيجابيات لنشكر من قام بها، ثم نستفيد منها، وكذلك نرصد السلبيات لنتلافاها في المستقبل؛ فمن الإيجابيات:

أولاً: وجود جهد بُذِل، ونظام وُضِع، وإنجازٍ تحقق، خاصَّةً من المدير الفني حسن شحاتة ولاعبي الفريق.

ثانيًا: تمكُّن رُوح الفريق عند اللاعبين (والحقيقة أني لم أشاهد أي مباراة لضيق الوقت، ولكنَّ هذا ما نُقِل لي).

ثالثًا: كان من اللافت أن معظم الأحاديث الصحفية التي تمت مع اللاعبين أنهم كانوا يُنسِبون الفضل لله ﷻ.

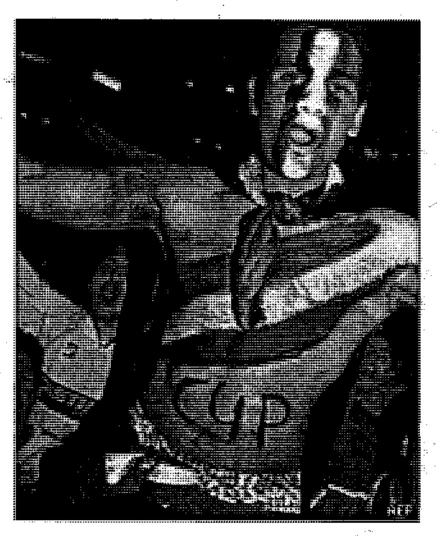
رابعًا: السمت العام للفريق هو الالتزام، وله بعض الشواهد مثل: السجود الجماعي عند الأهداف، تملُّك الأعصاب وعدم انفلاتها، والقيام بالتبرع لبناء مسجد في كوماسي. وقد انتقلت هذه الروح لبعض لاعبي الفرق الأخرى كغانا.



خامسًا: موقف (أبو تريكة) بالتذكير بالتعاطف مع غزة، بينما الكل منشغل بالمباراة، وقد نسوا محنة المسلمين هناك.

سادسًا: التعاطف الشعبي، والإجماع العربي على ذلك؛ حتى خرجت الجماهير تحتفل بفوز الفريق المصري في عديد من المدن العربية.

وقد كان هناك العديد من السلبيات أيضًا، أساءت للفرحة الجماهيرية العارمة، كان منها:



أولاً: التجاوز في مظاهر الاحتفال في الشوارع بشكل يظهر فساد الأخلاق، وعدم النظر مطلقًا لمصالح الغير، وكل هذا مغلَّف بغلاف الفرحة، ويتمثل ذلك في: (إغلاق الشوارع - الألعاب النارية - التحرُّش بالفتيات - تكسير السيارات - اختلاط الفتيات بالشباب في مظاهر الاحتفال بالشوارع).

ثانيًا: التجاوز في حد الفرحة في بعض المؤسسات الخاصة والحكومية أثناء المباراة النهائية، والأيام التالية؛ حتى ضيعوا أو كادوا يضيعون مصالح الناس.

ثالثًا: إظهار الفرحة العارمة دون اعتبار للظروف التي تمر بها الأمة؛ فكيف يكون شعور المضطهدين في العراق وأفغانستان عندما يرون هذه الاحتفالات؟!!

رابعًا: الإسراف الذي يبلغ حدَّ السفه في المكافآت المالية، وفي الإنفاق على الكرة بشكل عام؛ فظروف البلد الاقتصادية لا تسمح بذلك ولا عشر معشاره، وحتى لو سمحت الظروف؛ فالمال لا يُنفَق بهذه الصورة في مجالات الحياة الأخرى الأكثر أهمية؛ كالمجالات العلمية والطبية والغذائية والبنى التحتية، كما يجب مراعاة الحالة النفسية للشباب الذي يعاني معاناة اقتصادية شديدة من أجل الحصول على أساسيات الحياة رغم

حصوله على مؤهلات دراسية متميزة، ثم يُفاجَأ بأن زميله الذي لم يحصل على نفس القدر من التعليم حصل على ملايين بسبب لعب الكرة.

واللافت أن بعض رجال الأعمال يقدِّم هدايا باهظة في هذه المناسبة، وأنا أرى أنه من الأفضل أن تُوجَّه قيمة هذه الهدايا إلى مشاريع تفيد المجتمع، أو إلى الكادحين في المصانع والمزارع، وإن كان لا بد فاعلاً فليكن بينه وبين اللاعبين، ولا داعي للدعاية إلا إذا كانت الدعاية هي الغرض الأساسي.

خامسًا: إنفاق الوقت الهائل في متابعة البطولة، وهذا الوقت ليس فقط وقت مشاهدة المباريات، وإنما يشمل الأستديو التحليلي بالساعات قبل المباراة وبعدها، والوقت المنفَق في الحوارات بين الناس حول المباريات، وانتظار البعض لقدوم طائرة الفريق بالساعات بل والمبيت في المطار في انتظار اللاعبين، ولو افترضنا أنه انتظرهم ألف شخص فقط لمدة عشر ساعات؛ فهذه عشرة آلاف ضاعت على المسلمين.

والآن لا بد أن نسأل هذا السؤال: لماذا حدثت هذه السلبيات؟

والإجابة التي لن نختلف عليها هي:

أولاً: لخلل في الأولويات على المستوى الشخصي والمستوى الحكومي، ومستوى الأمة بشكل عامح فأصبح الفرد في الأمة يترك ما هو واجب عليه، ويتعلق بضروريات حياته، ومستقبله هو وأسرته؛ ليفعل ما لا ينبني عليه فائدة، ولا يعود عليه بمصلحة ما.

ثانيًا: لكثرة الإحباطات، وعدم وجود نجاح متميز في مجال آخر أهم؛ فالأمة تعاني من الفشل في مجالات عِدَّة، وما زلنا منذ سنوات تغيب جامعات الدول المسلمة عن تصنيف أفضل خمسمائة جامعة في العالم، وما زلنا أيضًا متأخرين في الصناعة، ونعتمد على إنجازات غيرنا، وكذلك في عديد من المجالات؛ لذا تهلل الجميع لتحقيق تقدم وانتصار في مجال ما، ولو كان ترفيهيًّا.

ثالثًا: غياب الوعي الديني الصحيح الذي يضبط تفكير المسلم، ويوجهه إلى معالي الأمور، ويضع كل أمرٍ في مكانه.

رابعًا: الشحن الإعلامي الهائل قبل وأثناء وبعد هذه الاحتفاليات؛ فوسائل الإعلام تعاملت مع البطولة، وكأنها فتح عظيم، أو لعلها كانت تريد إلهاء الناس عما يجب أن يشغلهم حقيقة.

وأخيرًا.. أودُّ أن أقول: نحن لسنا ضد الرياضة، ولا ضد الفرحة والانتصار، ولكن يجب أن نضع هذا في إطار الصورة العامة المتكاملة للمسلم الملتزم الذي يمارس رياضة، أو يحب مشاهدتها على سبيل الترفيه، ولكن في نفس الوقت يحافظ على وقته، ويحترم وقت غيره، ويتفوق في مجال دراسته، ويبدع في مجال الأخلاق. المسلم الذي يقرأ عن الإسلام، وعن أحوال المسلمين أضعاف ما يقرأ عن الرياضة وأخبار اللاعبين.

وكلمة أخيرة إلى كل لاعب: إنك تستطيع بأخلاقك والتزامك وجديتك أن تكون داعيةً إلى الله، بل وتصل بدعوتك إلى شرائح من المجتمع لا يصل إليها كبار الدعاة والعلماء، وهذه منحة من الله ﷻ ينبغي أن تشكره وتحافظ عليها.

نسأل الله ﷻ التفوق والفلاح للأمة الإسلامية جميعًا.

***

(٦)

حبُّ الرسول ﷺ[1]



من يُلقِ بنظرة الآن على العالم الإسلامي يجد أنه منشغل كله الآن بقضية إعادة نشر الرسوم، والجميع يتساءل: لماذا تكرَّر الفعل رغم معاناة الدنمارك الشديدة من المقاطعة عند نشر الرسوم لأول مرة، وهو بلد اقتصادي في المقام الأول تهمُّها حسابات المال؟ ومع كون الرسوم تكررت إلا أن تفاعل المسلمين مع الأحداث أقل بكثير من المرة الأولى، وقد طرحنا استبيانًا حول سبب ضعف التفاعل عند إعادة نشر الرسوم المسيئة للرسول ﷺ، وهل هو ضعف التغطية الإعلامية للحدث، أم اعتياد الأمة الإسلامية على الأذى والهوان، أم هو خلَلٌ في حبِّ الأمة للرسول ﷺ؛ وقد جاءت آراء المشاركين في الاستبيان على النحو التالي:

ضعف الإعلام ١٩,٤ ٪

اعتياد الأذى ٤٦,٩ ٪

خلل في حب الرسول ٣٣,٧ ٪

لقد ظهر من الاستبيان أن أكثر المشاركين يرون أن الأمة الإسلامية اعتادت الأذى،

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٢٨/ ٢/ ٢٠٠٨م.

ونتيجة الاستبيان أراها طبيعية، إذ إننا في المرة الأولى قد صُدِمنا؛ لأن الحدث جديد علينا، ولم نجد في العصر الحاضر من تجرَّأ على مقام رسول الله ﷺ، أما الآن فقد تكرَّر الحدث، وكثيرًا ما يكون ردُّ فعل الإنسان في المرات الثانية والثالثة لتكرار الحدث أقل من الأولى، وهذا ما أسمِّيه إِلْف المصيبة، أو نستطيع أن نقول: إنه إِلْفُ المهانة، وفيه يصدق قول المتنبي:

مَن يَهُن يسهلِ الهوان عليه ... ما لجُرحٍ بميت إيلامُ

لكن السؤال الذي ينبغي أن يُطرَح هو: لماذا يحدث إلف المهانة؟ وهل هو شيء طبيعي أم هو مرض يحتاج لعلاج؟

واقع الأمر أن هذا الإلف يحدث لوجود خللٍ في مسألة حب المسلمين للرسول؛ فحب الرسول ليس أمرًا عاطفيًّا أو قلبيًّا فحسب، بل هو أصل ينبني عليه أمور كثيرة؛ إذ هو أصل من أصول الإيمان، والأحاديث في ذلك متواترة؛ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَحَتَّى يُقْذَفَ فِي النَّارِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ نَجَّاهُ اللهُ مِنْهُ، وَلاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[1].



وَعَنْ زُهْرَةَ بْنِ مَعْبَدٍ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: وَالله يَا رَسُولَ الله، لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ نَفْسِي.

---

(١) مسند أحمد: (١٣١٧٤)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ».

قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ الآنَ وَاللهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ»[1].

وليس هذا الحب كلمات تقال فقط، وإنما هو أعمال تُنَفَّذ، ومناهج حياة تُتَّبع، وليس من المعقول أن أدَّعي حب إنسان ثم أجده يتعرض للأذى، ولا يتمعَّر وجهي، ولا تتحرك جوارحي، ولا تهتم نفسي.

ولتسألْ نفسك: هل لو تعرض ابنك مثلاً للأذى: أتكتفي بأن تحمل الهمَّ، أم تتحرك بكل طاقاتك للدفاع عنه؟

ولو تكرَّر الأذى، هل تكسل عن الدفاع مرة أخرى أم تتحرك ثانية بنفس القوة؛ لأنك تحبه حبًّا حقيقيًّا؟

لذلك لا يُقبَل أن نقول: إننا أَلِفْنا المهانة، ولا تُقبل حالة الفتور والتراخي في التعامل مع القضية؛ لأننا سمعناها أكثر من مرة خلال الشهور الماضية.

ولهذا فإننا نرى أن نتيجة الاستبيان لا ينبغي أن تكون بهذه الصورة، وإنما ينبغي أن يسبق اختيار الخلل في حبِّ الرسول كسبب لهذا الضعف اختيار إِلْفِ الأذى؛ فالخلل في حب الرسول هو المرض، وإلف المهانة هو العَرَض.

أمّا الاختيار الثالث في الترتيب، وهو أنَّ ضعف الإعلام هو السبب في فتور المسلمين نحو القضية، فيمكن القول من نفس المنطلق أن ضعف الإعلام نابع من الخلل في حُبِّ الرسول ﷺ.

ولكن كيف نعرف أننا نحب الرسول ﷺ حُبًّا صادقًا؟ أو بأسلوب آخر: ما علامات

(١) مسند أحمد: (١٨٩٨١)، وقال الألباني في تخريج أحاديث كتاب فقه السيرة: صحيح.

حب الرسول ﷺ؟

الحقيقة أن علامات حب الرسول ﷺ كثيرة ومتنوعة، وليس المجال للتفصيل فيها، ولكن نذكر منها:

- الدفاع عنه ﷺ بكل ما لدينا من قوة.

- اتِّباع سنته ﷺ اتباعًا سليمًا، فالشاعر يقول:

لو كان حبُّك صادقًا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيعُ

- التعريف به ﷺ، والحديث عنه.

- حب صحابته ﷺ، وآل بيته ﷺ.

- كثرة الصلاة والسلام عليه ﷺ.

- دراسة سيرته العطرة، ومعرفة دقائق حياته.

هم تجرؤوا فلا تترد

قاطعوهم

واجعل شعارك

فإن أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء

- توقيره عند سماع ذكره، وعدم المجادلة فيما أمر به، ولو كان نافلةً.

وهكذا إذا استقر الأمر على أن هناك خللاً في حُبِّ الأمة الإسلامية لرسول الله ﷺ، وعزمنا على إصلاح الخلل، وأن نقدِّمه ﷺ على أنفسنا وأموالنا وأبنائنا، فماذا عسانا أن نفعل لكي نكون قد أدَّينا واجبنا نحوه؟

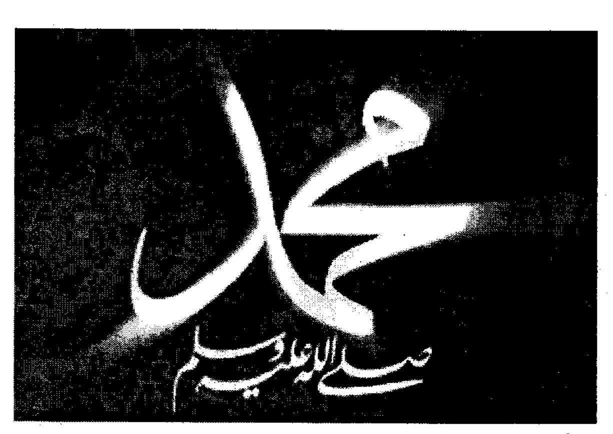
هذا هو موضوع المقال القادم، ونسأل الله ﷻ أن يعزَّ الإسلام والمسلمين.

* * *



(٧)

كيف ندافع عن رسول الله ﷺ؟[1]



لا شكَّ في أنَّ قضية الدفاع عن الرسول ﷺ هي الشغل الشاغل للأمة في هذه الأيام بعد الهجمة الشرسة من الصحافة والإعلام الغربي عليه ﷺ، وخاصة في صحف الدنمارك، وقد طرحنا في المقال السابق هذه القضية، وتساءلنا: هل هناك خللٌ في حُبِّنا -نحن المسلمين- للرسول ﷺ؟

وتوصَّلنا إلى أن هناك خللاً بالفعل، وأننا لا بد لنا أن نتعلم كيف نحب رسول الله ﷺ، ولا بد أيضًا أن ندافع عنه.

ويبقى أن نعرف وسائل هذا الدفاع، ولكن قبل أن نعرف هذه الوسائل لا بد من الحديث بدايةً عن معرفة من الذي يهاجم الرسول ﷺ، وبالتالي نستطيع أن ندافع عن الرسول ﷺ بالطريقة السليمة.

وفي تخيلي أن الذين يهاجمون الرسول ﷺ أحد ثلاثة: إمَّا حاقد عليه، أو جاهل به، أو مفتون بحال المسلمين.

وقد وضعنا على الموقع استبيانًا بعنوان: أغلب من يهاجمون الرسول ﷺ: جاهل به، أم حاقد عليه، أم مفتون بتخلف المسلمين؟

---

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٦/ ٣/ ٢٠٠٨م.

وقد اختار ٢٩,٧ ٪ ممن صوَّتوا على الاستبيان أن المهاجمين للرسول ﷺ جاهلون به، بينما اختار ٣٥,٥ ٪ أنهم حاقدون، في حين اختار ٣٤,٨ ٪ أنهم مفتونون بتخلف المسلمين.

أي أن النسب جميعها دارت حول الثلث، يزيد في اختيار أو يقِلُّ قليلاً... وإن كان في رأيي أن الحاقدين ليسوا بهذه النسبة الكبيرة؛ لأن معظم هذه الشعوب لا تعرف الرسول ﷺ، والدليل على ذلك أن الاستبيانات والأسئلة التي تأتي على الإنترنت كلها أو معظمها تشير إلى محاولة أن يعرف هؤلاء مَن هو الرسول ﷺ.

أغلب من يهاجمون الرسول صلى الله عليه وسلم

الاختيار	النسبة
جاهلون به	٣١,٦%
حاقدون	٣٤,١%
مفتونون بتخلف المسلمين	٣٤,٣%

ولعل أكثر الأسئلة اشتهارًا على الإنترنت بعد إيذاء الصحف الدنماركية في العام السابق كان «مَنْ محمدٌ؟» (Who is Mohammed؟) فالناس لا تعرف الرسول ﷺ، وتريد أن تعرفه.

لكن لا شكَّ أن هناك طائفةً من الحاقدين تهاجم الرسول ﷺ عن علم، وهذه الطائفة موجودة منذ بُعِثَ الرسول ﷺ ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الزخرف:٦، ٧]. فهي سُنة إلهية، وكانت هذه الطائفة موجودة دائمًا، ولكن عند مراجعة أسماء هؤلاء المستهزئين في فترة مكة من عبدة الأصنام أو الوثنين تجد أنهم كانوا يمثلون بالإحصاء عددًا قليلاً من المشركين في مكة أو في الجزيرة العربية بصفة عامة، ويأتي على رأس أكابر المجرمين هؤلاء كما سماهم ربنا في كتابه: أبو جهل، والوليد ابن المغيرة، وعقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث.

لكن عموم الناس ما كانت تتولى الأمر عن رغبة صادقة في محاربة الدعوة الإسلامية ولكنها كانت تتبع أمراءها من القادة والشعراء، وهذا هو الحال في زماننا.

لو سألت في الشارع الغربي عن الرسول ﷺ: ماذا تعرف عنه؟

لعلَّ أقلَّ القليل هو من يجيب عن هذا السؤال، وقد لا تتجاوز الإجابة السطر أو السطرين، وهذا السطر أو السطرين لعله يكون مغلوطًا في المعنى أو في الفهم؛ فلذلك أرى أن هذه الطائفة -طائفة الجاهلين- كبيرة.

وكذلك هناك طائفة ثالثة من الذين يهاجمون الرسول ﷺ هي طائفة المفتونين بحال المسلمين وبتخلف المسلمين، هؤلاء هم الذين ينظرون إلى حال المسلمين، ويقولون: لو كان الإسلام دينًا صحيحًا، ولو كان محمد ﷺ قائدًا حكيمًا لهذه الجموع الضخمة من البشر لكنَّا قد وجدناهم ينتجون ويبرعون ويتفوقون في مجالات الحياة المختلفة، أمَّا أن يكون غالب أتباع هذا الرجل من المتخلفين، والأميين، والمتراجعين حضاريًا، والمهزومين عسكريًا واقتصاديًّا وعلميًّا في كل المجالات فهذا يعني -عند هؤلاء المفتونين- أن هذا الدين غير صحيح.

إنه من المؤسف أنه حتى المجالات الأخلاقية نجد انهيارًا واضحًا في الدول الإسلامية فيها؛ فعلى سبيل المثال تقارير الشفافية -التي تُبْنى على حساب درجات الرشوة والفساد المالي والإداري والمحسوبية والوساطة- تحتل دول العالم الإسلامي فيها مراتب متدنية؛ مما يشير إلى أن أتباع هذا الدين يقعون في أخطاء كثيرة وصلت بهم إلى هذه الحالة المتدنية.. وعندما ينظر أهل أوربا أو غيرها من دول العالم إلى هذه الحال المتردية التي وصل إليها المسلمون، يقولون: من المستحيل أن الدين الذي ينتمون إليه أو القائد الذي يقودهم على خير أو على صلاح؛ فيُفتَنُون بهذه الحال، وبالتالي لا يقرءون عن الإسلام، وإن قرءوا فإنه من السهل أن يتقبلوا المطاعن التي تُذكَر في هذا الدين على ألسنة محركيهم وإعلامييهم وقادتهم وساستهم، وهذا معنى قوله ﷻ: ﴿رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٨٥] أي ألاّ تصل حالنا إلى درجة من التردي تصبح عامل صدٍّ للكافرين عن الدخول في دين الإسلام.

إذا عرفنا الآن أن الذين يهاجمون الإسلام هذه الطوائف الثلاثة، الحاقدين والجاهلين

والمفتونين، لا شك أن طريقة الدفاع عن الرسول ﷺ ستختلف باختلاف الذي يهاجم؛ فالحاقد يعلم الحقيقة وينكرها، ويهاجم عن علم، وفي قلبه حقد وحسد لهذا الدين، وهذا لا بد له من وقفة صلبة؛ فيمكن معه طرد السفراء، والمظاهرات العارمة، والمقاطعة الاقتصادية، والملاحقات القضائية في القضاء الدولي، والردود الإعلامية القوية على ما يفعلونه، وإيضاح أن العالم الإسلامي كله واقف وقفة واحدة للدفاع عن هذا الرسول العظيم؛ مما سيلقي الرهبة والرعب في قلوب من يهاجِم، وبالتالي يفكِّر كثيرًا بعد ذلك قبل أن يهاجم.



أمَّا الطائفة الثانية، وهي طائفة الجاهلين به؛ فهي لا تحتاج إلى كل هذه الهجمة الإسلامية للدفاع عن الرسول ﷺ، ولكنها تحتاج ببساطة إلى تعليم.. تحتاج إلى أن تعرف ببساطة حقيقة الرسول ﷺ؛ وذلك يستوجب أن نصل إليهم بلغتهم، وفي إعلامهم، وبكل الطرق التي نستطيع أن نصل بها إليهم، وبالوسائل التي يفهمونها، وبالمعلومات المناسبة عن رسولنا ﷺ؛ ليعلموا أخلاقه، ويعلموا تواضعه، ويقرءوا ويسمعوا عن عفوه وعدله ورحمته، وعن أنه كان رجلاً شاملاً يقود دولة، ويقود جيوشًا، ويحكم بين الناس بالعدل، ويربي ويقود، ويتعبَّد لله ﷻ خير العبادة ومتفوق ومبدع في كل مجالات الحياة، وما من خُلُق إلا وصل إلى قمته، كل ذلك في آنٍ واحد، وبالتالي أفتح أمام هذه الجموع الهائلة الباب لأن تلتحق بهذا الدين العظيم، وما أكثر الذين التحقوا بهذا الدين بعد ظهور الرسالة، وكانوا أصلاً من الجاهلين بالرسول ﷺ! مثل أهل فارس وشمال إفريقيا والأندلس وغيرها من بقاع العالم الكثيرة التي دخلت في الإسلام.

أمَّا الطائفة الثالثة فهي طائفة المفتونين بحالة التخلف التي وصل إليها المسلمون؛ فلا بد أن يتقدَّم المسلمون في كل المجالات العلمية والاقتصادية والسياسية وقبل ذلك وبعده

الأخلاقية؛ حتى يصبحوا خير قدوةٍ لهؤلاء، وخير دعاة لهذا الدين بالعمل وليس بالكلام فقط، وبالتالي ينبهر الغربيون والشرقيون وغير المسلمين بصفة عامة بحال المسلمين المتفوق والمتقدم، وساعتها سيبحثون ويتساءلون:

لماذا تقدم هؤلاء؟

ولماذا يبدع هؤلاء في مجال الأخلاق؟

ولماذا يتراحم هؤلاء؟

ولماذا يتحد هؤلاء؟

ولماذا؟ ولماذا؟ وأسئلة كثيرة عن الأشياء الطيبة التي تبهر الآخرين، وبالتالي يبحثون عن هذا الدين الذي دفعهم إلى هذا الرُّقِي، ويكون هذا سببًا بإذن الله في إسلامهم، أو على الأقل تحييد صفهم، ومنعهم من التعدي على مقدسات المسلمين، سواء الرسول ﷺ أو غيره من المقدسات المختلفة عند الأمة الإسلامية؛ بذلك نستطيع أن ندافع عن الرسول ﷺ بطريقة منهجية تناسب العدوان الكبير الذي وقع.

هذه الأعمال وهذه الجهود الموجهة نحو الحاقدين عليه ﷺ، أو الجاهلين به ﷺ، أو المفتونين بتخلف المسلمين، ليست جهود يوم أو يومين أو عدَّة شهور، ولكنها مناهج حياة تحتاج أن تُدرَس بعناية من مفكري الأمة وعلمائها وقادتها، ويوضع بناءً على ذلك برامج كثيرة تشترك فيها الأُمَّة بكبيرها وصغيرها ورجالها ونسائها، وشيوخها وأطفالها، الجاهل منها وطالب العلم، وكل فئات الأمة على حدٍّ سواء، وهذا ليس كثيرًا على قضية مهمة مثل قضية الدفاع عن رسولنا ﷺ.

ولكن لعلَّ أحد القارئين لهذا المقال أو لهذه الفكرة يقول: إن قرار تقدم المسلمين ليس بيد عموم المسلمين، ولكنه بيد السياسيين والقادة، وبالتالي ليس لنا دور في هذه القضية؛ فهل هذا حقيقة؟ وهل هناك دور للشعوب الإسلامية في هذه القضية؟ هذا ما سنعرفه في مقالات قادمة بإذن الله.

***



(٨)

قصة كوسوفا (١ من ٤)[١]

أثار إقليم كوسوفا المسلم اهتمام العالم عامَّةً، والإسلامي منه خاصة مرات عديدة في القرون الأخيرة، وكان من أهمها بالنسبة للأجيال الحاضرة ما حدث فيه من مجازر للمسلمين على أيدي الصرب الأرثوذكس في التسعينيات، ثم ما تابعناه ونتابعه هذه الأيام من إعلان الإقليم لاستقلاله تحت مظلَّة حلف الأطلنطي وحمايته.

وإقليم كوسوفا من البلاد الإسلامية التي عانت من تجاهل المسلمين أو جهلهم لسنين طويلة؛ بحيث لم يكن كثير من المسلمين يعرفون أن هذا الإقليم إسلامي، أو به مسلمون أصلاً، إلا بعد أن جرت فيه المذابح الصليبية ضد المسلمين في التسعينيات من القرن العشرين، مثله في ذلك مثل دولة الشيشان والبوسنة والهرسك.



وقد أجرينا استبيانًا على موقعنا طوال الأسبوع الماضي حول متابعة قضية كوسوفا، فبلغت أصوات من يتابعون القضية بقوة ١٢ ٪، ونسبة من يتابعونها قليلاً ٥٢ ٪، أمَّا نسبة من لا يعلمون عنها شيئًا فهي ٣٦ ٪.

يحدث ذلك بينما كوسوفا دولة إسلامية غالبية سكانها

---

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ١٣/ ٣/ ٢٠٠٨م.

مسلمون، وتاريخها مع الإسلام طويل يمتد قرونًا.

تقع كوسوفا في منطقة البلقان في جنوب شرقي قارة أوربا، وهي محاصرة من الشمال والشمال الشرقي «بصربيا»، ويحدُّها من الجنوب مقدونيا وألبانيا، ومن الغرب الجبل الأسود، وتبلغ مساحتها ١٠,٨٨٧ كيلو مترًا مربعًا، ويبلغ عدد سكان كوسوفا ثلاثة ملايين نسمة.

دخل الإسلام إلى كوسوفا في عام ١٣٨٩م، إبَّان المواجهة الحاسمة بين العثمانيين بقيادة السلطان مراد الأول والصرب بقيادة (لازار)، في المعركة التي اشتُهِرت باسم «قوصوه» أو «كوسوفا» وقد هُزِم الصرب في تلك المعركة، وقُتِلَ فيها ملكهم (لازار) بعد هزيمة جيشه، كما استُشهِد السلطان مراد وهو يتفقد نتائج المعركة، ويتفحَّص الجثث؛ إذ قام إليه جندي صربي تظاهر بأنه مقتول، وطعنه بخنجرٍ؛ فأرداه قتيلاً.

وتتمتع كوسوفا بتركيب عِرْقي متنوِّع يضمُّ ٩٠ ٪ من الألبـان، و٤ ٪ من الصرب، و٣ ٪ من الأتراك، و٢ ٪ من البوشناق، و١ ٪ قوميات أخرى، وتبلغ نسبة المسلمين بين هذه الأعراق حوالي ٩٥ ٪.

وتعود أصول الكوسوفيين (الألبان) إلى القبائل الإيليرية ذات الجنس الآري، وقد سُمُّوا بأكثر من اسم منها الألبان والأرناءوط وإشكيبتا، واتفق المؤرخون على أنها أول من نزل شبه جزيرة البلقان -في عصر ما قبل التاريخ- على شواطئ البحر الأدرياتيكي الشمالية والشرقية قبل قدوم اليونان، وكان ذلك منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة، ثم توسعت وانتشرت القبائل الإيليرية في أنحاء البلقان.

اجتمعت تلك القبائل بعد ذلك، وانتخبت رئيسًا لها، ثم أنشأ الإيليريون دولة لهم قبل الميلاد بثلاثة قرون (وجمهورية كوسوفا اليوم تقع في الموقع الذي كان يسكن فيه أجدادهم الداردانيون، والقبائل الإيليرية الأخرى)، وكانت دولتهم تسمى درداني، وقد ضعفت دولتهم بمرور الزمن؛ فاحتلَّها الرومان، وبقيت تحت احتلالهم إلى أن زالت إمبراطوريتهم، وانقسمت إلى شرقية وغربية، وصارت بلاد الألبان تحت حكم

الإمبراطورية الشرقية؛ حتى فتح المسلمون بلادهم ونعمت قرونًا تحت حكمهم.

اتَّفق المؤرِّخون على أن الإسلام دخل إلى البلقان قبل الفتح العثماني، وذلك عن طريق التجار والدبلوماسيين والدعاة، إلا أن ذلك كان على نطاق ضيق ومحدود. أمَّا انتشار الإسلام في تلك البلاد فقد كان بعد مجيء العثمانيين؛ حيث دخل الشعب الألباني في الإسلام أفواجًا، وحَسُنَ إسلام الألبان، واندمجوا في الدولة العثمانية؛ حتى برز منهم قوَّادٌ عِظام مثل بالابان باشا (من قوّاد فتح القسطنطينية)، وعدد من كبار الكُتَّاب والشعراء كانوا يؤلِّفون بلغات خمس، هي: الألبانية والبوسنية والعربية والتركية والفارسية، مثل محمد عاكف أرسوي رحمه الله.

وقد تمكن الحكم العثماني في جزيرة البلقان بصورة نهائية بعد معركة (قوصوه)؛ فبعد هذه المعركة الحاسمة خضعت كوسوفا وصربيا للحكم العثماني ما عدا مدينة بلغراد؛ فإنها فُتِحَت في عهد السلطان سليمان القانوني؛ وذلك في ٢٦ من شهر رمضان المبارك سنة ٩٣٨هـ/ ١٥٢١م.

كانت ولاية كوسوفا أكبر الولايات العثمانية في روملي (أوربا)، وكانت أول عاصمة لها مدينة بريزرن، ثم مدينة بريشتينا، ثم مدينة أسكوب (أسكوبيه) عاصمة مقدونيا اليوم، وما زال عدد الألبان فيها إلى يومنا هذا أكبر من عددهم في تيرانا عاصمة ألبانيا.

منذ هزيمة الصرب على أيدي المسلمين في (قوصوه) عملوا على إنهاء الوجود الإسلامي في البلقان؛ ومن أجل ذلك قادوا تحالفًا مع بلغاريا والجبل الأسود واليونان بهدف طرد الدولة العثمانية من البلقان، ثم الانفراد بالمسلمين هناك.

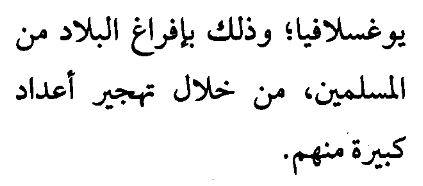
واشتدت المؤامرات على الدولة العثمانية من الخارج خاصةً في عصور ضعفها، وتمكنت صربيا من قيادة التمرد ضد الدولة في الداخل -في منطقة البلقان- حتى استطاعت أخيرًا أن تستقل عن الدولة العثمانية.

ثم وقع الألبان في أكبر خطأ في تاريخهم؛ إذ أعلنوا استقلالهم عن الدولة العثمانية أثناء الحرب البلقانية العثمانية سنة ١٩١٢م، ومنذ ذلك الوقت بدأت مرحلة تصفية الحساب

مع الدولة العثمانية؛ حيث أعلن «الصليبيون» في البلقان حربهم ضد الإسلام والشعوب المسلمة هناك؛ ففي مؤتمر عقدته الدول الغربية المنتصرة في لندن عام ١٩١٢م، تم توزيع أجزاء من أراضي بلاد الألبان على المنتصرين، وبعد أن كانت مساحة ألبانيا حوالي ٧٠ ألف كيلو متر مربع؛ فإنها بعد اقتسام الغنيمة تقلَّصت إلى حوالي ٢٩ ألف كيلو متر مربع فقط.

كانت كوسوفا من نصيب المملكة الصربية آنذاك، ومن يومها بدأت المذابح الجماعية للمسلمين في البلقان عمومًا، وفي البوسنة وكوسوفا خصوصًا، وتقول إحدى الإحصائيات بأن عدد قتلى المسلمين في كوسوفا وحدها قريب من ربع مليون نسمة، هذا غير المهاجرين من ديارهم فرارًا بدينهم وهم عشرات الألوف.

ثم بدأت مؤامرة جديدة بين تركيا العلمانية بقيادة مصطفى كمال أتاتورك وحكومة



يوغسلافيا؛ وذلك بإفراغ البلاد من المسلمين، من خلال تهجير أعداد كبيرة منهم.



وبالفعل تم التوقيع على اتفاقية في عام ١٩٣٨م، تقضي بتهجير ٤٠٠ ألف عائلة ألبانية مسلمة إلى تركيا.

وخلال الحرب العالمية الثانية ظلَّ قادة ما يسمى بحركة التحرير الشعبية ليوغسلافيا (وهي حركة قومية ماركسية) يتوددون إلى الشعب الألباني المسلم في كوسوفا لإقناعه بأن من حقهم الاستقلال عن المملكة الصربية، وأنهم في حال تسلُّمهم

مقاليد الحكم في البلاد سيعيدون هذا الحق المغتصب للمسلمين في كوسوفا.

ولكن بعد أن اعتلى الماركسيون الشيوعيون الحكم في البلاد تناسى الشيوعيون وعودهم، وتذكروا فقط عداءهم للإسلام، وحقدهم على المسلمين؛ فقاموا بحملة إبادة واسعة للشعوب الإسلامية المنكوبة التي سيطروا عليها، وأرسلوا وحدات من الجيش لاحتلال كوسوفا الأمر الذي فوجئ به الألبان، وظلُّوا يقاومون الجيش طيلة ثلاثة أشهر -من شهر ديسمبر ١٩٤٤م إلى فبراير ١٩٤٥م- حتى سقط في هذه المعارك قرابة ٥٠ ألف شهيد من الشعب الألباني المسلم.

وفي عام ١٩٤٥م قرَّرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي تقسيم الأراضي الألبانية المحتلة بين ثلاث جمهوريات، هي: صربيا، ومقدونيا، والجبل الأسود؛ ومن ثَمَّ فقد أُلحِقَ إقليم كوسوفا بصربيا، وسُلِّمَت بعض الأراضي الألبانية ومَن عليها من سكان ألبانيين إلى جمهوريتي مقدونيا والجبل الأسود، الأمر الذي شتَّت العديد من أفراد الأسرة الواحدة بين هذه الدول.

وقد نصَّ الدستور اليوغسلافي الذي صدر سنة ١٩٤٦م، على (تبعية كوسوفا لصربيا) كإقليم يتمتع بحكم ذاتي؛ مما مثَّل انتهاكًا كبيرًا لحقوق أهل الإقليم، وفوق ذلك فقد ظلَّ هذا الحُكم الذاتي يتقلَّص تدريجيًّا إلى أن أُلغِي بالكامل في دستور سنة ١٩٦٣م.

ولكن بصدور دستور سنة ١٩٧٤م تم تثبيت الحكم الذاتي وتوسيع نطاقه؛ إذ أصبحت كوسوفا بموجبه وحدة فيدرالية واحدة متساوية مع بقية الوحدات الفيدرالية الأخرى في البلاد، وهو ما انطبق على البوسنة أيضًا، الأمر الذي رفضه المسلمون فقاموا سنة ١٩٨١م بثورة شعبية على مستوى كوسوفا كلها، يطالبون فيها باستقلال كوسوفا عن صربيا نهائيًّا، ومنحها حكمًا ذاتيًّا في إطار يوغسلافيا الفيدرالية؛ الشيء الذي جعل السلطات الصربية تأمر القيادات العسكرية بقمع انتفاضة الشعب المسلم؛ حيث نزل الجيش المدجَّج بأفتك أنواع الدبابات، والأسلحة الحديثة التي راحت تحصد المسلمين هنا وهناك.

وقد قُدِّرَ عدد قتلى المسلمين في اليوم الأول فقط من هذا الاجتياح بحوالي ٣٠٠ قتيل، هذا فضلاً عن هدم البيوت، وتدمير المنشات الخدمية، وانتهاك حرمة المساجد والمدارس الدينية، وهتك أعراض الحرائر من أخواتنا المسلمات؛ مما أجَّج الثورة والغضب في نفوس المسلمين، وصاروا يتوقون بشدة إلى إعلان الاستقلال، وهذا ما فعلوه منذ أيام قلائل.

أمَّا عن الواقع الحالي في الإقليم، وكيف اتخذ المسلمون قرار الاستقلال؛ فهذا ما سنتحدث عنه في المقال القادم بإذن الله.

***

(٩)

قصة كوسوفا (٢ من ٤)[1]

تحدثنا في المقال السابق عن تاريخ كوسوفا حتى عام ١٩٨١م، وكيف بدأت المذابح الصربية في هذا العام عقابًا للمسلمين على قيامهم بثورة شعبية للمطالبة بالاستقلال.



ومع كل هذا القمع الشديد استمر المسلمون في المطالبة بحقوقهم إلى بداية انهيار الشيوعية، التي آذنت بتفكك (الاتحاد اليوغسلافي)، وراحت كل جمهورية من جمهورياته تأخذ طريقها نحو الاستقلال التام عن (يوغسلافيا) الفيدرالية، فتوقع المسلمون أنَّ أفول الظلام الماركسي، وظهور نظام جديد في أوربا الشرقية سوف يسمح بالحريات لشعوب المنطقة، ويعطيها الحق في تقرير مصيرها.

وقد امتدَّ هذا حتى شمل جمهوريات (يوغسلافيا)؛ فأعلنت (البوسنة) استقلالها بعد (سلوفينينا) و(كرواتيا) وهنا قامت قيامة أعداء الله، فأعلنوا الحرب على الإسلام والمسلمين، وصرَّحوا على الملأ بأنهم لن يسمحوا بقيام دولة إسلامية في أوربا ثم حدث بعد ذلك ما حدث من الجرائم الوحشية والمذابح الجماعية التي ارتكبت في حق الشعب البوسني المسلم، والتي شهدها العالم بأسره، ولم يحرِّك لها ساكنًا!!

لقد كان ما جرى في البوسنة من مذابح دموية، واغتصابات بالجملة، وجرائم لم

---

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ١٩/ ٣/ ٢٠٠٨م.

تعرف لها البشرية نظيرًا أو حتى شبيهًا مقدمة لما يجري تخطيطه لإقليم كوسوفا المسلم؛ فلقد بدأت الحكومة الصربية مرحلة جديدة من الاعتقالات والتعذيب، والاضطهاد فاقت سابقتها، وفي هذا الصدد ارتكب (الصرب) جرائم كبيرة ضد هذا الشعب المسلم، في ظل صمت مطبق من العالم الإسلامي!!

وظل (الصرب) يمارسون إجراءاتهم القمعية ضد المسلمين في (كوسوفا) طوال الفترة الماضية، ولم يكن أمام الشعب المسلم خيار إلا المقاومة والانتفاضة أمام التجاوزات والتضييق، وسياسة الإفقار والتجهيل الممارسة ضده من طرف (الصرب) المهيمنين على مقاليد البلاد.

لقد بدأت الجرائم الصربية بالتصفيات الجسدية، وتدمير المساجد، والمنازل، واغتصاب المسلمات، وأخذت هذه الجرائم تتوالى على المسلمين؛ فتم إبعاد اللغة الألبانية عن كل تعامل رسمي، ومُنِعَتْ منعًا باتًّا في المدارس والجامعات، وطُرِدَ كل ألباني مسلم من وظيفته العمومية والمراكز الحساسة كالأمن والجيش، وقُتِلَ أكثر من (١٠٠) جندي مسلم خلال خدمتهم العسكرية في الجيش اليوغسلافي الصربي، وجرح أكثر من (٦٠٠) آخرين في حالات اعتداءاتٍ متكررة استهدفت طرد المسلمين من الجيش لمنع المقاومة المسلحة ضد (الصرب).

ومن هنا عمد مسلمو كوسوفا لأسلوب آخر، هو النَّيْل من المستوطنين الصرب، الذين جِيءَ بهم من (كرواتيا) و(البوسنة) و(صربيا) و(الجبل الأسود)، لتحقيق توازن ديمغرافي مع الألبان في (كوسوفا)؛ ففي عام ١٩٨٨م تظاهر نحو (٦ آلاف) من المستوطنين الصرب ضد ما وصفوه بالمضايقات الألبانية. ولم يتأخر ردُّ ديكتاتور (صربيا) الجديد آنذاك المجرم العتيد (سلوبودان ميلوسيفيتش)، فأعلن في سنة ١٩٨٩م إلغاء الحكم الذاتي لـ(كوسوفا)، مُظهرًا وجهًا قوميًّا عنصريًّا سافرًا، ومُعلنًا حمايته للصرب.

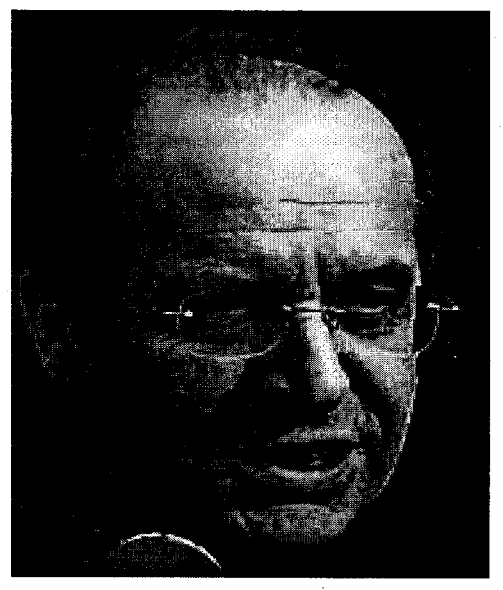
وقد كان خطاب (ميلوسيفيتش) نقطة تحول، ليس على مستوى الأوضاع في (كوسوفا) فحسب، بل على مستوى (يوغوسلافيا) السابقة برمتها، وكان قرار إلغاء



الحكم الذاتي في (كوسوفا) بمنزلة إلغاء لـ(يوغوسلافيا) السابقة، وإعادة ترسيم الخريطة الجغرافية للبلقان بعد انتهاء الحرب الباردة، وانهيار (الاتحاد السوفيتي)، وظهور ما سُمِّيَ في ذلك الوقت بالنظام العالمي الجديد.

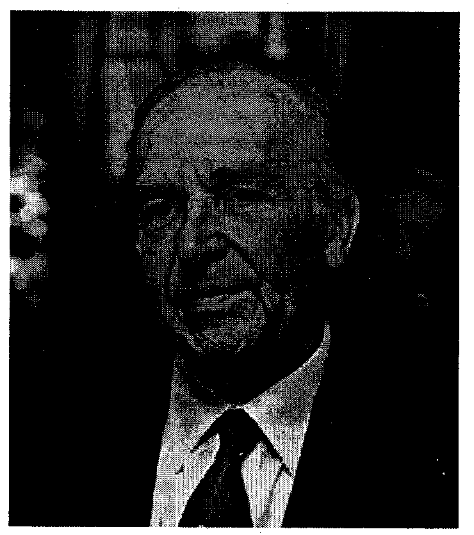
بعد ذلك تطورت الأوضاع وظهرت حركات تطالب بالاستقلال التام عن (يوغوسلافيا)، في كُلٍّ من (كرواتيا) و(سلوفينيا) و(مقدونيا) و(البوسنة) و(كوسوفا)، وجرت مصادمات جديدة بين الصرب والألبان في سنة ١٩٩٠م وأعلنت (كرواتيا) و(سلوفينيا) الاستقلال عن يوغوسلافيا، وطالبت ألبانيا باستقلال كوسوفا.

ولكن الإجرام الصربي بلغ أشده سنة ١٩٩٠م عندما قامت السلطات الصربية بوضع السُّمِّ القاتل في خزانات مياه المدارس بمدن (كوسوفا)، فتسمَّم منها أكثر من سبعة آلاف طفلٍ من أطفال المسلمين، وكانت الحادثة من أبشع الجرائم التي ارتكبها الحقد الصليبي الصربي ضد أطفال المسلمين.



وفي الوقت نفسه أغلقت القوات الصربية جميع المدارس الابتدائية والثانوية الألبانية، وأتبعتها بجامعة (بريشتينا) الألبانية، وقامت بطرد جميع طلابها، كما أغلقت المكتبات المركزية في جميع مناطق (كوسوفا)، وصادرت الكتب العلمية النادرة، ونقلتها بواسطة الشاحنات العسكرية إلى مصانع الورق، لإعادة تصنيعها ورقًا عاديًّا!!

وسط كل هذا برز اسم الزعيم الكوسوفي إبراهيم روجوفا رئيسًا لاتحاد الكتاب الألبان عندما أعلن (ميلوسيفيتش) إلغاء الحكم الذاتي في (كوسوفا)، وفي (١٩٩٠م) طالب روجوفا بإعادة الحكم الذاتي لـ(كوسوفا)، وأعلن عن تشكيل حزب الرابطة الديمقراطية.



قام الشعب الكوسوفي المسلم بإجراء استفتاء عام حول استقلال الإقليم في سبتمبر ١٩٩١م؛ حيث صوَّت لصالح الاستقلال ٩٩ ٪ ممن شارك به، وبناء على الاستفتاء انتُخِبَ روجوفا في (١٩٩٢م) من قِبَلِ شعبه رئيسًا لجمهورية (كوسوفا) التي لم تعترف بها (بلجراد)، وتصاعد الغليان في (كوسوفا) باعتقال عشرات الألبان.

كان روجوفا يعتمد أسلوب الكفاح السلمي في مواجهة الصرب، ولكن هذا الأسلوب أثبت فشله في إنقاذ ألبان كوسوفا، أو حمايتهم؛ مما حدا بالشعب المسلم في (كوسوفا) بالاتجاه إلى العمل المسلح للدفاع عن هويتهم، فتم إنشاء جيش تحرير (كوسوفا)، وهو جيش عسكري يجمع الوطنيين القوميين من أبناء الإقليم، وهو ليس وحده الذي يعمل في ساحة المقاومة، بل هناك حركة الجهاد الإسلامي، وهي حركة إسلامية نشطة أسسها مجموعة من الشباب المسلم الذي تخرج في الجامعات الإسلامية، وشارك بعضهم في الجهاد المسلح ضد (الصرب) في (البوسنة)، وقد قاموا -إلى جانب القيام بأعباء المقاومة المسلحة- بنشاط دعوي وتربوي وتعليمي واسع للحفاظ على هوية الشعب المسلم، وإعداد الشباب المسلم إعدادًا متكاملاً للمشاركة في مقاومة العدوان الصربي الصليبي على بلادهم، وهذه المجموعة المجاهدة انطلقت في جهادها ودعوتها وتعليمها من منهج السُّنَّة الصافي، وواجهت تعتيمًا إعلاميًّا متعمَّدًا؛ لكي لا ينجذب الشباب الكوسوفي إليهم.

في هذا الوقت تم التوصل إلى (اتفاقية دايتون) بين المسلمين في البوسنة والهرسك، وأعدائهم الصرب والكروات في قاعدة دايتون العسكرية بولاية (أوهايو) الأمريكية في (٢١ من نوفمبر ١٩٩٥م)، وتوقيعها بضمانات دولية في (١٤ ديسمبر) من نفس العام في (باريس)؛ مما شجَّع الألبان على المطالبة بالاستقلال.

ولكن صربيا عارضت هذه الاتفاقية؛ لأنها لا ترغب في استقلال كوسوفو الذي يقضي على حلم التوسع الصربي؛ ما دفع بحركة الجهاد الإسلامي الكوسوفية، وجيش تحرير كوسوفو إلى شنٍّ حرب عصابات ضد الجيش وقوات الشرطة الصربية المتواجدة في كوسوفو عام ١٩٩٨/ ١٩٩٩م، وهو ما ردت عليه صربيا بحملات إبادة شديدة في المناطق التي تنطلق منها الحركتان، ومن ثَمَّ وجدت أمريكا وأوربا الفرصة سانحةً للتدخل عسكريًّا ضد صربيا بزعم القضاء على هذه الحملات بعد أن فشلت جهود التفاوض السلمى التى كان آخرها مفاوضات «رامبوييه» مطلع عام ١٩٩٩م نتيجة لتعنت الجانب الصربي في مقابل قبول ألبان كوسوفو للشروط الدولية لحل هذا النزاع، ولكن الهدف الحقيقي للتدخل الأمريكي الأوربي كان التدخل في البلقان لمنع قيام دولة مسلمة حرة في أوربا على غرار ما نفذته الولايات المتحدة في البوسنة. إضافةً إلى ذلك كان إضعاف الحليف الرئيسي لروسيا في منطقة



البلقان، والقضاء على آخر رمز لقوة الروس في أوربا من الأهداف الرئيسية أيضًا؛ إذ إن هذه الضربات لم تكن بالقوة التي تقضي على الصرب، وإنما وضعت قدمًا لأمريكا وحلف شمال الأطلنطي في كوسوفا؛ لكي تتحكم منه في دفة الأمور.

وهو ما تحقق بالضربات الجوية من حلف الناتو لصربيا في مارس ١٩٩٩م إلى أن دخلت القوات البرية لحلف الناتو إقليم كوسوفو في ٩ من يونيو ١٩٩٩م، لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ كوسوفا لا يكون الحكم فيها للطرف الصربي أو للجانب الألباني، وإنما لإدارة مدنية دولية مؤقتة تابعة للأمم المتحدة[١].

***

(١) موقع إسلام أون لاين، الرابط:
http://www.islamonline.net/arabic/politics/2005/07/article11.shtml

(١٠)

قصة كوسوفا (٣ من ٤)[١]

ذكرنا في المقال السابق أن التدخل العسكري الأمريكي الأوربي في كوسوفا كان لمنع قيام دولة مسلمة حرة في أوربا على غرار ما نفَّذته الولايات المتحدة في البوسنة، إضافة إلى ذلك كان إضعاف الحليف الرئيسي لروسيا في منطقة البلقان، والقضاء على آخر رمز لقوة الروس في أوربا من الأهداف الرئيسية أيضًا؛



إذ إن هذه الضربات لم تكن بالقوة التي تقضي على الصرب، وإنما وضعت قدمًا لأمريكا وحلف شمال الأطلنطي في كوسوفا؛ لكي تتحكم منه في دفَّة الأمور، وهو ما تحقق بالضربات الجوية من حلف الناتو لصربيا في مارس ١٩٩٩م إلى أن دخلت القوات البرية لحلف الناتو إقليم كوسوفو في ٩ من يونيو ١٩٩٩م، لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ كوسوفا لا يكون الحكم فيها للطرف الصربي أو للجانب الألباني، وإنما لإدارة مدنية دولية مؤقتة تابعة للأمم المتحدة[٢].

كان الحال ينذر بتفجر الأوضاع مرة أخرى، وهذا ما حدث؛ إذ حدثت صدامات عنيفة بين الألبان والصرب في كوسوفا عام ٢٠٠٣م.

---

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٣٠/ ٣/ ٢٠٠٨م.

(٢) موقع إسلام أون لاين، الرابط:
http://www.islamonline.net/arabic/politics/2005/07/article11.sht

وبناءً على ذلك قامت الولايات المتحدة ومجلس الأمن برعاية مفاوضات الوضع النهائي في كوسوفو التي بدأت في ٢٠٠٥م، ولكن تلك المفاوضات لم تصل إلى شيء؛ لأن صربيا عرضت الحكم الذاتي الموسع لإقليم كوسوفا في حين أصرَّ الألبان على الاستقلال التام.

وبدأت المفاوضات الأخيرة جولة بعد جولة دون نتيجة، وأصبح الخلاف روسيًّا غربيًّا، غطاءً للنزاع الصربي الكوسوفاوي.

في ١٧ من نوفمبر ٢٠٠٧م جرت الانتخابات العامة في كوسوفا على مستوى الرئاسة والبرلمان؛ وفاز بالرئاسة فلاديمير سيديو، وفاز بالأغلبية البرلمانية الحزب الديمقراطي لكوسوفا برئاسة هاشم تقي، ويبلغ تقي من العمر ٣٩ سنة، وقد شهد في حياته الكثير من التقلبات، فهو ينحدر من عائلة شديدة التمسك بقوميتها الألبانية، ومن منطقة درينيتشا الوعرة جغرافيًّا، وحاصل على دبلوم في الفلسفة والتاريخ من جامعة بريشتينا.

ومنذ عام ١٩٩٣م، لجأ تقي إلى سويسرا كالكثيرين من أبناء بلده، لكن لم يطِب به المقام، فعاد إلى كوسوفو لتعبِئة الشباب وتدريبهم على حمل السلاح، فكانوا نواة لما أصبح يُسمَّى بعد ذلك بجيش تحرير كوسوفو (UCK)، ومنذ ذلك الحين دخلت كوسوفو مرحلة تاريخية جديدة، وأصبح هاشم تقي المطلوب الأوَّل للسلطات الصربية.



وبعد التدخل الدولي في كوسوفو وانطلاق المفاوضات حول الوضع القانوني للمنطقة، اختِير هاشم تقي لقيادة الوفد الألباني لمفاوضات رامبووي، وكان عندئذٍ وزيرًا أولاً بالحكومة

الانتقالية بكوسوفو.

ويقول تقي المعروف بدهائِه السياسي: «حتى لو بقينا نتفاوض مائة عام، لن نتوصل إلى اتفاق مع الحكومة الصربية». وقد كشف تقي خلال السنوات الأخيرة على قُدرة فائقة من التعامل مع المتغيِّرات، وتحوّل بسرعة من زعيم للمقاومين إلى رجل دولة، هدفه تحقيق السلام والاستقرار والتنمية في منطقة ٦٠ ٪ من سكانها عاطلين عن العمل.

ومع حلول ١٠/ ١٢/ ٢٠٠٧م موعد تقديم تقرير عن إخفاق المفاوضات إلى الأمم المتحدة مجدَّدًا، بات الاحتمال كبيرًا أن يتم إعلان استقلال كوسوفا من جانب واحد، مع وعودٍ -غير مضمونة- أن يجد اعترافًا غربيًّا، مقابل الرفض الصربي والروسي.

وبالفعل أوصى التقرير الذي أعدَّه مبعوث الأمم المتحدة الخاص إلى إقليم كوسوفو، باستقلال منظم للإقليم عن صربيا يدعمه لفترة أولية وجود دولي مدني وعسكري؛ ففي تقرير موجَّه إلى مجلس الأمن، والأمين العام للأمم المتحدة (بان كي مون)، قال المبعوث الأممي الخاص مارتي أهتيساري: «الاستقلال هو الخيار العملي الوحيد من أجل أن تكون كوسوفو مستقرة سياسيًّا، وتتوفر لها مقومات الاستمرار اقتصاديًّا». وأضاف -حسب الرغبة الأمريكية بالكامل-: «استقلال كوسوفو عن صربيا يجب أن يكون منظمًا، ويدعمه لفترة أولية وجود دولي مدني وعسكري».

وأوصت الخطة الأممية بأن يُمنَح الإقليم حق الالتحاق بالمنظمات الدولية، ويكون له رموز السيادة من جيش ودستور وعلم ونشيد، لكن مع حكم ذاتي موسع للأقلية الصربية المقدرة بنحو ١٠٠ ألف.

وقد وضع الاتحاد الأوربي الخطة قيد التنفيذ بأقصى سرعة، ووصل الاتفاق بين مندوبي الاتحاد الأوربي في بروكسل على صياغة قرار إرسال بَعثة خبراء (١٨٠٠) أوربيين إلى كوسوفا، للمساعدة في تكوين الأجهزة الإدارية والقضائية والأمنية خلال الفترة التالية للاستقلال، وهو قرار اتُّخِذ بالإجماع مع امتناع المندوب القبرصي عن التصويت، وكانت قبرص آخر الدول المعارضة على هذا الصعيد.

لقد قررت أمريكا والاتحاد الأوربي أن يكون استقلال كوسوفا تحت رعايتها، وليس استقلالاً كاملاً يحكم فيه المسلمون الكوسوفيون أنفسهم.

وبالفعل أعلن هاشم تقي استقلال كوسوفا عن صربيا في ١٧ من فبراير ٢٠٠٨م. في هذه الأثناء بدأت الحكومة الصربية استعداداتها الرسمية لفرض حصار على كوسوفا على غرار حصار غزة، يشمل مثلاً قطع الكهرباء وإغلاق الحدود، وإن كان من المستحيل أن يصل إلى مستوى ما يعانيه قطاع غزة؛ نتيجة استمرار الوجود الغربي في كوسوفا.

وقد قامت الولايات المتحدة والاتحاد الأوربي بالاعتراف باستقلال كوسوفا مباشرة، وحتى الآن اعترفت ما يزيد على ٣٠ دولة باستقلال كوسوفا، غالبيتها من أعضاء الاتحاد الأوربي، ورفضت الاعتراف روسيا وصربيا بالطبع، ومعهما عدد من دول أوربا الشرقية، كبلغاريا وقبرص واليونان كذلك.



وفي مفاجأةٍ غريبة لم تعترف باستقلال كوسوفا أية دولة عربية، فيما اعترفت بها خمس دول فقط من ٥٧ دولة أعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، وهي أفغانستان والسنغال وألبانيا وماليزيا، بينما كانت تركيا من أسرع الدول في الاعتراف بها.

لقد رفض العديد من الدول العربية والإسلامية الكبرى الاعتراف باستقلال كوسوفا؛ فمصر عبَّرت عن رفضها، وأنها كانت ترى حصول كوسوفا على حكم ذاتي فقط، وإندونيسيا رفضت الاعتراف كذلك.

يحدث ذلك بينما يرنو مسلمو كوسوفا إلى العالم الإسلامي والعربي بنظرة أمل في الاعتراف والتعاون، فهم يريدون أن تبادر الدول الإسلامية للاعتراف بدولتهم، وقد

طالب رئيس الأئمة بالمشيخة الإسلامية بكوسوفو صبري بايجوري العالم الإسلامي بالاعتراف العاجل والسريع بدولتهم الناشئة التي تتمتع بأغلبية مسلمة تصل نسبتها إلى ٩٦ ٪ من تعداد السكان البالغ نحو مليونين ونصف المليون نسمة، وقال: «نحن في حاجة عاجلة إلى الدعم السياسي أولاً للحفاظ على الاستقلال وتثبيت الدولة، ثم الدعم الاقتصادي ثانيًا للنهوض بهذه الدولة في كافة المجالات».

فما السبب يا تُرى في رفض الدول الإسلامية الاعتراف باستقلال كوسوفا؟

ولماذا رفضت الاعتراف أيضًا بلغاريا وقبرص واليونان؟

ولماذا كانت تركيا من أولى الدول التي سارعت للاعتراف بالاستقلال؟

الإجابة عن هذه الأسئلة ستكون -إن شاء الله- محور حديثنا في المقال القادم. نسأل الله ﷻ أن يعز الإسلام والمسلمين.

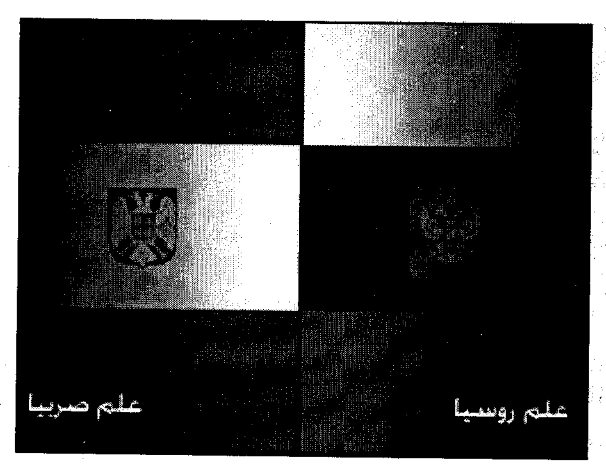
***



(١١)

قصة كوسوفا (٤ من ٤)[1]

تبين لنا من خلال المقالات السابقة أن استقلال كوسوفا كان مطلبًا دائمًا من مسلمي كوسوفا على مدار القرن الماضي، وأن هذا المطلب دفعهم إليه الاضطهاد العنيف الذي لاقوه من الصرب على خلفيَّة عداوتهم للإسلام، والتواطؤ المستمر من الأوربيين رغبةً في الثأر من المسلمين -خاصةً العثمانيين- نتيجة انتصار المسلمين في معركة قوصوه (كوسوفا) على جيش الصرب بقيادة ملكهم لازار.



وقد تبين لنا أيضًا أنهم بذلوا من أجل هذا الاستقلال الكثير من الأرواح والأموال والأمان والاستقرار، ولكن هذا الاستقلال قد حدث بدعم أمريكي غربي واضح؛ وذلك من أجل مقاومة رغبة روسيا في العودة لسابق قوتها، وبسط سيطرتها على جزء من أوربا، كما أنَّ أمريكا ترغب من خلال هذا الدعم لاستقلال كوسوفا المشروط بالمظلة الأمريكية الأوربية أن تُضعِف الحليف الأخير لروسيا في أوربا، والذي يرتبط مع روسيا بروابط الدين المسيحي والمذهب الأرثوذكسي، وكذلك برابط العِرق السلافي.

في الوقت ذاته تسعى أمريكا لبسط سيطرتها على أوربا من خلال التدخل في شئونها الداخلية، وجعل الأوراق الخاصة بها في يدها.

---

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٦/ ٤/ ٢٠٠٨م.

أثناء كل هذا نجد أنَّ أوربا الغربية تسير في رِكابِ الولايات المتحدة، وتنفِّذ ما تأمر الأخيرة به؛ لذا اعترفت أوربا بدولة كوسوفا عقب إعلان استقلالها، مع الأخذ في الاعتبار عداوة أوربا المتأصلة للإسلام؛ مما يزيد من تركيزها على قضايا البلاد المسلمة داخل أوربا، وعلى الجبهة الأخرى وجدنا قليلاً من الدول الأوربية يقف في المعسكر الروسي، كاليونان وقبرص اليونانية وبلغاريا.

والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة هو: أين المسلمون مما يحدث؟

وأين الاعتراف الإسلامي بدولة كوسوفا؟

لقد جاءت ردود أفعال الرسمية للدول الإسلامية مخيبة للآمال في مجملها فيما عدا الموقف التركي، الذي قام بالاعتراف باستقلال كوسوفا مرحِّبًا بعد وقت قصير من إعلان الاستقلال، كما قام أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي التركي أكمل الدين إحسان أوجلو بدعوة الدول الإسلامية إلى الاعتراف بكوسوفا؛ وذلك خلال إحدى القمم الخاصة بدول المؤتمر.



ولعلَّ هذا الاعتراف التركي نابع -إضافةً للأخوة الإسلامية- من أن كوسوفا هو أحد الأقاليم التي قام العثمانيون بفتحها، والانتصار على الصرب فيها، وأنه من الأجزاء القليلة التي ما زال المسلمون يشكلون فيها أغلبية، بعدما قامت أوربا -زمن الضعف العثماني وبعد سقوط الخلافة- بقمع المسلمين واضطهادهم.

ولكن بخلاف الموقف التركي لم يكن ردُّ الفعل العربي والإسلامي على قدر الأحداث؛ ورغم أن الشارع الإسلامي في كافة بلاد العالم الإسلامي قد تفاعل بقوة مع أحداث البوسنة وكوسوفا في التسعينيات، وتولَّد تعاطف كبير مع مأساة المسلمين فيهما إلا أن ردَّ الفعل عند إعلان الاستقلال لم يكن بالشكل المنتظر؛ فغالب الدول الإسلامية لم

تعترف باستقلال كوسوفا بما فيها مصر، التي أعلن أحد مسئولي وزارة خارجيتها أن مصر ترفض استقلال كوسوفا، وتُفضِّل أن لو كانت قد حصلت على حُكم ذاتي في إطار صربيا.

ومصر دولة مهمَّة -لا في القرار العربي والإسلامي فحسب، بل بالنسبة للشعب الكوسوفي نفسه- وذلك لأن أكبر الجاليات العربية في كوسوفا هي الجالية المصرية، ويُرْمَز إليها بنجمة ضمن النجوم الست الممثلة للأقليات الموضوعة على العلم الكوسوفي، ولها مقعد وجوبي في مجلس النواب الكوسوفي، بخلاف ما تحصل عليه من خلال الانتخابات.

كما تعود أهمية مصر إلى التعاطف الشعبي الجارف مع الشعب الكوسوفي المسلم إبَّان الاعتداءات الصربية الغاشمة أواخر التسعينيات.

والموقف الإندونيسي أيضًا كان مخيبًا لآمال الكوسوفيين والمسلمين كافة؛ إذ رفضت إندونيسيا -وعلى وجه العَجَلَة- الاعتراف بالاستقلال.

ونستطيع أن نتبين أن أسباب رفض كثير من الدول الإسلامية الاعتراف بكوسوفا يتمثل في سببين، هما:

الأول: الخشية من تنامي نزعات الاستقلال داخل إطار هذه الدول نفسها، خاصة لو كانت أمريكا وحلفاؤها تسعى لتمزيق هذه الدول من خلال دعم الخارجين عليها، والمنشقين عنها؛ ومن ثَمَّ يصبح تأييدها لاستقلال كوسوفا حُجَّة عليها؛ فمصر -مثلاً- تخشى من ظهور دعوات لانفصال النوبة، أو دعوة لإقامة دولة مسيحية مستقلة في صعيد مصر، وتخشى كذلك من تقسيم العراق، أو انفصال جنوب السودان عن شماله؛ لإقامة دولة مسيحية.

كما تخشى إندونيسيا من انفصال إقليم آتشيه بعدما دعَّم الغرب انفصال تيمور الشرقية، وإقامة دولة مسيحية فيه بعد إقامة مذابح للمسلمين في تيمور.

السبب الثاني لرفض تلك الدول الاعتراف باستقلال كوسوفا، هو عدم رغبة هذه



الدول في إغضاب روسيا وصربيا وشرق أوربا؛ حفاظًا على مصالح هذه الدول العربية.

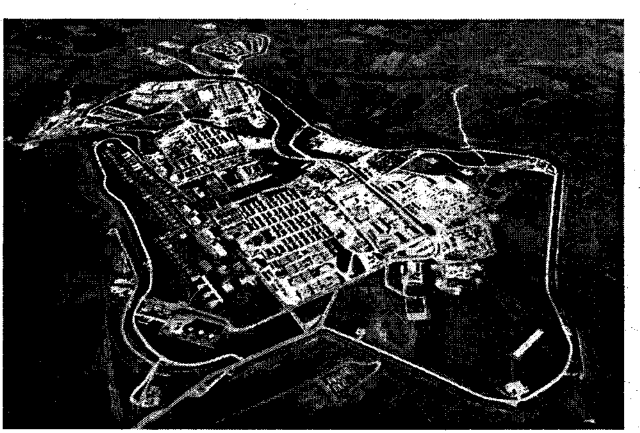
ولكن قد يقول قائل: إن المصالح العربية مع أمريكا أكبر، والخشية من النفوذ الأمريكي لدى الدول العربية لا تُقارَن بأية دولة أخرى؛ لذا فإن وقوف تلك الدول العربية في وجه رغبتها باستقلال كوسوفا قد يجلب عليها الغضب الأمريكي.

وهذا القول صحيح، ولكن الواضح أن أمريكا لا تعتبر استقلال كوسوفا قضية كرامة شخصية، على عكس روسيا وصربيا؛ لذا فإنها قد تتجاوز مع من يعارضها فيها، بعكس روسيا التي لن تتسامح مع من يؤيدون الاستقلال.

كما أن موازنات المصالح قد تدفع بعض الأنظمة الضعيفة إلى محاولة الوقوف في منطقة وسطى بين أمريكا وروسيا؛ فتوافق هذه مرةً، مقابل أنها تسير مع تلك مرات ومرات؛ مما يظهر مواقفها بلون باهت غير مفهوم أو مُبَرَّر أحيانًا.

اللافت للنظر في الموقف أن هناك دولاً أوربية أعلنت رفضها لاستقلال كوسوفا في حين تبدو لا ناقة لها ولا جمل في المسألة؛ فإذا كانت صربيا وروسيا معنيتين بالمقام الأول، فما مبرر بلغاريا واليونان وقبرص اليونانية لرفض الاستقلال، وعدم اللحاق بقطار التأييد الأمريكي الأوربي؟

الواضح من أحداث التاريخ أن هذه الدول ما زالت تعتبر كوسوفا امتدادًا للخلافة الإسلامية العثمانية التي قهرت أوربا زمنًا طويلاً، وفتحت بلغاريا والمجر واليونان حتى وصلت إلى فيينا عاصمة النمسا حاليًا.



لقد عاشت تلك الدول تقتات من مرارة حقدها وكراهيتها للإسلام وممثلته: الخلافة العثمانية، وعلى حين استقر الإسلام في

البوسنة ومقدونيا وكوسوفا، فإن بقية الدول قامت بجهد كبير لاستئصال الإسلام، واضطهاد المسلمين؛ حتى أخرجتهم من أوربا، وظلَّ الإسلام محصورًا في تلك الدول الثلاث، إضافةً إلى ألبانيا.

إن رُوح العداء للإسلام وللخلافة العثمانية هي التي دفعت تلك الدول إلى رفض استقلال كوسوفا، وستدفعها لتأييد روسيا وصربيا في كل خطواتها لتقويض ذلك الاستقلال.

وهكذا تختلف الأسباب، ولكن تتحد الأفعال في النهاية، ولكننا في نهاية القصة نقول:

إن خوف الدول العربية من شبح التقسيم والانفصال إن هي أيدت استقلال كوسوفا لا بد أن يزول؛ لأنه ليس مبرِّرًا لعدم الاعتراف؛ وذلك لسببين:

الأول: أن الحال مختلفة؛ فكوسوفا في الأصل بلد مسلم كان تابعًا للخلافة العثمانية، وبعد سقوطها صار مستقلاً، إلا أنه تم اغتصاب حريته، وضمه قسرًا ليوغسلافيا الشيوعية؛ لِيُحكَم بالحديد والنار من أجل اقتلاع الإسلام منه، وعانى المسلمون فيه من الاضطهاد، والتعذيب، والتغييب عن دينهم، ومن استلاب حرياتهم في العبادة، وفي كل شأن من شئون الحياة؛ لذا هناك فارق مهم للغاية بينها وبين الدول العربية والمسلمة التي تعيش وحدة واحدة منذ تحررها من الاحتلال، وأية محاولة للانفصال لا تعني إلا تمزيق البلد، وينبغي مقاومتها.

الثاني: أن ظهور الرغبة في الانفصال عن الدولة ينشأ في غالب الأحوال نتيجة الظلم، وعدم حصول المواطنين على حرياتهم، ورغبتهم في العيش بكرامة واحترام؛ لذا يجب على تلك الدول -بدلاً من أن ترفض استقلال كوسوفا- أن تحسِّن من حياة مواطنيها، ومن سجلها في مجال حقوق الإنسان، وأن تحرص على إعطاء الشعب حقوقه كاملة غير منقوصة؛ حتى يشعر أنه في بلده، وليس في بلد حكامه؛ ومن ثَمَّ يحاول إنشاء بلدٍ آخر له يسترد فيه كرامته، ويحصل فيه على حقوقه.

نسأل الله ﷻ أن يحفظ كوسوفا وسائر بلاد المسلمين!

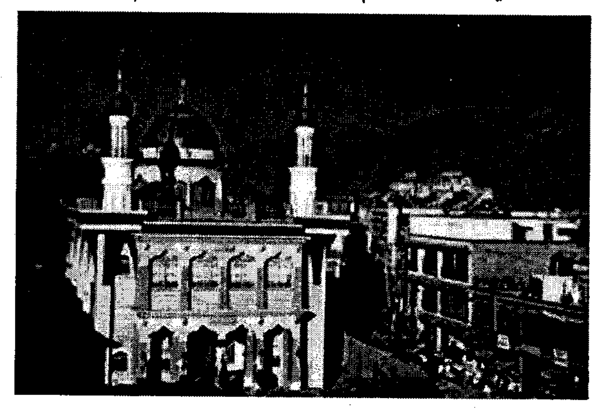
* * *



(١٢)

قصة التبت [1]

يبدو أن الأقليات الإسلامية المنتشرة في أنحاء العالم قد أصبحت كالأيتام على موائد اللئام، هذا ما تبيناه في قصة كوسوفا، وما نتبينه اليوم من قصة المسلمين في التبت.



وإذا كانت أوربا قد حملت عداوة تاريخية للدولة العثمانية لأنها هزمتها، وأخضعت الكثير من الأراضي والممالك الأوربية؛ فإننا لا ندري سببًا لما يحدث للمسلمين في هضبة التبت، التي دخلها الإسلام عن طريق جيرانها، والتجار المسلمين الذين كانوا يأتون للتجارة في هذه البلاد النائية.

وبدايةً لا بد من التعرف على أوضاع التبت نفسها؛ فهي تقع في منطقة منعزلة تحاصرها الجبال في وسط القارة الآسيوية، وتحدها الصين من الشرق، والتركستان الشرقية من الشمال، وكشمير من الغرب، والهند من الجنوب.

أمَّا مساحة التبت فإنها تبلغ مليون و٢٢١ ألف كيلو متر مربع، وعدد سكانها نحو ثلاثة ملايين نسمة، منهم ربع مليون مسلم، وعاصمة التبت تسمى (لاسا).

ظلَّ الغموض يحيط بالتبت فترة طويلة من الزمن بسبب ظروفها الطبيعية وتعقيد تضاريسها ووعورة مسالكها وكونها منطقة معزولة عن العالم الخارجي؛ لذا أطلق عليها بعض الجغرافيين الأوربيين «قلب آسيا الميت».

---

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ١٠/ ٤/ ٢٠٠٨م.

وكانت بلاد التبت تخضع لحكم الصين في فترات قوتها، وتنفصل عنها في فترات ضعفها، وبعد الحرب العالمية الأولى قَوِي الشعور القومي عند أهل التبت، فانفصلت التبت عن الصين، وفي عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م استعادتها الصين، ثم طردت حاكمها المسمَّى (الدلاي لاما) في عام ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م، وأصبحت التبت ولاية صينية منذ ذلك الوقت.

والدلاي لاما هو الزعيم الروحي للبوذيين في التبت، وقد جعل منه الغرب قائدًا وزعيمًا، وتبنَّوه وأظهروه إعلاميًّا؛ لكي يستطيع الغرب التدخل في شئون الصين الخصم العنيد للغرب.

أما عن كيفية وصول الإسلام للتبت؛ فقد وصل الإسلام إلى بلاد التبت عن طريق جيرانها، وسلك إليها من التركستان الشرقية التي تحتلها الصين بالقوة، وتسميها (سنكيانج)؛ في محاولة لإخفاء إسلاميتها.

وقد بدأت العلاقات الإسلامية مبكرة مع سكان التبت، وكان المسلمون الأوائل أصدقاءَ لأهل التبت؛ إذ وصل الإسلام إلى الحدود الغربية لبلاد الصين في نهاية القرن الأول الهجري، عندما فتح المسلمون (كاشغر) وهي لا تبعد كثيرًا عن بلاد التبت.



وفي عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز أرسل أهل التبت وفدًا إلى (الجرّاح بن عبد الله) والي خراسان يلتمسون منه أن يبعث إليهم من يفقههم في الدين الإسلامي، ويقال إنه أرسل إليهم (سليط بن عبد الله الحنفي) لذلك الغرض.

كما كانت هناك صلات طيبة بين الخليفة المهدي العباسي وملك التبت، وقيل أيضًا: إن أحد ملوك التبت أسلم في عهد الخليفة المأمون العباسي.

وكانت تلك جهود بذلها المسلمون لبثِّ الدعوة الإسلامية في بلاد التبت عن طريق

وسط آسيا، وكان ذلك كله هو المحور الأول لوصول الإسلام إلى التبت.

وأما المحور الثاني في نقل الإسلام إلى أهل التبت، فتمثل في وصول الإسلام عن طريق جارتها الغربية كشمير، بعد أن خضع شمال الهند للنفوذ الإسلامي.

فقد غزا الحكام المسلمون بلاد التبت أكثر من مرة بداية من عام ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م، ولكن الأمر لم يقتصر على الغزو، فلقد وصل الدعاة المسلمون إلى التبت من بلاد كشمير وبلاد خراسان ووسط آسيا، وظلَّ الإسلام يحرز تقدمًا في بلاد التبت حتى النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري.

ويوجد في ولاية (لداخ) بالتبت عدد من المولدين يطلق عليهم اسم (الأرغونيين) من أمهات تبتيات وآباء مسلمين من التجار الذين قدموا إلى هذه الولاية، وتزوجوا من نساء التبت بعد إقناعهن بالإسلام، وهؤلاء جميعًا مسلمون، ولقد فعل الجيل المولَّد كما فعل آباؤهم فتزوجوا من نساء التبت وكوّنوا أسرًا مسلمة، وعملوا في سبيل نشر الإسلام، ثم شق الإسلام طريقه من بلاد التبت إلى الولايات الصينية المجاورة.

وكل هذا يعكس اندفاع المسلمين الأوائل لنشر الإسلام في كل مكان، ورغبتهم الحميمة في هداية البشر، ويعكس أيضًا أخلاقهم الحميدة في كل شئون حياتهم؛ مما جذب غير المسلمين من التبت وغيرها للدخول في دين الله ﷻ.

وإضافةً إلى ذلك يعكس رغبة المسلمين في التعايش مع الأمم الأخرى؛ مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وعندما استولى الشيوعيون على حكم الصين ضموا التبت إليهم، وقد كان للمسلمين في التبت دور وطني عظيم في مقاومة الاحتلال الصيني سنة ١٩٢٤م، ولكن الصين كانت تتصف بالقوة العاتية في مواجهة العدد القليل، والأسلحة الضعيفة لأهل التبت؛ فمات الآلاف من المسلمين نتيجة بطش الشيوعيين الصينيين.

وكان أول شيء فعله الصينيون إبان فترة الحكم الشيوعي السابق، هو سلب المسلمين

حريتهم في ممارسة عقيدتهم الدينية، وسلبهم جميع الامتيازات والتسهيلات التجارية الحرة، فأغلقت مؤسساتهم مثل المدارس والمساجد، وحتى لم يسمحوا لهم بأبسط الحقوق كدفن الموتى وفقًا للتقاليد الإسلامية، وفُرض عليهم حظر السفر في البلاد، وتم تجميد ما امتلكوه من سلع، واستمر موقف الصين من المسلمين في التبت عدائيًّا، كما اشترطت السلطات الصينية على المسلمين التبت أن يتخلّوا عن ممتلكاتهم الشخصية مقابل الهجرة إلى أية بلاد إسلامية. كما فرضت عليهم قيودًا ومقاطعات جماعية، إلى جانب منع الناس من بيع أي شيء للمسلمين، فلاقى الكثير منهم حتفهم، كهولاً كانوا أو أطفالاً بسبب المجاعة.

وفي أواخر ١٩٥٩م استطاع مئات من المسلمين الهجرة إلى الهند في بلدانها الحدودية مثل: (دار جلينغ) و(كاليم بونغ) و(نيانتوغ)، ومنها صاروا يتجهون إلى كشمير بين الفترة من ١٩٦١ إلى ١٩٦٤م. واستطاعوا فيما بعد أن يكوِّنوا جمعية لرعاية مسلمي التبت المهاجرين، والتي تكونت بالفعل بمساعدة العالم الإسلامي، وتم بناء ١٤٤ مسكنًا ومسجدًا واحدًا تم الانتهاء منه عام ١٩٨٥م، وهذه المساكن لم تكفِ حاجة المسلمين.

ولولا تلك الظروف القاسية لكان عدد المسلمين في الازدياد بين سكان بلاد التبت، ومع ذلك يقيم في مدينة (لاسا) العاصمة وحدها نحو أربعة آلاف أسرة مسلمة.

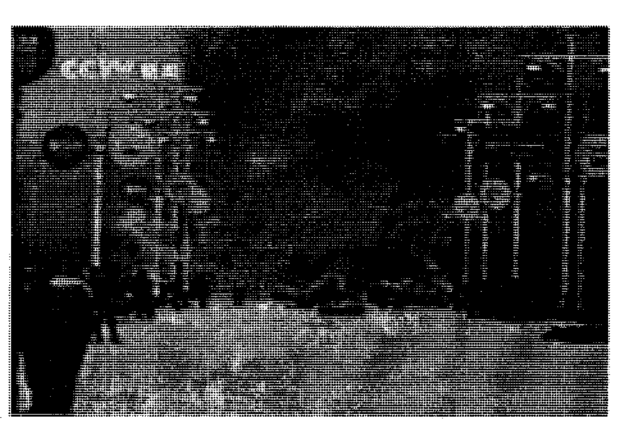


ويشهد الإقليم صحوة إسلامية ملحوظة، إلى حد إعلان أكثر من (٢٠٠) ألف شخص إسلامهم بعد العثور على وثائق تاريخية تشير إلى أصولهم العربية.

وقد تعرَّض الحي الصيني في إقليم التبت الذي تسكنه أقلية «الهوي» المسلمة إلى اعتداءات جسيمة؛ تم فيها إحراق

المسجد الكبير بالعاصمة لاسا، وكذلك إحراق سبع مدارس وخمسة مستشفيات و١٢٠ منزلاً، تقع جميعها ضمن أملاك المسلمين. كما تم إحراق حوالي ٨٤ سيارة، ونهب ٩٠٨ متاجر. وقدرت الخسائر بأكثر من ٢٤٤ مليون يوان (حوالي ٣٤,٥٩ مليون دولار أمريكي).

وذلك كله خلال أعمال الشغب التي وقعت بين الرهبان البوذيين ومؤيديهم من المتظاهرين التبتين البوذيين وقوات الأمن الصينية؛ وذلك للمطالبة بإنهاء السيطرة الصينية على الإقليم والتي تعود لعقود خلت، ولكن المتظاهرين استغلوا المظاهرات ودعوات الاستقلال في تصفية أحقاد دينية ضد المسلمين، وهو ما تجاهلته وسائل الإعلام الغربية أثناء وقوع تلك الأحداث؛ حيث ركزت فقط على متابعة تظاهرات أتباع الدلاي لاما من البوذيين؛ وهذا ما يبرز تعدد المكاييل الخاصة بحقوق الإنسان لدى الغرب، ومنظمات حقوق الإنسان.



وقد حاولت الشرطة الصينية إنقاذ ممتلكات المسلمين في الإقليم، بإغلاق الأحياء الإسلامية في (لاسا)، وحظرت دخول الأحياء إلا للمصلين أو لسكان المنطقة، من أقلية (الهوي) الصينية المسلمة التي يجيد أفرادها إدارة التجارة في الإقليم، حيث يديرون محلات الجزارة ويعملون ببيع الهواتف النقالة وشبابيك الصرف الآلي وتجارة مواد غذائية وإدارة المطاعم.

وربما كان موقف الشرطة الصينية نتيجة قوة المسلمين الاقتصادية؛ مما ينصب على حجم الضرائب الذي يصل لأيدي الإدارة الصينية، أو لرغبتها في عدم توسيع نطاق

المواجهة مع العالم بتحييد العالم الإسلامي في المواجهة بين الصين والغرب.

إننا لا نستطيع توجيه اللوم للغرب في إهماله لما أصاب المسلمين في التبت؛ فهذا عهدنا به، وهذا هو مقتضى العداوة والحرب الصليبية الدائرة منذ مئات السنين، ولكننا نوجه اللوم إلينا -نحن المسلمين- حكامًا ومحكومين؛ لأننا أهملنا إخواننا في العقيدة رغم كل ما يواجهونه.

إن المسلمين في التبت وفي كوسوفا والبوسنة، بل وفي العراق وفلسطين ضحية لتخلِّي أغلب المسلمين عن أداء ما افترضه الله عليهم من واجب الأخوة.

لقد كانت وجود الإسلام والمسلمين في التبت مفاجأة لكثير من المسلمين؛ فكيف ينصر هؤلاء إخوانهم إن لم يكونوا يعلمون بوجودهم، وقد أجرينا على موقعنا استبيانًا حول متابعة المسلمين لأخبار التبت أثناء اشتعال الأزمة؛ فكانت النتيجة أن نسبة من يتابعون أخبار التبت بقوة تبلغ ١,٨ ٪، ونسبة من يتابعونها قليلاً ٨,٥ ٪، بينما كانت النسبة الغالبة لمن لا يعلمون عن التبت والمسلمين فيها شيئًا؛ إذ بلغت نسبتهم ٨٩,٧ ٪.

إن هذه النتيجة تعبر بلا شك عن تقصير بالغ من المسلمين نحو إخوانهم، وهو ما يقتضي تغيير أسلوب حياتنا كلها، وإعادة ترتيب أولوياتنا؛ لنضع نصرة الإسلام والمسلمين، والدفاع عن قضاياهم في مرتبته الواجبة.

نسأل الله أن يعز الإسلام والمسلمين.

***

(١٣)

الذكرى الخامسة لسقوط بغداد[1]

سيظل يوم التاسع من إبريل يومًا حزينًا في أحاسيس كل مسلم مهتم بأمر دينه ووطنه الإسلامي؛ ففي هذا اليوم منذ خمس سنوات في عام ٢٠٠٣م تم سقوط بغداد أمام القوات الأمريكية المعتدية، بعد تخلِّي الجيش العراقي، وفدائيي صدَّام عنها، ونجاتهم بأرواحهم بالاتفاق مع الأمريكان.



ومنذ ذلك اليوم والعراق الشقيق الذي ظل مئات السنين محضن الخلافة الإسلامية يعيش في اضطرابات ومعارك داخلية، وصار يطفو فوق بحر من الدماء.

لم تترك لنا أخبار العراق الدامية طوال هذه السنوات فرصةً للسعادة الحقيقية أو الراحة النفسية؛ فقد ظلت أخبار القتلى الأبرياء، وضحايا إجرام القوات الأمريكية، والصراعات المذهبية، والمرتزقة، ظلَّت تُلِحُّ علينا بكوابيس أقضَّت مضاجعنا، ومنعتنا الراحة.

ومع ذلك فقد كان هناك من المسلمين من أصابه الضجر والسأم من متابعة هذه الأخبار؛ فقلَّل من متابعتها؛ حتى لا تدمي قلبه، أو يأسًا من حدوث تغيير، كما كان هناك من لم يهتم بأمر العراق واحتلاله من الأصل.

---

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ١٧/ ٤/ ٢٠٠٨م.

ولقد وضعنا على موقعنا استبيانًا حول متابعة روَّاد الموقع لأخبار العراق؛ فكانت نسبة من يتابعونها بقوة ٣٠,٥ ٪، ونسبة من يتابعونها قليلاً ٤٢,٩ ٪، بينما كانت نسبة من لا يتابعونها أصلاً ٢٦,٦ ٪.

إذن تمثل نسبة ضعف الاهتمام عمومًا بمتابعة أخبار العراق ٦٩,٥ ٪ من جملة المشاركين، وهذه نسبة ضخمة لا بد من تفسيرها؛ فالأحداث في العراق تجذب الملايين في العالم من مختلف الجنسيات والأديان والمذاهب والاتجاهات الفكرية لمتابعتها؛ فكيف يكون اهتمام المسلمين بها قليلاً؟!

إن قِلّة الاهتمام هذه يمكن تفسيرها بالأسباب التالية:



أولاً: إِلْف المأساة؛ فقد اعتدنا أن تطالعنا الأخبار كل يوم بأخبار العشرات والمئات من القتلى، وبأخبار الصلف الأمريكي في تحكمه في ثروات ومقدرات، وكرامة العراق وأهله، واعتدنا أن نسمع عن تفجيرات في الأسواق، وأن نطالع اعتداءات الشيعة على أهل السنة، وغير ذلك كثير.

كل هذا اعتدناه؛ فلم يعُدْ يؤثِّر فينا بكثير أو قليل. وإلف الشيء يقتل أهميته مهما كانت، والذي لا يستشعر حرارة الدم المسلم المهراق على أيدي أعداء الله يستحق أن ينطبق عليه قول الشاعر:

مَن يَهُن يسهلِ الهوان عليه   ما لجُرْحٍ بميت إيلامُ

وقد رُويَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يَا هَذَا، اتَّقِ اللهَ، وَدَعْ مَا تَصْنَعُ؛ فَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ لَكَ. ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ فَلاَ يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ؛ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ

بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ». ثم قال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۞ كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۞ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ۞ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالله والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٨١]. ثم قال: «كَلاَّ وَالله لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا»[1].

وهذا الحديث وإن كان ضعيفًا إلا أنه يمثِّل حال إلف المجتمع للخطأ أفضل تمثيل؛ إذ يتعود المجتمع على الوضع الخاطئ، فيتعايش معه دون حرج، بل تصبح علاقته بمرتكب الخطأ طبيعية، لا يأمره بخير ولا ينهاه عن شر، فضلاً عن مقاومة أفعاله الفاسدة المخرِّبة.

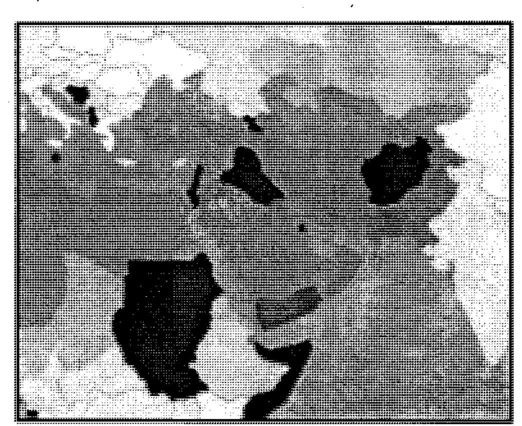
ثانيًا: الإحباط؛ فإن كثرة المصائب، وتواليها قد أصاب الكثيرين بالإحباط واليأس من القدرة على تغيير الأوضاع. إن الأمة الإسلامية تعيش في تدهور وأزمات طاحنة، وتسلط من أعداء الله عليها منذ عشرات السنين؛ إذ تخلَّت بمحض إرادتها عن أسباب النصر المتمثل في تطبيق شرع الله ﷻ تطبيقًا سليمًا، ومن ذلك الأخذ بأسباب القوة والعلم، وفَهْم الأوضاع الدولية؛ فأوكل الله أبناءها إلى أنفسهم؛ فكانت النتيجة أن انتهز أعداء الأمة الفرصة، وتسلَّطوا عليها، وغلبوها على أمرها.

كل هذا جعل هناك أجيالاً لم ترَ زمنًا لعزة الإسلام والمسلمين؛ فكان من الطبيعي أن تشعر هذه الأجيال والجموع بالإحباط واليأس من التغيير.

ثالثًا: كثرة الهموم في العالم الإسلامي؛ فجَنَبَات العالم الإسلامي تَئِنُّ بجراحها، والذي يطَّلِع على خريطة العالم الإسلامي يجد الدماء المسلمة تنزف في مواطن عديدة، وعلى أيدي مجرمين ينتمون لمختلف الأديان والأعراق؛ فجراحنا كثيرة كفلسطين ولبنان

(١) رواه أبو داود (٤٣٣٦) ترقيم محيي الدين، والترمذي (٣٠٤٨) ترقيم أحمد شاكر، وابن ماجه (٤٠٠٦) ترقيم عبد الباقي. قال الشيخ الألباني: ضعيف. انظر حديث رقم (١٨٢٢) في ضعيف الجامع.

والتبت والسودان وأفغانستان والشيشان والبوسنة وكوسوفا وغيرها كثير؛ ومِن ثَمَّ يجد المسلم الملتزم الذي يهتم بأمر المسلمين صعوبة في متابعة السيل المتدفق من الأخبار عن كل جرح نازف من هذه الجروح؛ فيكتفي بمتابعة ما يصل إليه من أخبار، أو بالأخبار الضخمة غير المتكررة يوميًّا.



رابعًا: الأزمات الاقتصادية الطاحنة التي تمر بكثير من بلاد العالم الإسلامي؛ فهذه الأزمات تترك المسلمين تائهين في الأسواق بحثًا عن لقمة العيش، أو عن عمل إضافي، أو عن سعرٍ أرخص لمنتَج أساسي. وحينها لا يصبح للناس حديث إلا عن الدرهم والدينار، وإلا عن الأسعار والغلاء، بل قد يهرب الناس من كل همومهم الداخلية والخارجية وينشغلون بالحديث عن مباراة لكرة القدم، أو عن زواج فنانة، أو عن هروب مستثمر بأموال الشعوب.



خامسًا: شعور المواطن المسلم بالقهر في بلاده وعدم قدرته على التعبير عن رأيه؛ فمن أهم أسباب استمرار المتابعة شعور الفرد بالقدرة على التعبير عن رأيه بحرية في القضايا التي يتابعها، ومِن ثَمَّ شعوره بقدرته على التأثير في مجتمعه، ونشر فكرته، وصولاً إلى شعوره بالقدرة على تغيير الواقع الدامي.

إن الشعوب المقهورة التي فقدت إرادتها، وقدرتها على التغيير، وصلت إلى مرحلة

ابتلاع الألسنة خوفًا ممَّا قد يصيبها من أذى، هذه الشعوب عاجزة عن التغيير، لا أقول في مستقبل العراق، أو فلسطين، أو غيرها، بل عاجزة عن تغيير واقعها هي نفسها.

سادسًا: الصراعات الداخلية الكثيرة في العراق مما جعل الناس تزهد في متابعة الموضوع؛ فقد اشتعلت في العراق -بجوار الحرب بين المسلمين والأمريكان- حروبٌ أخرى وصراعات بين أبناء البلد الواحد، أخذت أشكالاً متعددة، وصورًا شتَّى؛ فهناك صراع مذهبي بين السنة والشيعة سالت فيه دماء أهل السنة أنهارًا، وصاروا لا يأمنون على أنفسهم وذويهم من الشيعة أكثر من خوفهم من الأمريكان.

وهناك صراع على وَحْدة العراق كما يريد السُّنة والمخلصون للعراق والأمة، أو تمزيقه إلى دويلات مستقلة، أو حكم فيدرالي كما يريد الشيعة، وبعض أحزاب الأكراد.

كما اتخذ ذلك الصراع شكلاً تنافسيًّا بين الشيعة بعضهم بعضًا؛ فقامت صراعات بين جيش المهدي وغيره من الشيعة التابعين لمراجع النجف.

كل هذا أشعر الكثيرين أن الأمر قد صار صراعًا داخليًّا، وحربًا أهلية؛ فنأوا بأنفسهم عن متابعتها؛ فالنفس تضيق بالصراعات الداخلية التي تستنزف جهود الأمة، والأجدر بكل من يحمل سلاحًا أن يوجِّهه إلى صدور الأمريكان المعتدين، لا إلى صدر أخيه في الدين والوطن، ولو اختلف معه في المذهب، أو الأهداف والوسائل السياسية.

ورغم كل شيء فإن أمريكا ما زالت موجودة في العراق، فهل اقترب رحيلها أم ما زال أمامها الكثير؟!

هذا بإذن الله سيكون حديثنا في المقال القادم.

* * *

(١٤)

متى سيخرج الأمريكان من العراق؟! [1]

إنه لمن الأسئلة المحيِّرة حقًّا: متى سيخرج الأمريكان من العراق؟!

والدليل على أنه محير ما قمنا به من استبيان على موقعنا بخصوص هذا الأمر، وتوزعت إجابات المتابعين للموقع بشكل يكاد يكون متساويًا بين الاختيارات الثلاثة، فكانت نسبة من رأى أن خروج الأمريكان قريبٌ جدًّا ٣٤ ٪، ونسبة من يرى أن الأمريكان سيخرجون بعد عدَّة سنوات ٣٧,٦ ٪، بينما كانت نسبة من يرى أن الأمريكان سيمكثون في أرض العراق عشرات السنين ٢٨,٤ ٪.

وبدايةً فإنَّ احتلال الجيوش مصيره دومًا إلى الخروج؛ فهذه حقيقة ثابتة أكَّدتها مراحل التاريخ المختلفة، سواء التاريخ الإسلامي أو غير الإسلامي؛ فإن الجيوش عادةً ما تأتي لتستنزف ثروات البلد المحتل، وتظل مسيطرة على الأمور حتى يحدث أحد أمرين: إمَّا أن تنتهي ثروات البلد أو موارده فيصبح وجود الجيوش كُلْفَةً غير منطقية، وإمَّا أن تحدث مقاومة مرهقة للجيوش المحتلة تجعله يخرج رغم أنفه ودون إرادته.

وعند النظر إلى وضع العراق فإننا نرى بلدًا كبيرًا صاحب إمكانيات اقتصادية هائلة، يأتي في مقدمتها كميات ضخمة من البترول تشكِّل ثاني أكبر احتياطي للنفط في العالم، هذه الكميات لن تنضب إلا بعد عشرات السنين فيما نقِّدره نحن بحساباتنا البشرية، وهذا يعني أن الأمريكان لن «يرغبوا» أبدًا في الخروج، فلن يبقى إلا الأمر الآخر وهو أن «يُرغَموا على الخروج»، وهذا ليس أمرًا يسيرًا؛ لأننا نعرف إمكانيات أمريكا وقدراتها، ولكنه في نفس الوقت ليس أمرًا مستحيلاً غير قابل للحدوث؛ فالتاريخ يؤكِّد على خروج القوات المماثلة لأمريكا، بل والأعتى منها من البلاد المحتلة، سواء طال الزمان أو قصر.

---

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٢٤/ ٤/ ٢٠٠٨م.

إذن لكي تستطيع أن تجيب عن سؤال: متى سيخرج الأمريكان من العراق؟ لا بد أن تنظر أولاً إلى عملية المقاومة العراقية وآلياتها، فإن كانت في أعلى درجات الجودة؛ فخروج الأمريكان قريب جدًّا، وإن كانت تسير في اتجاه صحيح ولكن ببطء نسبي؛ فالخروج سيكون بعد عدة سنوات، وأمَّا إن كانت تسير في طريق خاطئ فسيبقى الأمريكان عشرات السنين، ولن يخرجوا إلا عندما يأتي جيل من الصالحين المصلحين المخلصين الذين يتحركون بسرعة في الطريق الصحيح؛ فيحدث الخروج المنشود المحتمل في وقت قصير.

وعليه فإننا يجب أن نعرف صفات المقاومة الصحيحة ومقوماتها؛ لكي نحكم على المقاومة العراقية، وبالتالي نقدِّر المدة التي سيبقى فيها الأمريكان في البلد.

والمقاومة الصحيحة في المنظور الإسلامي تتفق في أمور مع أي مقاومة شرعية في العالم، ولكنها تختلف كذلك في أمور أخرى. وعلى العموم فإن المقاومة التي ننشدها هي المقاومة التي تقاتل في سبيل الله، وليس من أهدافها مُلْكٌ ولا سلطان، ولا ثروة ولا مال، بل لا تبحث إلا عن رضا الله ﷻ، وتتخذ سبيل المقاومة كأحد السُّبل الرئيسية للجَنَّة، وليس عندها لَبْسٌ لا من قريب ولا من بعيد بخصوص هذا الشأن. ثم إنها في نفس الوقت مقاومة متحدة غير متفرقة، تجمع كل جهودها في اتجاه واحد، ولها زعامة واحدة، وأهداف واحدة، ومناهج واحدة، والجميع فيها يعمل على قلب رجل واحد، وليس فيها صراعات جانبية، ولا شقاقات داخلية. وأخيرًا فإنها مقاومة محترفة تنتهج أفضل الأساليب المتاحة لديها، وتأخذ بكل الأسباب الممكنة، وتتسم بعمق سياسي، وكفاءة عسكرية، وقدرات ممتازة، وليس بالضرورة أبدًا أن تكون هذه القدرات مكافئة لقدرات العدو، بل كل ما هو مطلوب أن تبذل المقاومة وسعها بحسب الإمكانيات المتاحة، فالله لا يكلِّف نفسًا إلا وسعها، ولكنه سبحانه -في ذات الوقت- لا يبارك في عمل لم تُبْذَل فيه كل الجهود الممكنة.

إذن المقاومة الصحيحة في المنظور الإسلامي هي مقاومة مخلصة لله تبحث عن رضاه،

وهي مقاومة متحدة غير متفرقة، وهي -في ذات الوقت- تستنفد كل وسعها، وتأخذ بكل الأسباب المتاحة.

فأين المقاومة العراقية من هذا الوصف؟

الإجابة عن هذا السؤال هي التي تحدِّد الإجابة عن سؤال: متى تخرج أمريكا من العراق؟! ولكن هذا حديث آخر يحتاج إلى مقال آخر!

ويا ليتنا نتلقَّى آراءكم في هذا الموضوع، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

* * *



(١٥)

المقاومة العراقية[1]

لا شك أن المقاومة العراقية أحدثت الكثير من الإصابات والآلام في الجيش الأمريكي المحتل، وتطالعنا الأخبار يوميًّا بمقتل عدد من الجنود الأمريكان وتفجير المعدات الحربية؛ مما يؤكد مرارًا على أن دخول الأمريكان إلى العراق لم ولن يكون نزهة عسكرية بسيطة، ولعل ما يؤكد على الأثر المهم الذي تحدثه المقاومة العراقية هو صيحات الرفض المتكررة التي نراها في أمريكا تطالب بسحب القوات الأمريكية من العراق بعد رؤية خسائر لم تكن متوقعة، ونتائج لم تكن محسوبة.



كل هذا يؤكد أن هذه المقاومة الباسلة تُحدِث أثرًا لا يمكن إغفاله.

لكن من هم المقاومون العراقيون؟ وما توجُّهاتهم؟ وما خططهم المستقبلية؟

إنك إن سألت مسلمًا -أيًّا كانت ثقافته ودرايته- عن المقاومة العراقية فإنه سيتردد كثيرًا قبل الإجابة!

فلماذا التردد؟!

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ١/ ٥/ ٢٠٠٨.

لأن واقع الأمر يقول: إنه ليس هناك كيان واضح معروف اسمه المقاومة العراقية، وليس هناك قائد معين محدَّد تستطيع أن تقول إنه هو الذي يقود هذه المقاومة، ومَرَدُّ هذا الإبهام هو كثرة عدد الفصائل القائمة بمقاومة الاحتلال، حتى صارت أكثر من خمسين فصيلاً! وهذه الكثرة رغم أنها تعكس صورة إيجابية تمثل كثرة الرافضين للاحتلال الأمريكي إلا أنها في الوقت نفسه تعكس فُرقة في الصفِّ وعْدم توحيد الاتجاه، وهذا - ولا شك- يؤثر سلبًا على المقاومة، وفي نفس الوقت يشتِّت المحلِّل للأحداث، فترانا لا ندري من هذا ومن ذاك.

إن رسولنا ﷺ يقول بوضوح: «يد الله مع الجماعة»[1]. وإذا فَقِه المقاومون في العراق هذه الحقيقة، ووحَّدوا جهودهم، فلا شك أن هذا سيكون من أهم عوامل النجاح والتأثير.

ولا ننكر أن الوَحْدة تحتاج إلى جهد كبير، وإلى صبر عظيم، هكذا قال الله ﷻ: ﴿وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَّ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]؛ فعدم التنازع وتوحيد الاتجاه يحتاج إلى صبر، وإلى تنازلٍ عن بعض الآراء الخاصة، والمصالح الذاتية في سبيل توحيد المجموع في كيان كبير.

ولعل من النقاط التي تُصعِّب عملية الوحدة في العراق هي التوجُّهات المختلفة لهذه الفصائل الكثيرة، ويمكن أن نقول إجمالاً: إنها تنقسم إلى ثلاثة اتجاهات رئيسية: إسلاميَّة وقوميَّة ووطنيَّة؛ وكل من هذه الاتجاهات يحوي في داخله عددًا كبيرًا من الجماعات والرؤى المختلفة ممَّا يصعب الوحدة بشكل أكبر.

ومع ذلك فإن هناك بوادر طيبة تشير إلى بدء مشروع الوحدة بين بعض الفصائل، وإن لم يكن في الصورة الكاملة المنشودة، فهناك على سبيل المثال المجلس السياسي للمقاومة العراقية المتكوِّن من اتحاد الجبهة الإسلامية للمقاومة العراقية، وحركة المقاومة

(١)رواه الترمذي (٢١٦٦) ترقيم أحمد شاكر، وقال الشيخ الألباني: صحيح. انظر حديث رقم (٣٦٢١) في صحيح الجامع.

الإسلامية بالعراق، وجبهة الجهاد والإصلاح التي تضم بدورها عددًا من الفصائل الإسلامية الجهادية، وهناك أيضًا جبهة الجهاد والتغيير وهي تضم عددًا آخر من الفصائل المقاومة، وهكذا.

إن هذه الحركات التوحدية بين هذه الفصائل لبداية طيبة لمقاومة رشيدة واعية، ومع ذلك فأنا لا أعتقد أن مجرد الوحدة ستنفع في هذا الأمر، بل لا بد من الاندماج الكامل في كيان واحد يتفق عليه المجموع؛ بحيث يصبح كيان المقاومة العراقية كيانًا واضحًا صاحب اتجاه واحد.

وهذا وإن كان صعبًا إلا أنه ليس مستحيلاً بإذن الله.

إن الذي يجمع الفصائل المختلفة الآن هو وجود الاحتلال الأمريكي، ويُخشَى جدًّا على رجال المقاومة العراقية أن يدخلوا في صراعات جانبية كثيرة بعد خروج الأمريكان من العراق، هذا إذا لم يكن اندماجهم كاملاً، ورؤيتهم واحدة وواضحة، وليست قصة أفغانستان منَّا ببعيد!

لقد نجحت «الفصائل» الأفغانية المختلفة في إخراج الروس من أفغانستان سنة ١٩٨٩م، ولكن -للأسف الشديد- وقعت فريسة للتنازع والصراع الداخلي؛ مما أدى إلى تدهور الأوضاع بشكل مخيف، وصل بنا إلى الحال الذي نحن فيه الآن حيث يحكم أفغانستانَ الأمريكان من وراء حكومة متعاونة معهم بشكل سافر.

إن هذا الكلام في منتهى الأهمية والخطورة، خاصةً ونحن نرى الأطماع الإيرانية الواضحة في العراق، ولا يُستَبْعَد أن يخرج العراقيون من أزمة الأمريكان ليجدوا أنفسهم -إن لم يتوحدوا صدقًا- فريسة للاحتلال الإيراني، سواء السياسي أو العسكري.

وأخيرًا مع أننا دائمًا نؤكِّد على الحرص على إسلامية القضية وتوجيه العمل كله لله، إلا أننا لا نمانع في وضع اليد في اليد مع الفصائل القومية والوطنية من أجل عمل واحد نبيل، هو تحرير العراق من الاحتلال.

على أن هذه الخطوة لا بد أن تكون بمعايير واضحة، وأسس ثابتة، وقوانين لا تحتمل التأويل؛ لكي لا يحدث صراع غير محمود؛ نظرًا لاختلاف التوجهات وتعدد الأهداف، وما أحداث الصراع بين التوجهات العلمانية الفلسطينية وبين حماس الإسلامية بخافية على أحد!!

إننا نعلم علمًا يقينًا أن المقاومة العراقية ستفلح -بإذن الله- في هزيمة الأعداء، وتحرير البلاد الإسلامية، ولكن ما نحرص عليه بشدة هو أن ينجح العراقيون في حفظ بلادهم في مرحلة ما بعد الانتصار، ولا يقولَنَّ أحد: عندما يأتي الانتصار نفكر في هذا الأمر، فإنه آتٍ لا محالة بإذن الله، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

***



(١٦)

مشكلة الغلاء في بلاد الإسلام[١]

لم يبقَ مواطن في معظم أقطار العالم الإسلامي تقريبًا إلا ويعاني من مشكلة الغلاء، فهو لم يضرب بلدًا بعينه إنما ضرب معظم البلدان، وتأثر به الجميع تقريبًا، وانطلق المفكرون والمحللون، وكذلك المسئولون الحكوميون يتكلمون عن الأسباب المنطقية لهذا الغلاء، ووسائل العلاج المقترحة.



ويُكثر المسئولون الحكوميون من مقولة: إن الغلاء مشكلة عالمية وليست محلية، وإن التغيرات الهائلة في اقتصاديات كثير من الدول الكبرى أدَّت إلى هذه الكارثة. وهذا -لا شك- يمثِّل أحد العوامل في المشكلة، وخاصةً أن بعض الدول الرأسمالية كأمريكا وغرب أوربا تستفيد كثيرًا من رفع الأسعار، بل إنها أحيانًا تسعى إلى إلقاء بعض محاصيلها في البحر لكي تحافظ على السعر المرتفع للمنتج!

نقول: نعم إن هذا هو أحد الأسباب، لكننا نقول في نفس الوقت: إنه أقل الأسباب أهمية؛ حيث إن الدولة صاحبة الاقتصاد القوي، والإنتاج الغزير، والتنمية الحقيقية ستصمد حتمًا أمام هذه التغيرات هنا وهناك، بدليل أننا لا نجد معاناة في الدول الغربية برغم ارتفاع الأسعار؛ وذلك لقوة الاقتصاد، وتوفُّر الحد الأدنى من المعيشة الكريمة لمعظم المواطنين.

---

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٨/ ٥/ ٢٠٠٨م.

وعلى ذلك فعلى المسئولين الحكوميين أن يبحثوا عن أسباب أخرى لمثل هذه المشكلة الكارثية.



ولعلَّ من أبرز الأسباب التي نراها وراء هذا الغلاء البشع هو أن مقدرات العالم الإسلامي -في معظمه- منهوبة ومسروقة، والذي نهبها وسرقها ليس الاحتلال الغربي أو الرأسمالية العالمية، إنما هم في الأساس المسئولون المكلَّفون بحمايتها من النهب والسرقة! أي كما يقول المثل المصري الشهير «حاميها حراميها». وأحيانًا يكون النهب والسرقة بالقانون ودون مخالفات تستوجب الملاحقة! ومن أبرز أمثلة ذلك الأجور المبالغ فيها لكثير من المسئولين.

فالمفترض في كل مؤسسات العالم «المحترم» أن راتب أعلى سلطة في المؤسسة لا يجب أن يزيد على خمسة عشر ضعفًا لراتب أصغر موظف في الشركة، وأن وجود فوارق أكبر من هذا أمرٌ يرسخ الطبقية الشديدة في المجتمع، والتي قد تؤدِّي بالتبعية إلى عدم استقراره؛ فإذا نظرنا إلى العالم الإسلامي فإننا نجد أن راتب أعلى سلطة في معظم المؤسسات قد يزيد على راتب أصغر موظف بأكثر من ألف ضعف!! وهذه النسبة ليست مبالغة مني، بل هي واقع مرير تعيشه الأمة الإسلامية؛ فالكثير من المسئولين في العالم الإسلامي يتقاضون راتبًا شهريًّا يتجاوز الخمسين ألف دولار (دون مبالغة)، وهو راتب أعلى من رواتب معظم المسئولين في أكبر دول العالم!

هذا غير المخصصات لكل مسئول من سيارات وسفريات وعلاج على حساب الدولة وأراضٍ وحفلات وترفيه وهدايا وجوائز وغير ذلك، وأمثلة النهب بالقانون كثيرة ولا يتسع المجال لذكرها.

ثم هناك النهب والسرقة من وراء القانون.

وما الفارق بين النهب والسرقة؟!

النهب هو الاستيلاء على أموال الغير وأملاكهم في وضح النهار ودون خفاء (عيني عينك!)، وذلك مثل الإتاوات التي تُفرَض على سائقي الميكروباص والنقل والتاكسي، ومثل إتاوات استخراج تراخيص البناء والكهرباء والتعلية للأدوار، ومثل إتاوات القبول في بعض الكليات العسكرية، ومثل إتاوات التعيين في بعض المناصب المرموقة، أو الترشيح في الانتخابات، وغير ذلك من صور.

وهذا النهب هو ما أشار إليه رسول الله ﷺ، وهو يحذر كل مسئول من هذا السلوك المشين حين قال: «**لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِن**»[1].

أي ينهب شيئًا أمام الناس، وهم يرفعون أبصارهم يشاهدونه، ولكنهم لا يقدرون على منعه لتسلُّطه وتجبره.

وأمَّا السرقة فهي السيطرة على مقدرات الشعب والأموال العامة من وراء الستار، مثل عمليات الاختلاس والرشوة والتلاعب بميزانيات المشروعات الكبرى، ولن تجد صحيفة يومية في بلاد الإسلام إلا وترى فيها خبرًا عن هروب مسئول بأموال الشعب، وذلك كل يوم!

هذا الفساد الرهيب في معظم بلاد العالم الإسلامي يبتلع أي زيادة في الإنتاج، ويضيِّع كل فرصة للخروج من الأزمة.

لكن لا بد من الوقفة والتساؤل؟!

لماذا ابتليت الأمة الإسلامية بهذا الفساد المنظم؟ حتى قال بعضهم: إننا يجب أن

---

(١) البخاري: كتاب المظالم، باب النهبى بغير إذن صاحبه (٢٣٤٣)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله (٥٧).

نكفَّ الحديث عن فساد الإدارة، ولنبدأ في الكلام عن إدارة الفساد!! بمعنى أن الفساد أصبح أمرًا واقعًا لا مفرَّ منه، فلنبحث عن طريقة لإدارته وتقنينه!

إنه من الواضح أن الأمة الإسلامية وقعت في خطأ فادح قاد إلى حدوث هذا الفساد المنظم، ولا بد أن هذا الخطأ متكرر وثابت بشكل جعل الفساد متكررًا، وثابتًا أيضًا.

وفي رؤيتي أن هذا الخطأ الفادح هو البُعد عن الدين!

وبدايةً وقبل التحليل فإنني أقول للقراء: إنني لست درويشًا يطلب من الناس أن يكتفوا بحلقة ذكر، أو قيام ركعتين ثم تنفرج الأزمة بإذن الله! إنني أعلم أن هذا مخالف لسنة الله في التغيير، فمع أهمية الذكر والصلاة وعظمتهما إلا أنه لا بد أن يصاحبهما عمل كثير.

إن الدين الإسلامي دين شامل متكامل لا يصلح أن نأخذ منه ونترك، بل علينا أن نقبله كاملاً، وعندها يُخرِجنا من كل أزماتنا.

إن الدين الإسلامي يأمرنا أن نتقن أعمالنا، وأن نتفوق في كل مجال، فإذا بنا نطالع الإحصائيات التي تقول إن المسلمين لا يعملون أكثر من نصف ساعة يوميًّا في المتوسط إذا حسبنا الإجازات والاستثناءات، وتضييع الأوقات، والعمالة الزائدة، والبطالة المقنعة وغير المقنعة، وتمثيلية الحضور والانصراف.

والدين الإسلامي يأمرنا بأداء الزكاة، فإذا بنا نشاهد أنها لا تُجمَع ولا يُكترَث بها، وهذا يؤدي إلى كوارث لا حدَّ لها، ليس فقط على المستوى الاقتصادي بل على المستوى الاجتماعي والأمني كذلك؛ بسبب ترسخ الكراهية بين الأغنياء والفقراء. وما أروع ما رُوي عن رسول الله ﷺ حين علَّل مشكلة الغلاء قائلاً: **«إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم قدر الذي يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إلا إذا جاعوا وعروا مما يصنع أغنياؤهم، ألا وإن الله محاسبهم يوم القيامة حسابًا شديدًا، ومعذبهم عذابًا نُكرًا»**[1].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط برقم (٣٥٧٩)، والصغير برقم (٤٥٣)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب (٤٦٢).

والدين الإسلامي يأمرنا بتجنُّب الربا؛ لأنه يزيد الغنيَّ غنىً، ويزيد الفقير فقرًا، وفيه ظلم فادح للمحتاجين، وقد بلغ تحريم الربا في الإسلام درجة عظيمة حتى عدَّه ربُّنا محاربة له ولرسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩].

والدين الإسلامي يأمرنا بالمساواة أمام القضاء بين جميع الناس، فلا غني ولا فقير، ولا حاكم ولا محكوم، ولا مسلم ولا غير مسلم، إنما الحق هو الذي يجب أن يُتَّبَع، وإن لم يحدث هذا فلا بد أن نتوقع الهَلَكَة.

قال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحُدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»[1].

ونحن نشاهد التباين العجيب في قرارات القضاء في بلاد العالم الإسلامي، وما أغرب المفارقة حين صدر حكم بالسجن عدَّة أعوام على من يطالب بالإصلاح في نفس اليوم الذي صدر فيه حكم بالبراءة على من يتعامل في الدم الفاسد!!

إن أمثلة البعد عن الدين لا تُحصَى في مقال واحد، ولن يُصلِح الله ﷻ حال أمة تثور فقط من أجل لقمة العيش، ولا تحرِّك ساكنًا عند تغييب شرع الله.

إن الله ﷻ يربط بشكل واضح البركة في الرزق وانخفاض الأسعار بطاعته واتباع أوامره سبحانه، فيقول في سورة الأعراف: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

ويقول رسول الله ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسُ خِصَالٍ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ -وَأَعُوذُ

---

(١) البخاري: كتاب الأنبياء، باب «أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم» (٣٢٨٨). مسلم: كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود (١٦٨٨).

بِالله أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ-: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُؤْنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلاَ الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ الله وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ الله وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ إِلاَّ جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»[1].

إنه في هذه الحالة الإيمانية المتردية لا نستغرب أن يحدث الغلاء، وأن ترتفع الأسعار، وسوف تتعدد أسباب ذلك أمام أعيننا، فيكون تارةً تسلُّط حاكم ظالم، وتارة أخرى شيوع الفساد في المسئولين، وتارة ثالثة في احتلال أجنبي، ورابعة في رأسمالية جشعة، وخامسة في زلزال أو جراد، وسادسة في غير ذلك من صور الإهلاك.

إن الأسباب قد تتعدَّد أمام أعيننا، لكن يبقى السبب الرئيسي للأزمة هو بُعدنا عن خالقنا ورازقنا، ومن ثَمَّ يبقى الحل الأول للخروج من الأزمة هو العودة غير المشروطة إليه، وعندها لن تنصلح دنيانا فقط، بل وآخرتنا أيضًا.

ونسأل الله أن يعز الإسلام والمسلمين!

* * *

(١) رواه ابن ماجه (٤٠١٩) ترقيم عبد الباقي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٧٦١)، وفي صحيح الجامع (٧٩٧٨).



(١٧)

فلسطين ما زالت حية[١]

هذه الكلمة العميقة «فلسطين ما زالت حية» رأيتها مكتوبة على جدران جراج العمارة التي أسكن فيها، وحاولت قدر استطاعتي مدةَ شهر أن أعرف من الذي كتبها ولكني فشلت، وأخيرًا -وبعد شهر- عرفتُ من الذي كتبها! إنها ابنتي ذات الثلاث عشرة سنة!



وكم كنت سعيدًا لهذا الاكتشاف!

إن له دلالة في غاية العمق..

وهي أن فلسطين -فعلاً- ما زالت حية.

إن هذا الجيل الذي عاصر مباحثات السلام، وشاهد مؤامرات البيع للأرض والعرض، ولم ير الجهاد والقتال والصدام، كان يُخشَى عليه أشد الخشية من غياب الرؤية الواضحة، أو نسيان الوطن المسلوب.

لكن تثبت لنا الأيام أن فلسطين -بفضل الله- ما زالت محفورة في قلوب المسلمين، حتى أولئك الأطفال الذين لم يدرسوا إلا مناهج حرصت على عدم وصم اليهود

---

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ١٦/ ٥/ ٢٠٠٨م.

بالأعداء، ودأبت على ترسيخ مفهوم السلام فقط، بصرف النظر عن الظلم والقهر والبطش والإبادة.

إن فلسطين ما زالت حية في قلوب كل المسلمين.

لقد كنتُ الأسبوع الماضي في زيارة مؤتمر كبير للمسلمين في فرنسا، ووجدتُ أن المؤتمر قد أفرد محاضرة عن المسجد الأقصى وفضله وأهمية الحفاظ عليه وعلى القدس وفلسطين، وعلمت من أفراد الجالية أنهم حضروا منذ أسبوعين مؤتمرًا آخر خُصِّص لقضية فلسطين فقط، وجُمِعَت فيه أموال كثيرة لرعاية اليتامى والفقراء هناك، وتبادل فيه الحاضرون الحديث مع أهل غزة عبر الهاتف يطمئنون على أحوالهم، ويشجعونهم ويؤيدونهم.

إن هذا يحدث مع الجالية المسلمة في فرنسا رغم كل التحديات التي تقابل الجالية، ومع كل الهموم الخاصة التي تعيشها، ورغم كل الحملة الصهيونية المضادة، ورغم كل الهجوم على الإسلام، ورغم الوصف المستمر لكل من تعامل مع قضية فلسطين بأنه إرهابي أو مشروع إرهابي.



إن القضية -مع كل خطورتها وصعوبتها- لم تُنزَع من قلوب المسلمين هناك، وما رأيته وسمعته في فرنسا، رأيته وسمعته كذلك في أمريكا وكندا وإيطاليا وإنجلترا، وغيرها من البلاد الغربية.

إن فلسطين ما زالت حية.

إن حصار غزة السابق والحالي قد ألهب مشاعر المسلمين في كل مكان، حتى رأينا الجميع يساهم بكلمة أو

موقف أو مال أو دعاء، حتى ساهم في هذا الشعور بعض من لا يصلي أصلاً ولا يصوم!!

إن هذا له دلالة واضحة، وهي أن القضية متغلغلة بعمق في سويداء قلب كل المسلمين؛ ففلسطين ليست أرضًا عادية.

إنها الأرض الإسلامية التي شهدت الإسلام منذ أيامه الأولى.

إنها الأرض التي احتضنت أولى القبلتين، وثالث الحرمين، ومسرى رسول الله ﷺ.

إنها الأرض التي سار فيها وعاش عليها، ودُفِن في باطنها أغلب الأنبياء والمرسلين.

إنها أرض حطين وعين جالوت.

إنها أرض التاريخ المجيد، والواقع السعيد عمَّا قريب بإذن الله.

إن فلسطين ما زالت حية؛ لأننا ما زلنا نرى فيها رجالاً صامدين، لم يبدِّلوا ولم يغيروا، رؤيتهم واضحة، وعزيمتهم قوية، وآمالهم عريضة، ومنهجهم قرآن وسنة، وطريقهم طريق رسول الله ﷺ.

وفلسطين ما زالت حية؛ لأننا نرى فيها نساء هن أشبه ما يكون بنساء الصحابة، اللاتي اعتدن على رؤية أبنائهن وأزواجهن وإخوانهن وآبائهن شهداء، فلم يجزعن، ولم ييأسن، بل أكملن الطريق بكل حمية، يحركن نفوس الأجيال القادمة لاستكمال مسيرة الإخوة والآباء.



وفلسطين ما زالت حية بأطفالها الصغار الذين علَّموا كبار العالم وشيوخه كيف يكون الصمود والثبات، والذين يدرسون ويتحركون ويروحون

ويجيئون -بل ويلعبون- تحت قصف الطائرات، وضرب المدافع والدبابات.

إن مرور ستين سنة على الاحتلال الصهيوني البغيض لا يجب أبدًا أن يسرِّب اليأس إلى قلوبنا. إننا لا نشك لحظة واحدة في أن اليهود راحلون حتمًا.. إن هذه الأرض المباركة ستظل مباركة إلى يوم القيامة، ولن يدوم الظلم أو يستقر الباطل.

إن النهاية سعيدة بإذن الله.

لكن ما ينبغي أن ندركه أن فلسطين ما هي إلا اختبار!

إنه اختبار لدرجة الإيمان في قلوبنا.

إن اشتعال قضية فلسطين في قلوبنا أو فتورها لَدلالة على قوة الإيمان في قلوبنا أو ضعفه.



إن الذي يفرِّط في الأرض المباركة سيفرِّط في أشياء كثيرة أخرى.

والذي ما زال متذكرًا للقضية، عاملاً لنصرتها، ستجده في نفس الوقت محافظًا على بنود الشريعة الأخرى بكل حرص واهتمام.

إننا نسمع أحيانًا بعض الدعاوى الفارغة من هنا وهناك تنادي بأن نترك هذه القضية جانبًا، ونناقش قضايانا الخاصة الكثيرة في مصر والجزائر والسودان، وفي فرنسا وألمانيا وأمريكا.

إن الذي يفكر بهذه الطريقة ستجده مفرِّطًا في كل قضاياه؛ فالدين لا يتجزأ، والشريعة تفرض على متبعيها أن يأخذوها كاملةً غير منقوصة. وأيُّ تمام وكمال نتوقع إذا

فرَّطنا في بقعة من أعظم بقاع الإسلام، وفي ركن من أهم أركان الدين؟!

إن فلسطين ما زالت حية، ونصرها قريب بإذن الله. إن الإرهاصات المعاصرة جميعها تشير إلى أن لحظة الفرج قد اقتربت.

إن الابتلاء والتمحيص اللذين يشتدان في فلسطين لعلامة واضحة على قرب الخروج من الأزمة، وإن الآلام اليهودية المشاهدة، والهجرة العكسية لليهود من فلسطين إلى أوربا وأمريكا، لخير دليل على أن دولة الظلم في طريقها إلى الانهيار والسقوط.

إن كلامي هذا ليس كلامًا عاطفيًّا محضًا، إنه مؤيَّد بقرآن وسنة، ومؤيد أيضًا بدراسة التاريخ الطويل لهذه البلاد؛ حيث احتُلَّت قبل ذلك مرارًا، وكانت النهاية دومًا سعيدة للمسلمين تعيسة للمجرمين والظالمين، ومؤيَّد كذلك بمشاهدات عديدة في الواقع كما بينَّا، وما لم نذكره من مشاهدات كان أكثر وأكثر.

إن القضية واضحة في اعتقادي ويقيني، والنصر أكاد أراه بعيني، ولكن يبقى التساؤل المهم الذي يجب أن أسأله لنفسي، وأن نسأله جميعًا لنفوسنا: ماذا عملنا لنصرة فلسطين؟!

إن وعد الله لآتٍ، وإن النصر لقادم بإذنه تعالى، لكن المهم ماذا فعلنا لتحقيق هذا الوعد الرباني، ولتقريب هذا النصر الغالي؟!

هذه -أيها الإخوة والأخوات- قضيتنا، وكلٌّ منا يستطيع أن يدلي فيها بدلوه.. فشاركونا بالرأي، وساعدونا بالحركة، وضعوا أيديكم في أيدينا بكلمة أو وجهة نظر، لعلَّ الله ﷻ يرى منَّا صدقًا وإخلاصًا، فنرى ما نشتاق إليه.

وأسأل الله ﷻ أن يعز الإسلام والمسلمين!

***



(١٨)

هل تضر المقاطعة بمصالح المسلمين؟! (١)

إننا سعداء للغاية بالتفاعل الذي أبداه جمهور القراء للموقع مع قضية فلسطين، ونقدِّر تلك الإسهامات الإيجابية التي شاركوا بها معنا لتحديد أفضل السبل لمناصرة فلسطين.. قضيتنا التي يريد لها البعض الغياب عن ذاكرة المسلمين، وكذلك مناصرة أهلها الشجعان الذين يدفعون من دمائهم ثمن تخاذل كثير من المسلمين عن نصرتهم، وتقاعسهم عن الجهاد في سبيل الله تعالى.



ولا شك أن الأدوار التي يمكن أن يقوم بها المسلم لمساعدة ومناصرة فلسطين وأهلها، تتنوع وتختلف من فرد لآخر، ومن مجموعة لأخرى؛ فأهل فلسطين عليهم واجبات لنصرة القضية تختلف عن واجبات المسلمين في بقية أنحاء العالم، وأدوار المسلمين الذين يعيشون في البلاد الإسلامية تختلف عن غيرهم ممن يعيشون في بلاد غير المسلمين، كما يختلف دور الرجل عن دور المرأة، ودور الكبير عن دور الصغير، وهكذا.

وبعد كل ذلك أرى أن أهم الأدوار التي يمكن لعموم المسلمين القيام بها تتمثل في:

أولاً: الحفاظ على القضية حية في أذهان المسلمين، وهذا يحتاج إلى أن تكون المفاهيم الموجودة في الأذهان عن القضية وأصولها صحيحة، لا تلتبس فيها المفاهيم بغيرها من الأفكار غير الإسلامية؛ مما يتطلَّب دراسة القضية دراسة وافية مع الاستعانة بتحليل الخبراء الثقات.

---

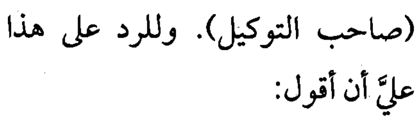
(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٢٣/ ٥/ ٢٠٠٨م.

ثانيًا: بثُّ الأمل المستمر في قلوب المسلمين بتحرير فلسطين، ونزع اليأس الذي أصاب بعض النفوس، والتذكير بأن الله ﷻ لا يضيع أجر من جاهد في سبيله، وأن الله غالب على أمره ولو كره المشركون.

ثالثًا: الجهاد بالمال لمن يستطيع من الأشخاص الثقات الوصول به إلى إخواننا المحتاجين في فلسطين.

رابعًا: التضرع إلى الله بالدعاء المستمر لينصرهم على أعدائهم؛ فإن سهام القدر لا تخيب.

خامسًا: المقاطعة للبضائع اليهودية والأمريكية، وهذه نقطة أحب أن أقف عندها قليلاً، وإن كان الحديث حولها قد يطول، ولكني سأركز في الحديث على شبهة واحدة، يرددها بعض الناس، وتقف وراءها الشركات العالميَة الكبرى التي تُقاطَع، وهي شبهة أن المصالح الإسلامية تتضرر من المقاطعة بصورة أكبر من تضرر الشركات الأجنبية، وأن الأيدي العاملة في هذه المحلات وطنية ١٠٠ ٪، وغلق المحلات سيؤدي إلى تشريد الآلاف أو الملايين على نطاق أمة المسلمين، كما سيؤدي إلى خسارة رأس المال الوطني



(صاحب التوكيل). وللرد على هذا عليَّ أن أقول:

١ - نحن جميعًا متفقون أن الشركة الأجنبية ما جاءت إلى البلاد المسلمة، بحدِّها وحديدها، ومالها ورجالها وأفكارها، إلا بُغْيَة الربح وجمع المال، ولم تأتِ حبًّا في مصلحة البلاد أو تأثرًا بحال الفقراء! كما أنها لم تُعطِ توكيلات للمسلمين رأفةً بحال المستثمرين منهم!!

إذن نحن متفقون أن عملنا في شركاتهم سيؤدي حتمًا إلى قوتهم، وزيادة أموالهم، وتوسيع أعمالهم، وتثبيت دعائمهم.

وهذا -في الحقيقة- لا ينبغي لنا فعله، إذا كنا مستيقنين بعدائهم، أو بمساعدتهم لأعدائنا، وبالذات في أوقات الحروب والأزمات، حتى لو كانت خسارتُنا حتمية.

٢- أين كان يعمل هؤلاء المسلمون قبل أن تفتح الشركة الأجنبية أبوابها لهم؟! ألم يكن العامل الذي يعمل الآن في محل الدجاج أو البيتزا الأمريكي عاملاً في محل الكباب الوطني؟! والعامل الذي يبيع في السوبر ماركت الغربي، ألم يكن يبيع في السوبر ماركت الوطني؟! والعامل الذي يعمل في محطة بنزين غربية (ومعظم رأس مالها يهودي)، ألم يكن يعمل في محطة بنزين وطنية؟! وهكذا.

٣- الخسارة المتوقعة للعمال في فارق المرتبات، ولرءوس المال في الأرباح خسارةٌ مقبولة؛ فنحن في حالة مواجهة لمؤامرةٍ وحربٍ وكيد وتدبير من قبل أعدائنا، لا لفلسطين فقط، ولكن لعموم أمة المسلمين.

وفكِّر: إذا اعتدى عدو على بلدك، هل تقاتلُه لتردَّه، أم تقول إن القتال فيه خسارة سلاح، وخسارة مال وخسارة معمار، بل وخسارة نفس؟! إنك تقاتله، والخسائر تصبح لا قيمة لها إذا قورنت بردِّ العدوان.

وهكذا أيضًا فالخسائر المتوقعة مقبولة؛ لأنها نوع من ردِّ العدوان عن الاقتصاد المسلم والشعوب المسلمة. ثم إن هذه الخسارة مؤقتة، ولو تحسَّن الإنتاج المحلي وزاد، لعاد الوضع أفضل مما كان عليه من قبل.

٤- نحن المسلمين نختلف عن غيرنا من البشر في أننا نعتقد تمامًا أن الرزق مضمون من رب العالمين ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]، ولن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب. فالإنسان المسلم يقتنع بأنه لن يقل رزقه الذي قسمه الله له بانتقاله من مكان إلى آخر، فإن قيل إنَّ هذا أخذ بأسباب الرزق، فإننا نقول: اللهم لا تجعل رزقنا أجورًا من أعدائنا. فليس من جمال الطلب أبدًا أن أطلب رزقي من قاتل إخواني.

٥- صاحب رأس المال الوطني عندما يشاهد بُعد الناس عن المنتج اليهودي أو

الأمريكي سيفكر ألف مرة قبل أن يأخذ توكيلاً من شركة يهودية أو أمريكية، وبذلك مع مرور الوقت سيجد أصحاب رءوس الأموال البدائلَ المناسبة، وستدور الدورة من جديد، ولكن لصالح المسلمين.

٦- ألا يشعر المسلمون بالأنفة والغيظ والهم والنكد؛ لأنهم يعملون في مصانع وشركات تؤيد اليهودَ، سواء عن طريق الضرائب أو المساعدات المباشرة؟!

لقد كان المصريون في السابق يأنفون من العمل في مصانع وشركات وثكنات الإنجليز؛ لأنهم محتلون للبلاد، كذلك كان يفعل الليبيون مع الطليان، والجزائريون مع الفرنسيين، فما الذي تغير؟! هل تغيرت الظروف أم تغيرت النفوس؟!

أليس لراحة النفس بالعمل في شركات المسلمين ثمن؟!

والله، إني أرى أنه لو كان الثمنُ لهذه الراحةِ النفسية هو فارق المرتب فإنه ثمن زهيد، حق زهيد!!

٧- اعتبرْ فارق المرتب هذا صدقةً على المجاهدين، وإسهامًا في قضية فلسطين، وإنفاقًا في سبيل الله، وما نقص مالٌ من صدقة، وستعوَّض من طريق آخر، أو يُسَدّ عنك باب إنفاق، هذا ما لا يشك فيه مؤمن.

وأخيرًا فإنه من أعجب العجب أن تسمع من يصف مقاطعة المنتجات الأمريكية والإسرائيلية بالبدعة التي لا أصل لها في الشرع!!

فهذا والله هو الوهن حقيقة!! كيف يمكن لمسلم أن يرى مثل هذا الرأي؟!! إن المقاطعة ليست مجرد وسيلة للحرب تمارسها متى شئت، وتتركها متى شئت، بل هي سُنَّة نبوية، وعبادة تتقرَّب بها إلى رب العالمين ﷻ. وإليك الدليل من سنَّة النبي ﷺ:

كان بنو حنيفة يسكنون منطقة اليمامة التي كانت تسمَّى (ريف مكة)، لكثرة ما تمد به مكة من الغذاء والحبوب، وفي العام السابع الهجري أسلم سيِّد بني حنيفة (ثمامة بن أثال)، ثم أتى مكة للعمرة، وأمام زعماء قريش أقسم قائلاً: «لا وَالله لا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ

حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ»[1].

مع أن مكة بالنسبة لثمامة وقومه سوقٌ رائجةٌ، تُدِرُّ عليهم -بلا شك- الأرباح الوفيرة، إلا أن ثمامة ﷺ لم يتصوَّر أن يتاجر مع قوم يحاربون الله ورسوله ﷺ، حتى وإن كانوا في مدَّة صلح الحديبية!!

وقد أورد البيهقي -رحمه الله- في سننه أن مقاطعة ثمامة لقريش طالت: «... حتى جَهِدَتْ قريش؛ فكتبوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثمامة يُخَلِّي إليهم حمل الطعام، ففعل رسول الله ﷺ[2]».

ولو رأى رسول الله ﷺ في مقاطعة ثمامة لقريش إثمًا لنهاه عنها، إلا أنه ﷺ لم يتجاوز أن أشفق على قريش، فأمر ثمامة بفك الحصار، وكان سكوته ﷺ عن نهيه إقرارًا له على ما فعل؛ ذلك أن السنَّة هي ما ورد عنه ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، كما عرَّفها أهل العلم.

فليست المقاطعة -إذن- وسيلة مبتكرة في الحرب، فضلاً عن أن تكون بدعة كما يدَّعي البعض، بل هي سنَّة نبويَّة، تواجه بها الأمة طغيان عدوها (إن أعجزتها المقاومة بالسلاح)، وتردع ذلك العدو عن التمادي في استباحة حرماتها.

وشتَّان بين موقف الصحابي الجليل (ثمامة بن أثال) ﷺ وما فيه من دلالات الولاء الكامل لأمته، وحسن الفقه لأولويات دينه، وبين من تهون عليه قضايا أمته ودماء إخوانه في سبيل وجبة شهيَّة، أو مشروب اعتاده، أو ثوب أو حذاء من إنتاج أمريكي أو يهودي!! ويُشْعِرُكَ إذا حدَّثته أن نهاية العالم عند ترك هذه السلع التي أَحَبَّها وتعلَّق بها!!

وكما ذكرنا منذ قليل، فالأمر لا يتعلَّق بضروريَّات الشرع فقط، بل إنه انعكاس لعمق النخوة في شخصيَّات مسلمي اليوم، ومقياس لحرارة الدماء التي تجري في عروقهم. وسأضرب لك مثلاً يدلُّك على واقعيَّة ما أقول:

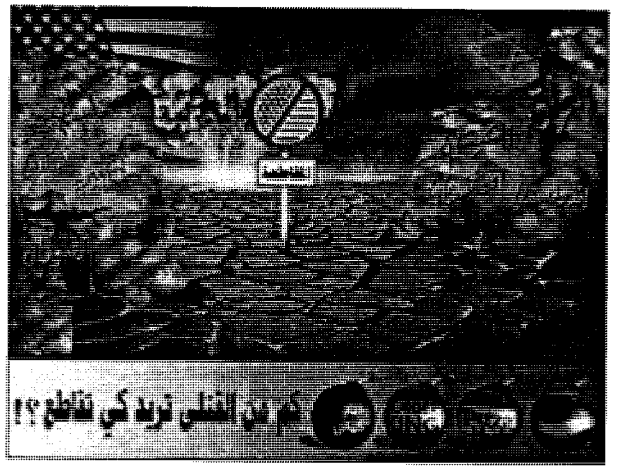
---

(١) البخاري: كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال (٤١١٤)، ترقيم مصطفى البغا.

(٢) البيهقي: السنن الكبرى (١٧٨١٠)، ترقيم محمد عبد القادر عطا.

لو كنت في بيتك ودخل عليك جارك (حتى لو كان مسلمًا)، فاعتدى عليك بالسبِّ والضرب، وآذاك أمام زوجك وأولادك، ولم تتمكَّن أنت من الرد عليه لسبب أو لآخر، وكان هذا في أول اليوم، أفتطيب نفسك -لو كان جارك هذا تاجرًا- أن تشتري منه طعام العَشاء في آخر اليوم؟!!

هل يجرؤ أحد على لومك (أو اتهامك بمخالفة السُّنَّة!) إذا قاطَعْتَه وأمرت أولادك بعدم الشراء منه؟!

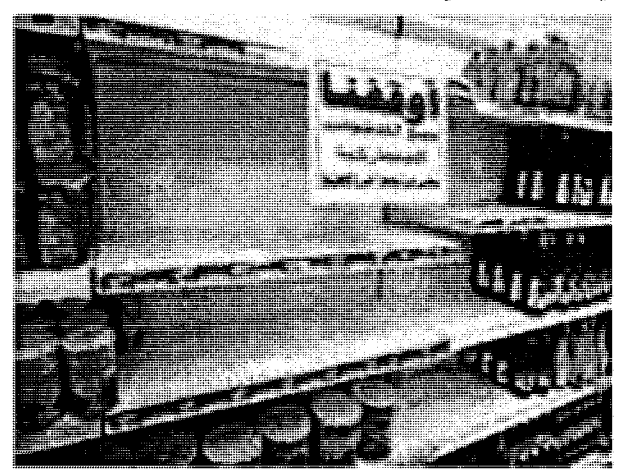


أفرأيت إن كان جارك هذا غير مسلم، ودخل عليك، فذبح زوجك وأبناءك، وأهانك وسرق مالك، بل أخرجك من دارك!! وفي لحظة واحدة وجدت نفسك في العراء! وأنت لا تستطيع -لسبب أو لآخر- أن تثأر لنفسك، وأن تستعيد حقك، وبينما أنت هائم على وجهك في الطرقات إذ أدركك الجوع، أيمكنك أن تأتي متجره فتبتاع منه ما يسدَّ جوعك؟! أيقبل عاقل هذا الأمر؟!

إن التفسير الوحيد لكوننا لا نزال نشتري منتجات اليهود والأمريكان والإنجليز هو أننا لا نشعر حقيقة بأن الذين في فلسطين إخوة لنا فعلاً، ولا نحس برباط العقيدة الذي يجمعنا بهم، ولا نتذوق اجتماعنا حول كتاب واحد، واتجاهنا نحو قبلة واحدة، وسجودنا لإله واحد ﷻ.

لا يمكن أن يتذوَّق كلَّ تلك الروابط من يبيع ويشتري من أعدائنا مع ضراوة الحرب بيننا وبينهم.

أنا أعلم أن هناك بعض المنتجات الضروريَّة التي نُضطَر لشرائها منهم؛ لعدم وجود بديل لها (بسبب تأخرنا الصناعي والتكنولوجي!)، ولكن مثل هذه المنتجات لا تُشكِّل إلا نسبة قليلة من إجمالي ما نشتري من أعدائنا، والأغلب لا يدخل إطلاقًا في باب الضرورات، ولا يقترب من حد الاحتياج! وإذا شكَّكَ البعض في جدوى المقاطعة، وتأثيرها على اقتصاديات أعداء الأمة



فقد لمس الجميع الأثر البليغ لمقاطعة الدنمارك عندما التفَّتْ حولها الأمة، فمن باب الأولى أن يُقاطَع من يستبيحون ديار المسلمين ودماءهم وأعراضهم ليل نهار!!

أسأل الله ﷻ أن يبصِّرنا بالحق، وأن ينصر بنا الإسلام والمسلمين!

***



(١٩)

قراءة في تقرير الشفافية[١]

تقرير الشفافية هو تقرير تُخرِجه الأمم المتحدة كل عام يصف حالة دول العالم المختلفة من حيث درجة الشفافية في التعاملات المالية والإدارية والسياسية وغيرها في البلد، ويأخذ في الاعتبار جرائم الفساد ومعدل تكرارها، واختلاس الأموال العامة وشيوعه، والرشاوى المعلنة وغير المعلنة، والإتاوات التي تفرض على الشركات الخاصة والأفراد، ومدى المصداقية في الموازنات العامة وفي الخطاب السياسي والحكومي، ومدى مخالفة القوانين والتشريعات والخروج على القواعد الحاكمة للبلد، وغير ذلك من أمورٍ تحدِّد مدى الأخلاقيات الأساسية في التعاملات المختلفة داخل الحكومة.

105	Argentina	2.9	7	2.6 - 3.2
105	Bolivia	2.9	6	2.7 - 3.2
105	Burkina Faso	2.9	7	2.6 - 3.1
105	Djibouti	2.9	3	2.3 - 3.4
105	Egypt	2.9	7	2.6 - 3.3
111	Eritrea	2.8	5	2.1 - 3.5
111	Guatemala	2.8	5	2.4 - 3.2
111	Moldova	2.8	7	2.6 - 3.3
111	Mozambique	2.8	8	2.5 - 3.1
111	Rwanda	2.8	5	2.3 - 3.3

ويعطي التقرير الدرجة النهائية (١٠ من ١٠) للدولة التي لا تظهر فيها أيّ حالة فساد مطلقًا طوال السنة، وتبدأ الدرجة في الانخفاض بمعايير دقيقة كلَّما ازداد الفساد في الدولة.

وآخِر تقرير صدر من الأمم المتحدة بهذا الشأن هو تقرير عام ٢٠٠٧م، وقد آثرتُ أن أشارك القرَّاء الأفاضل بعض النتائج في هذا التقرير، والتي تحمل دلالات كثيرة عميقة لا تخفى على أحد، فهي من الوضوح بمكان!

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٢٩/ ٥/ ٢٠٠٨م.

أفضل ثلاث دول في العالم من حيث قلة الفساد الحكومي فيها هي الدنمارك وفنلندا ونيوزيلندا، وقد حصلت هذه الدول على درجة ٩,٤ من ١٠. ثم تأتي بعدهم سنغافورة والسويد بدرجة ٩,٣ من ١٠، ثم تأتي عدة دول أوربية، إضافةً إلى هونج كونج واليابان، وتأتي أمريكا في المرتبة العشرين في التقرير بدرجة ٧,٢ من ١٠.

ولا شك أن القارئ شغوف أن يعرف أين دول العالم الإسلامي؟!

لقد ضم التقرير تسعًا وأربعين دولة مسلمة من إجمالي عدد الدول التي شملها التقرير، وهو ١٧٩ دولة.

أول دولة إسلامية في التقرير هي دولة قطر، وجاءت في المركز الثالث والثلاثين على العالم بدرجة ٥,٨ من ١٠، متبوعة بدولة الإمارات في المركز السابع والثلاثين بدرجة ٥,٧ من ١٠، ثم ماليزيا في المركز الثالث والأربعين بدرجة ٥,١ من ١٠، فالبحرين في المركز السادس والأربعين بدرجة ٥ من ١٠.

وهذا يعني أن هناك ٤ دول إسلامية فقط هي التي تخطت حاجز النجاح في مسألة الشفافية، لو اعتبرنا أن حاجز النجاح هو ٥٠ ٪، بمعنى أن نصف المعاملات في البلد فاسد، والنصف الآخر أخلاقي! أما لو اعتبرنا أن حاجز النجاح هو ٦٠ ٪ كما يحدث في الكليات والجامعات المختلفة (درجة مقبول أعلى من ٦٠ ٪)، فهذا يعني أن كل دول العالم الإسلامي رسبت في تقرير الشفافية!!

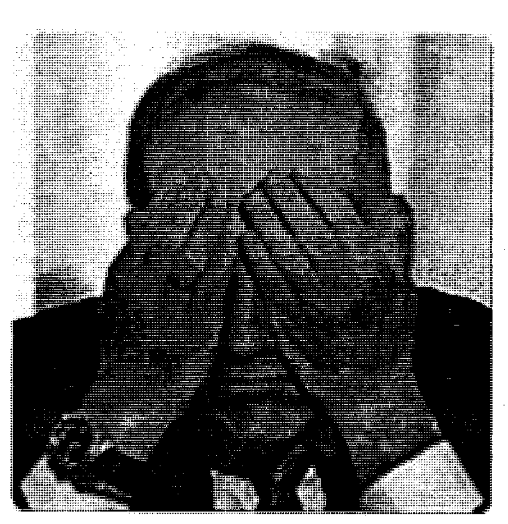
ويرصد التقرير بعض النتائج المفجعة في بعض البلاد الإسلامية الكبرى التي تمتلك إمكانيات هائلة تضعها في مصافّ الدول المهمة في العالم بشرط أن يقل فيها الفساد؛ فنجد

مثلاً أن تركيا قد جاءت في المركز السابع والستين بدرجة ٤ من ١٠، والسعودية في المركز التاسع والسبعين بدرجة ٤,٣ من ١٠، والجزائر في المركز التاسع والتسعين بدرجة ٣ من ١٠، ومصر في المركز الحادي عشر بعد المائة بدرجة ٢,٨ من ١٠، وباكستان في المركز الثامن والثلاثين بعد المائة بدرجة ٢,٤ من ١٠، وإندونيسيا في المركز الثالث والأربعين بعد المائة بدرجة ٢,٣ من ١٠!!

أما إذا تم حساب متوسط الفساد في دول العالم الإسلامي المختلفة، فسنجد أن درجة العالم الإسلامي هي ٢,٨ من ١٠.

إن هذا التقرير يضع أيدينا بشكل كبير على أحد أهم أسباب تخلُّف الأمة الإسلامية وانحدارها، وبُعْدِها عن وصف ربِّها لها عندما قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

إننا كنا دومًا نَتِيهُ على العالم ونفخر بأننا الأفضل والأحسن، وكنا نشاهد الطفرات العلمية الكبرى في العالم هنا وهناك، فيقول: بعضنا لا ضير، نحن ما زلنا الأفضل والأحسن؛ لأن الحضارة ليست ماديات وعلوم فقط، إنما هي في الأساس أخلاق وقيم.



وها هو التقرير الذي يكشف درجة احترام الأخلاق والقيم يظهر ليبرز لنا بوضوح رسوب العالم الإسلامي في قضايا الأخلاق والقيم!! والحق أن هذه النتيجة ليست مستغربة، وليس فيها -كما وسيظن البعض- افتراءً من الأمم المتحدة على دول العالم الإسلامي الغلبانة؛ لأننا نشاهد بأنفسنا مدى الانهيار الشديد في مستوى الأخلاق في معظم التعاملات المالية والإدارية والسياسية في كل بلاد العالم الإسلامي. إن الدرجة التي حصل عليها

العالم الإسلامي تعني أن أكثر من سبعين بالمائة من التعاملات في داخل الأمة الإسلامية هي تعاملات فاسدة وغير أخلاقية!!

ولعل الفاجعة تزيد والألم يشتد عندما نجد أن التقرير أيضًا قد أعطى اليهود الذين يحتلون وطننا الحبيب في فلسطين درجة ١,٦ من ١٠، وجاء اليهود بهذه الدرجة في المركز الثلاثين على العالم!! وأكرر أن التقرير ليس محابيًا لليهود على حساب المسلمين؛ لأننا نشاهد في وسائل الإعلام وعلى صفحات الجرائد، المحاكمات التي يتعرض لها كبار رجال الحكومة اليهودية عند ظهور اشتباه في حالات فساد، ويشمل التحقيق أحيانًا أكبر رءوس في الحكومة مثل شارون سابقًا، وأولمرت حاليًا.

إن اليهود الذين لعنهم الله ﷻ في أغلب صفحات القرآن الكريم، وذمَّ أخلاقهم بصورة متكررة، قد حققوا درجة أعلى من أيّ دولة إسلامية في مستوى الأخلاق!! وهذا يفسر بوضوح لماذا لم تفلح الدول الإسلامية الكثيرة في إخراج اليهود حتى الآن من أرضنا الحبيبة فلسطين.

إن القضية ليست قضية مال وسلاح وعتاد، إن القضية في الأساس قضية عقيدة وأخلاق، وإذا كان المسلمون قد وصلوا إلى درجة من الوَهْن في العقيدة جعلتهم لا يكترثون برقابة الله ﷻ لهم، ووصلوا إلى درجة من الضعف في الأخلاق بحيث ينخفضون في أخلاقهم عن اليهود، فإن كل هذا يفسر الأوضاع المقلوبة التي نعاني منها جميعًا.

إننا نحتاج إلى تغيير مناهج حياتنا بكاملها، ونحتاج أن نفقه جيدًا قول رسولنا الأكرم ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ**»[1]. وليست القضية هي قضية الحكومات فقط، فالحكومات الفاسدة خرجت من داخل الشعوب، والمعاملات الفاسدة ليست بين الرؤساء والوزراء فقط، إنما هي موجودة في أصغر مكتب من مكاتب الحكومات الإسلامية.

(١) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال برقم (٥٢١٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٥).

إن الآثار المترتبة على هذا الانحدار الخلقي خطيرة، ولن يتوقف الأمر عند تخلُّف دولنا، أو احتلال أراضينا، بل سيصبح حالنا هذا فتنة للعالم أجمع. وقِفْ مع نفسك وقفة صادقة، واسْأل: ماذا سيفعل شعب الدنمارك عندما يقرأ تقرير الشفافية، فيجد أن الفساد في بلاده يكاد يكون منعدمًا، بينما الفساد في بلاد العالم الإسلامي يزيد على سبعين بالمائة من تعاملاتهم؟!

﴿رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الممتحنة: ٥].

إنني لا أذكرُ هذه المعلومات والتعليقات ليدخل المسلمون والمسلمات بعدها في سرداب اليأس والإحباط، ولكنني أقولها من منطلق الطبيب الذي يشخِّص الداء وكله أمل أن يجد الدواء.

لنعُدْ يا إخواني ويا أخواتي، ويا مسلمين ويا مسلمات إلى كتاب رَبِّنا، وإلى سُنَّة حبيبنا ﷺ؛ ففيهما النجاة بإذن الله، ولن ينصلح حال آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

ونسأل الله ﷻ أن يعز الإسلام المسلمين!

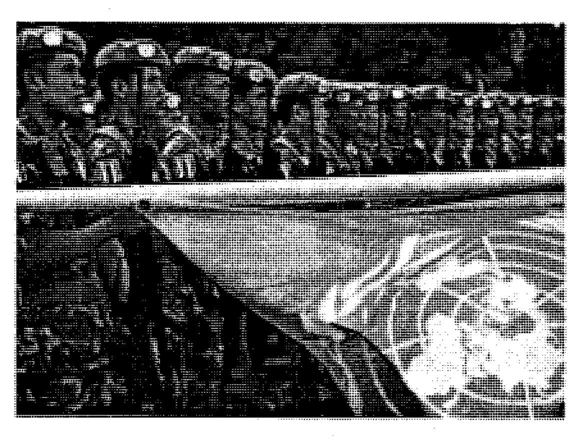
***



(٢٠)

الوجه القبيح للحضارة الغربية[1]

ينبهر الكثيرون من رؤية مشاهد العدل الكثيرة داخل الأقطار الغربية، وخاصةً بعد رؤية الإحصائيات التي تتحدث عن المعاملات المالية والسياسية في داخل كل قُطر، ومثال ذلك ما ذكرناه في المقال الماضي عند حديثنا عن تقرير الشفافية وأحوال البلاد الغربية.



ومع أن هذه الدرجات التي نعرفها عن الغرب درجات صحيحة، وشبهة التزوير فيها بعيدة؛ لأننا نذهب إلى بلادهم ونرى هذا الجانب بأعيننا، لكن مع ذلك فإننا لا بد أن ننظر إلى الصورة بكاملها حتى يصبح تقييمنا للأمر صادقًا.

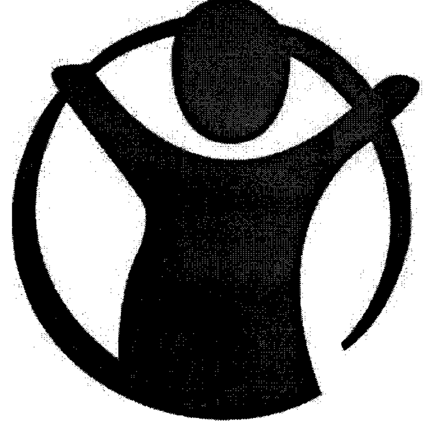
إن هذا العدل الذي يمارسه الغرب في داخل بلاده يتخلى عنه -في كثير من الأحايين- خارج حدود قطره، ولعلَّ أول ما يخطر على الذهن عند تحليل ذلك الأمر هو الاحتلال المتكرر لأكثر من دولة من دول العالم الإسلامي وغير الإسلامي، سواءٌ كان هذا الاحتلال عسكريًّا أو اقتصاديًّا أو سياسيًّا، وكذلك مظاهر الحصار والتجويع المختلفة، والقيود والفروض والشروط التي تجعل حياة الناس في أقطارها مستحيلة.

كل هذا قد يتبادر إلى الذهن مباشرة، ولكنني سأعرض صورة أخرى مظلمة من صور الوجه القبيح للغرب، وهي صورة عجيبة يندهش الإنسان لوجودها في هذه البلاد،

---

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٥/ ٦/ ٢٠٠٨م.

والدهشة في الحقيقة من وجوهٍ عدَّة.



أما هذه الصورة التي أقصدها فهي صورة التحرُّش الجنسي المتكرر بالأطفال، وخاصة الأطفال من الدول الفقيرة المعدمة المحتاجة إلى كل رعاية وحماية!

لقد طالع كثيرٌ منا التقرير الذي صدر عن منظمة بريطانية اسمها «أنقذوا الأطفال»، الذي صدر الأسبوع الماضي، والذي يصف الممارسات القبيحة التي يمارسها جنود الأمم المتحدة في هايتي وجنوب السودان وساحل العاج والكونغو، وذلك بعد ٣٨ جلسة نقاش مع ٢٥٠ طفلاً و٩٠ بالغًا، والتي تبين منها أن جنود الأمم المتحدة يستغلون هؤلاء الأطفال جنسيًّا في مقابل الطعام والمال! ومن هؤلاء الأطفال من هو أقل من السادسة من عمره!

وليست هذه حالة عابرة مفاجئة رأيناها في المجتمع الغربي، ولكنها متكررة بشكل يجعلها عادة! حتى إننا قرأنا في الشهر الماضي التقرير الذي نشرته صحيفة صنداي ديلي تلغراف في بريطانيا، وفيه كشفت أن مئات من الأطفال يُهرَّبون من إفريقيا ويباعون في بريطانيا، ويُستَغلون كعبيد في هذا البلد المتحضر! وقد كشفت الصحيفة أيضًا عن أن سعر الطفل يبلغ في المتوسط ألفين وخمسمائة جنيه إسترليني، وأن بعض المراهقات الحوامل يقمن ببيع أطفالهن المرتقبين بمبالغ أقل من ألف جنيه إسترليني، وأن هؤلاء الأطفال يُستغلون جنسيًّا، وفي تصوير الأفلام الإباحية. كما أنهم يُستعملون كخدم وعبيد، ويخدمون مُددًا تصل إلى ١٨ ساعة يوميًّا. وأُذكِّر القرَّاء أن الكلام كله لجريدة الصنداي ديلي تلغراف البريطانية!!

وهذه التقارير تذكِّرنا أيضًا بكوارث بيع الأطفال التي سمعنا عنها في الشهور الماضية في موريتانيا والسودان وتشاد، وغيرها من الأقطار الفقيرة.

وذكرت منظمة (إنهاء دعارة الأطفال) أن كثيرًا من دول العالم لا تمارس جهودًا

جدية لمنع دعارة الأطفال، وذكر التقرير الذي أعدته المنظمة لهذا الشأن أن أمريكا من الدول التي لا تزال متأخرة في هذا المجال، وذكر أيضًا أن دراسة خاصة أجريت في نيويورك أشارت إلى استغلال الكثير من الأطفال تحت سن ١٢ سنة في الدعارة هناك!

وهذه القضية ليست قضية مستحدثة في الغرب، فإنني إلى الآن ما زلت أحتفظُ بالتقرير الذي نشرته السي إن إن CNN، وذكرت فيه نتائج الدراسة التي أجرتها جامعة جون هوبكنز(The Johns Hopkins University) الأمريكية المشهورة في سنة ٢٠٠٠م، وفيها أن حوالي ٢ مليون امرأة وطفلة يتم بيعهن سنويًّا كعبيد، وأنه تم تهجير مائة وعشرين ألف فتاة من روسيا وبلاد أوربا الشرقية لممارسة الدعارة في أوربا الغربية، وأن أمريكا تستقبل سنويًّا ١٥ ألف فتاة جديدة لنفس الغرض!!

إن هذه التقارير غربية، وتكشف بوضوح عن وجه قبيح شديد القبح لحضارة تكيل بمكيالين، وتتعامل بمئات الموازين.

فنحن نندهش لأن الغربيين حريصون على هذه الممارسات الجنسية البشعة مع الأطفال الصغار، وذلك على الرغم من شيوع الفاحشة مع الكبار وانتشارها وسهولتها، فلا يدل ذلك إلا على نفسٍ خبيثة متدنية، وصلت إلى الحضيض في تصرفاتها.

ونندهش أيضًا لأن الغرب كثيرًا ما يتحدث عن حقوق الإنسان وحقوق المرأة والطفل، وحقوق الحيوان، وحقوق البيئة، ثم نجد هذه الممارسات البشعة، وبهذه الأرقام المفزعة، وكأن أطفال العالم جمادات لا رُوح فيها.



ونندهش لأننا نرى هجومًا شرسًا من الغرب على الإسلام والمسلمين بدعوى أن المسلمين شهوانيون؛ لأنهم قد يتزوجون أكثر من واحدة، أو أنهم مجرمون لأنهم قد

يزوِّجون بناتهم في سنِّ السادسة عشرة أو السابعة عشرة!!

ونندهش لمناداة الغرب كثيرًا أن تُعقَد مؤتمرات دورية في بلاد العالم الفقيرة للتحذير من التعرُّض للمرأة والطفل. ونحن نتساءل: ألا تحتاج أمريكا وإنجلترا وفرنسا، وغيرها من الأقطار إلى مثل هذه المؤتمرات لحماية أطفال العالم من تُجَّار الرقيق في هذه البلاد المتحضرة؟!

ثم إننا نندهش أخيرًا للمسلمين الذين يرون الغرب نورًا بلا ظلام، وخيرًا بلا شر، وينظرون إلى الإيجابيات ويغفلون السلبيات، والصواب أن ننظر إلى نورهم وظلامهم معًا، وإلى عدلهم وظلمهم جميعًا، وأن نعلم أنَّ فيهم المحسن وفيهم المسيء، وأننا يجب أن ننظر النظرة المتوازنة لكي لا نغفل الفوائد والإيجابيات، وفي الوقت نفسه لا ننبهر انبهارًا يُعمينا عن رؤية الجوانب المظلمة في حياتهم.

إن الكيل بمكيالين سمة من سمات هذا المجتمع الغربي، فالحياة داخل حدوده شيء، والتعامل مع دول العالم الفقير شيء آخر، والتعامل مع أطفاله شيء، والتعامل مع أطفال العالم شيء آخر، والحفاظ على حقوقه شيء، والحفاظ على حقوق الآخرين شيء آخر!

إن هذا الذي نراه هو شيء طبيعي لمن ملك قوة، ونُزعت منه الرحمة، ولمن لم يُجمِّل حياته بدين وخُلُق، ولمن اهتمَّ بالجسد وفَقَد كل اهتمامه بالروح.

إن هذه الإحصائيات وإن كانت مفزعة إلا أنها تشعرنا بالفخار أننا -في وسط هذا الركام- ننتمي إلى دينٍ جعل العدل أمرًا مطلقًا مع القريب والبعيد، والرجل والمرأة، والمسلم وغير المسلم، والمواطن وغير المواطن، بل وجعله مع من تحب، وكذلك مع من تكره! قال تعالى: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨].

والحمد لله الذي جعلنا مسلمين.

***



(٢١)

القلة المؤمنة(١)

يتمنَّى الصالحون من أبناء هذه الأمة دائمًا أن يشاهدوا أمتهم في مقدمة الأمم، وأن يسعدوا -وتسعد الدنيا معهم- بعزِّتها وقوّتها ومجدها.. لكن مع أنَّ الأمنية واحدة، إلا أن الكثير يختلف في طريق الوصول إليها.



إن التغيير والإصلاح والنهوض كلُّها غايات كبرى تحتاج إلى وسائل محدّدة، ومعايير ثابتة، ولقد رأينا في صفحات القرآن الكريم والسنة المطهرة ما يضع أيدينا -بوضوح- على مفاتيح التغيير وآليّات الإصلاح، ورأينا كذلك في صفحات التاريخ وقصة أمتنا ما يوضح لنا بدايات الطريق وعلاماته وطبيعته.

إن التغيير دومًا يأتي من القِلَّة المؤمنة!

إن الحديث عن الكثرة في القرآن الكريم غالبًا ما يأتي ليصف الحالة السيئة والمتردية التي تكون عليها الكثرة، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ومثل قوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: ٦١]، ومثل قوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]، وهكذا.

بينما الحديث عن المؤمنين والمصلحين يأتي دومًا بصيغة التقليل، مثل قوله تعالى:

---

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ١٤/ ٦/ ٢٠٠٨م.

﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]، ومثل قوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، ومثل قوله: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

إنّ معظم الناس لا يقبلون بالتضحية والبذل وفقدان كل شيء عزيز في سبيل إعلاء كلمة دينهم وأمتهم، قد يكونون صالحين يريدون أن يحيوا حياة آمنة دون مصاعب ولا مشاكل، ولكنهم غير مستعدين لأَنْ يفقدوا مالهم أو ديارهم أو أولادهم أو حياتهم من أجل خطوات للأمام. إن هذه التضحيات الكبرى تحتاج إلى رجال ونساء من طراز خاص، وهو طراز قليل عزيز، ولكنه مع قِلَّتِهِ مُؤَثِّرٌ للغاية، ولو وُجِد هذا القليل في شعب فإنَّ التغيير يحدث، والإصلاح يتم، حتى ولو كان معظم الشعب غير عابئٍ بحمل قضايا الأمة وهمومها!!

وصفات هذه القِلَّة المؤمنة واضحة ومعروفة في كتاب الله ﷻ، وفي سُنَّة الرسول ﷺ، وفي تاريخ الإصلاح في أمتنا الحبيبة.

إنهم مُخْلصون تمام الإخلاص في عقيدتهم، يُحِبُّون الله ويُحِبّهم الله، يتوجَّهون إليه ﷻ بكل أعمالهم وأقوالهم. إنهم مرتبطون ارتباطًا وثيقًا بشرع ربهم، لا يقبلون بتبديل أو تحريف، ولا يتنازلون عن كبيرة ولا صغيرة، وهم مُعَظِّمُون للقرآن والسُّنة تمام التعظيم، ولا يحتكمون في حياتهم إلا إليها.

إنهم مُستعدون للبذل والتضحية من أجل عقيدتهم ومبادئهم، دينهم عندهم أغلى من كل شيء، وهم يعلمون تمام العلم أن الطريق شاق، وأن المصاعب كثيرة، وأن التضحيات هائلة، ومع ذلك فهم يستهينون بكل هذه التحدِّيات؛ لأنَّ عيونهم على الأجر العظيم الذي يعطيه الله ﷻ لهذه القِلَّة المؤمنة.

ومن هذه القِلَّة المؤمنة يخرج المُجَدِّد المُخْلِص الذي يقود حركة التغيير والإصلاح، ولا يستقيم أن يخرج هذا المُجَدِّد المُخْلِص من لا شيء، ولكن لا بد من وجود نواة من القِلَّة المؤمنة، ثم يصطفي الله ﷻ منها واحدًا أو مجموعة ليكونوا مُجَدِّدِي زمانهم،

ومُصْلِحِي أمتهم، ويُسْتثنى من هذه القاعدة الأنبياء؛ ذلك أنهم يبعثون في زمن لا توجد فيه قلة مؤمنة، بل لا يوجد من يعبدُ اللهَ ﷻ حَقَّ العبادة؛ ولذلك يُرسلهم ربهم ﷺليبدَءُوا حركة إصلاحية شاملة في العقيدة والأخلاق والقيم، كل ذلك من لا شيء. أما في غير وجود الأنبياء، فإنَّ التغيير يأتي من قلَّة مؤمنة محافظة على منهجها دون تحريف، ثم يخرج منها مُجَدِّدٌ مُخْلِصٌ يبدأ الخطوات الفعليَّة في نهضة الأمة وإصلاحها.

إنَّ هذه المفاهيم في غاية الأهمية..

إن الذين يعتقدون أن الذي يبدأ الإصلاح هو المُجَدِّدُ الفردُ، كثيرًا ما ينتظرون وينتظرون دون عمل، على أمل أن يرسل الله تعالى لهم صلاح الدين أو قُطُز أو عمر بن عبد العزيز أو غيرهم من هنا أو هناك، ولا يعلمون أنَّ هؤلاء وغيرهم من المُجَدِّدِين خرجوا من قِلَّة مُؤمنة، ونهضةٍ إسلاميّة خالصة في مجموعة من المسلمين المخلصين، ثم اصطفى الله ﷻ شخصًا مُعَيّنًا أو عِدَّة أشخاص ليحدث التغيير في زمانهم.

إنني أرى أن الجهد الأكبر، والمشقة العظمى تكون في حياة القِلَّة المؤمنة، ولعله جهد ومشقة أعظم من التي نراها في حياة المُجَدِّدِ نفسِه.

إنهم الأتقياء الأخفياء الذين يُصْلِحُون دون أن يعرفهم الناس، ويَثْبُتُون رغم عدم وجود ثمار تُقطف، وقد يموتون دون أن يَرَوْا نَصْرًا ولا تمكينًا.

إنك لكي تفهم قصة المُجَدِّد صلاح الدين الأيوبي لا بُدّ أن تُراجع سيرة القِلَّة المؤمنة التي وُجدت من أيام عماد الدين زَنْكِي وأبيه آق سُنْقُر، والعلماء العظماء الذين صاحبوا هذه الفترة، فأخرجوا لنا نور الدين محمود، الذي أخرج لنا بدوره صلاح الدين الأيوبي.

إنّ المُتَعَجِّلِين ينظرون دومًا إلى نهايات الأمور، ولا يهتمون بالسُّنَّة الثابتة في التغيير؛ ولذلك يَتَرَقَّبُون رجلاً ينزل من السماء، أو يخرج من تحت الأرض، أو يأتي من كوكب آخر ليصلح أحوال الأمة.

وفي نفس الوقت فإن اليائسين والمحبطين يقولون: لا بُدَّ لكي يحدث تغيير أن يتغير

الشعب بكامله أولاً، وهذا محال! وليس في سُنَّة الله ﷻ؛ فالكثرة -كما ذكرنا مرارًا- لا تكون على المنهج القويم، ولن يصلح حال الشعب والكثرة إلا بظهور القِلَّة المؤمنة التي تُفرِز بدورها مُجَدِّدًا مُصْلِحًا يرفع راية الإسلام.

والسؤال الذي لا بُدَّ له من إجابة سريعة:

هل أنت من القِلَّة المؤمنة، أم أنك ترقب الأحداث انتظارًا لما تأتي به الأيام؟!

أَجِبْ بسرعة، فقد تكون اللحظات المتبقية في هذه الدنيا قليلة!

ونسأل الله ﷻ أن يعز الإسلام والمسلمين!

* * *

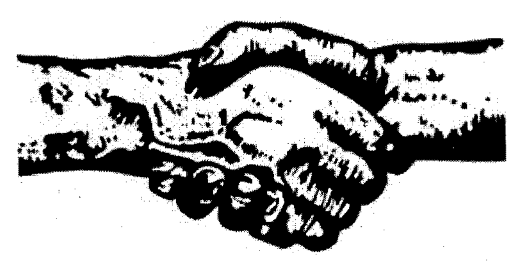


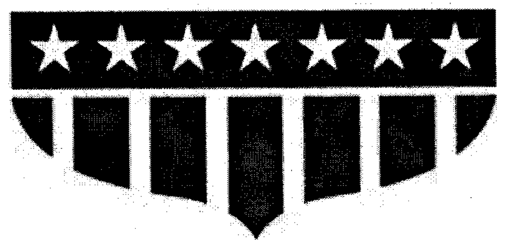
(٢٢)

تكاثروا.. تكاثروا..؟[1]

لعله من اللافت للنظر أن الكثير من مراكز الحد من الإنجاب في البلاد الإسلامية تكون تحت الرعاية المادية والعلمية للدول الغربية، وفي مقدمتها أمريكا.







وقد يتساءل بعض المسلمين: ما الدافع وراء هذه الشفقة الغربية على التضخم السكاني في بلاد المسلمين؟ وهل تتقطع قلوب الأمريكيين والأوربيين على المسلمين الذين يعانون من مشاكل في الصحة والتعليم والغذاء، وغير ذلك نتيجة زيادة السكان؟ وهل الأمريكان الذين يدفعون الأموال الطائلة لتقليل أعداد المسلمين غير الأمريكان الذين يحتلون العراق وأفغانستان، ويساعدون اليهود في احتلال فلسطين؟!

إنها أسئلة تدور في أذهان الناس، وليس لها إلا إجابة واحدة: إن تقليل أعداد المسلمين يصبُّ في المصلحة العامة للغربيين بصفة عامَّة، والأمريكان بصفة خاصَّة!

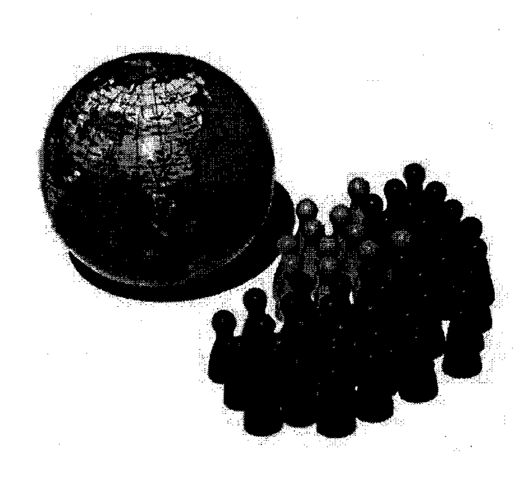
إنه ما من شك أن العدد قوة، وأن البلد الأكثر سكانًا يُحسب له حسابٌ أكبر بكثير من البلد قليل السكان، وقبل أن ينطلق المعترضون ويقولون أن الكيف أهم من الكم،

---

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ١٩/٦/٢٠٠٨م.

وأن الأعداد الكبيرة غير المؤهلة هي مجرد غثاء لا وزن له؛ قبل أن يقولوا هذا الكلام، فإني أقول: إنني لا أعني أبدًا أن العدد الكثير مطلوب حتى بدون تأهيل، ولكن ما أقصده هو التأهيل الجيد والمتميز للأعداد الكبيرة حتى تصبح هذه الأعداد إضافةً للبلد، وليست إرهاقًا لها.

إن الحكومات المفسدة دأبت على تعليق مشاكلها وأخطائها وفسادها على شماعة التضخم السكاني، ويخرج لنا وزير الصحة في أحد البلاد الإسلامية ويقول: إن تحديد طفلين لكل أسرة سوف يوفِّر للبلاد في غضون عشرين سنة مبلغ ٣٥ مليار دولار في مجال الصحة والتعليم. وينسى المسئول الحكومي أن أضعاف هذا المبلغ تضيع على البلاد نتيجة الفساد الحكومي، والاختلاسات والصفقات المشبوهة، والعمولات الهائلة، كما تضيع أضعاف هذا المبلغ في شراء ما لا ينبغي شراؤه، بدءًا من الأمور الترفيهية والحفلات الساهرة، وانتهاءً بصفقات السلاح الذي لا يعمل، أو انتهت موضته! ولا ننسى أن كميات هائلة من الأموال تضيع كذلك بسبب سوء الإدارة حتى إذا صلحت النوايا، وبسبب سوء التخطيط حتى لو توفرت الأمانة!



إن مشكلتنا ليست في العدد أبدًا.. إن مشكلتنا في الفساد الذي حطَّم المنظومة التعليمية على سبيل المثال، فما عادت تقوم بمعشار دورها. وانظروا إلى المدارس التي من المفترض أنها مكدسة بالتضخم السكاني، فإذا بها خاوية على عروشها، وقد هجرها مدرسوها وطلابها إلى مراكز الدروس الخصوصية، وما ذكرناه في حق المنظومة التعليمية ينسحب على كل المؤسسات في بلاد العالم الإسلامي.

إننا نحتاج إلى العدد الكُفُؤ ليستصلح الأراضي البور الهائلة في بلاد المسلمين، ونحتاج إلى العدد الكفؤ ليستخرج كنوز وخيرات الأرض هنا وهناك، ونحتاج إلى العدد الكفؤ لتشغيل المصانع والشركات والمشروعات الإنتاجية، ونحتاج إلى العدد الكفؤ الذي يعمل في البحار الهائلة التي يتمتع بها عالمنا الإسلامي، ونحتاج إلى العدد الكفؤ الذي يتعلم ويبدع ويبتكر ويخترع، ونحتاج إلى العدد الكفؤ الذي يدافع عن البلاد، ويكوِّن جيشًا قويًّا قادرًا على ردِّ أطماع الغزاة.

إن العدد إذا كان مدربًا ومؤهلاً يصبح نعمةً كبيرة، يجب أن نحمد الله عليها؛ لذلك يقول رسولنا ﷺ: «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ؛ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ»[1].

ولا شك أن رسولنا ﷺ لم يكن يقصد الأعداد الكبيرة التي لا وزن لها ولا قيمة، ولكنه كان يقصد أن يضاعف المسلمون أعدادهم، وفي نفس الوقت أن يرتفعوا بمستواهم، ويرتقوا بأدائهم.

لقد عدَّ الله ﷻ الكثرة نعمة عندما قال في كتابه: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦]. فلا مجال أن يتفلسف أحد، وينسى كل المتغيرات، ويتذكر ثابتًا واحدًا، هو أن الكثرة تحتاج إلى طعام أكثر، ومدارس أكبر، وهكذا.

أيها المغرضون الذين يريدون إضعاف المسلمين، راجعوا تعداد السكان في الدول المتقدمة عالميًّا: أمريكا (٣٠٣,٩ ملايين)، الصين (١,٣٣١ مليار)، اليابان (١٢٧ مليونًا)، ألمانيا (٨٢,٧ مليونًا)، فرنسا (٦٠,٩ مليونًا)، إنجلترا (٦٠ مليونًا) [2]. ونتساءل: هل أضعفت الأعداد الكبيرة هذه البلاد أم أن هذه الأعداد تحولت إلى قوة إنتاجية تدفع البلاد إلى الأمام؟

---

(١) أبو داود عن معقل بن يسار: كتاب النكاح، باب من تزوج الولود (٢٠٥٠) ترقيم محيي الدين، والنسائي (٣٢٢٧) ترقيم أبي غدة، وقال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع رقم (٢٩٤٠).

(٢) تقرير حالة السكان الصادر عن هيئة الأمم المتحدة لعام ٢٠٠٧م، الرابط:
http://www.unfpa.org/swp/2007/arabic/introduction.html

ونتساءل أيضًا: لماذا تشجِّع الحكومات في فرنسا وألمانيا المواطنين على كثرة الإنجاب؟ ونتساءل كذلك: لماذا يفتح الأمريكان باب الهجرة لأبناء العالم من كل مكان ليذهبوا إلى أمريكا، بل ويحملوا الجنسية الأمريكية؟ ولماذا يعطون الجنسية الأمريكية لمن وُلد على أرضهم؟!

أيها المسلمون، أنا لا أدعوكم إلى الكثرة المجردة، ولكن أدعوكم إلى كثرة في العدد مصحوبة بحسن تربية، ودقة تعليم، وإتقان توجيه، ونية صالحة تهدف إلى إعلاء كلمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها. وأختم بحديث رسول الله ﷺ: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلاَّ أُعْطِيَ مَا مِثْلهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

وأسأل الله ﷻ أن يعز الإسلام والمسلمين!

***

(١) البخاري عن أبي هريرة: كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل (٤٦٩٦)، ترقيم مصطفى البغا. ومسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملة (١٥٢)، ترقيم فؤاد عبد الباقي.

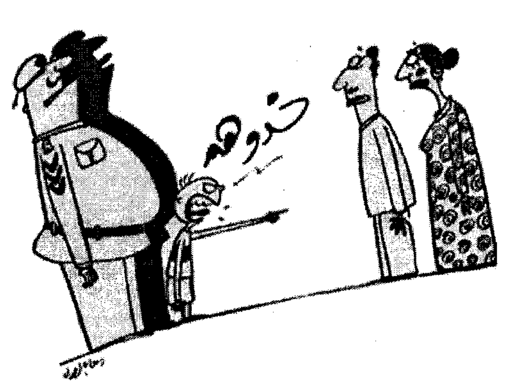


(٢٣)

قانون لتدمير الأسرة!![1]

كان رسول الله ﷺ حريصًا تمام الحرص على ألاّ يختلط المنهج الإسلامي بغيره من المناهج الأرضية الوضعية؛ حتى لا تفقد الأمة أهم مقومات قيامها، وهو الاعتماد في تشريعها ومبادئها على القرآن والسنة؛ وذلك تحقيقًا لقول الله ﷻ: ﴿أَلاَ للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]. وحتى إنه عندما رأى عمر بن الخطاب ﷺ يقرأ في صفحة من التوراة، قال له وهو غاضب: «أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَابْنَ الْخَطَّابِ؟! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً... وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلاَّ أَنْ يَتَّبِعَنِي»[2].

وعلى مر التاريخ كانت هذه القضية هي الفيصل في قيام الأمة الإسلامية أو سقوطها، فليس هناك فترة من فترات النهوض والعزة إلا وتجد الأمة متمسكة بقرآنها وسُنَّة نبيها، وتأبى أن تفرط في بندٍ واحد من بنود الشريعة الحكيمة. وليس هناك أيضًا فترة من فترات الضعف إلا وتجد فيها تهاونًا كبيرًا في أمر الدين، حتى يأتي المشرعون والحكام ورجال الفكر بقوانين



ما أنزل الله بها من سلطان، ويهجرون الشرع المحكم الذي أنزل رب العالمين.

وها نحن في هذه الأيام نمر بفترة عصيبة من حياة الأمة، تستورد فيها الأمة القوانين من هنا وهناك، غير مبالين بمخالفة الشريعة الإسلامية، وغير عابئين بالآثار الوخيمة التي

---

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٢٦/٦/٢٠٠٨م.

(٢) رواه أحمد (١٥١٩٥) ترقيم النسخة الميمنية، وضعفه شعيب الأرناؤوط.

ستعود على المسلمين من جرَّاء تطبيق هذه القوانين المستوردة، ومن آخر هذه القوانين وأخطرها قانون الطفل الجديد!!

ومع أن المروِّجين للقانون يعلنون أنه يهدف إلى حماية الطفل، ومع أن القانون يحوي فعلاً بعض البنود التي تهدف إلى مصلحة الطفل كمنع الاتِّجار به، وعدم التعرض له بالتحرُّش الجنسي، إلا أن القانون في نفس الوقت يحمل الكثير من المخالفات للشريعة الإسلامية، ورغم ذلك فقد أقره مجلس الشورى المصري، وهو معروض على مجلس الشعب.

إن القانون بدايةً يعرِّف الطفل بأنه الذي لم يصل إلى ثمانية عشر عامًا، وذلك اتباعًا لتعريف الأمم المتحدة وأوربا وأمريكا، ومن ثَمَّ فإنه يسحب عدة أحكام -بناءً على هذا التعريف- فيها مخالفة واضحة للشريعة الإسلامية. فالطفل في الإسلام هو الذي لم يصل إلى حد البلوغ بعدُ، وهذا بالنسبة للذكر والأنثى، أما إذا حدث البلوغ فقد طُرح الطفل من مرحلة الطفولة إلى مرحلة تحمل المسئولية (مرحلة المراهقة والبلوغ عند علماء النفس)، وفيها يصبح الإنسان -ذكرًا كان أو أنثى- محاسَبًا من رب العزة ﷻ على كل أعماله، وكذلك يصبح في الشريعة الإسلامية محاسبًا على كل أفعاله.

وبناءً على وصف الشاب الذي وصل إلى البلوغ ولكنه لم يصل إلى ثماني عشرة سنة بأنه طفل، فإن القانون يجرِّم زواج هذا الشاب أو الشابة، ومن ثَمَّ تصبح عقود الزواج قبل سن ١٨ باطلة، وهذا مخالفة للشريعة الإسلامية التي تجيز الزواج قبل هذا السن إذا تم البلوغ.

ثم تأتي الجريمة الكبرى والبلية العظمى، حيث يطالب القانون الجديد بتوفير ما يضمن الصحة الإنجابية للأطفال! بمعنى أن تتوفر وسائل منع الحمل لهم حتى يحمي البنات من الحمل المبكر، ويحمي الجنسين من الإيدز! فالزنا إذن قبل ١٨ سنة مسموح بشرط الحفاظ على الصحة وعدم الحمل، لكن الزواج ممنوع!!

وليس هذا فقط بل يؤكد القانون على أن الفتاة تملك جسدها، وبالتالي فهي تستطيع أن تتصرف فيه كما تشاء، وإذا ما أنجبت طفلاً بدون زواج، فإن لها أن تنسب هذا الطفل لنفسها أو لأبٍ وهمي دون احتياج إلى وجود الأب الحقيقي للمولود!

إنه إعلان واضح أن العَلاقات غير الشرعية ستصبح متاحة وسهلة، بينما الزواج سيكون صعبًا ومعقدًا، بل إن القانون يشترط على المتزوجين أن يقوموا بالفحص الطبي، فإذا لم يرفق بعقد الزواج هذا الفحص الطبي فإن العقد لا يصلح!

هذه بعض بنود القانون الخاصة بالعلاقات الجنسية، وما يتعلق بها.

ولا يكتفي القانون بهذا التدمير للأسرة، بل هو يسلك سبلاً أخرى للتدمير، منها على سبيل المثال تشجيع الطفل على أن يتصل بالشرطة لتنقذه من أبويه إذا تعرض للضرب منهما! وهنا تأتي الشرطة الرحيمة لتنتزع الطفل من أبويه، وتضعه في إحدى المؤسسات الاجتماعية الرقيقة والرفيقة!! أو تعطي هذا الطفل لإحدى الأسر الأمينة، إلى أن يثبت أن الأب والأم لن يجرآ على ضربه مرة ثانية!!



إننا ندرك أن هناك بعض الحالات التي يتجرد فيها الأب أو الأم من المشاعر الإنسانية الطبيعية، ويتجاوزون في إيذاء أبنائهم، لكن هل من أجل هذه الحالات يعاقب كل الآباء والأمهات بسحب أبنائهم منهم في حالة ضرب الطفل؟! وهل سيبقى حبٌّ بين الطفل وأبويه عندما يستدعي الطفل الشرطة للآباء؟! وهل إذا علَّم أبٌ ابنَه الصلاة لسبعٍ ثم ضربه عليها لعشرٍ فإن الشرطة ستسحب الابن لتعطيه لأسرة أمينة لا تضرب على الصلاة؟!

إننا لسنا بهذا الكلام نشجع الضرب أو الإيذاء، بل نعلم أن الرفق خير في الأمور كلها، لكن لا يكون العلاج بإدخال الشرطة والقضاء والحكومة في العلاقة الدقيقة بين الآباء وأبنائهم.

وقد يعتقد البعض أن هذا الكلام نظري، وأنه غير قابل للتطبيق، لكني أقول لهؤلاء:

إن هذا هو ما يحدث بالفعل في البلاد الأوربية وأمريكا، وإن الحكومة فعلاً تسحب الأبناء من آبائهم إذا قام الأب بضرب الابن وأبلغ الابن الشرطة. وإننا إذا كنا نستغرب هذا الآن فإنه سيصبح أمرًا عاديًا مستقبلاً، وقد تعجبت الأمة كثيرًا عندما ظهر من ينادي أن تخلع المرأة المسلمة حجابها، ومرت الأعوام والأعوام، وأصبح عاديًا جدًّا أن نرى النساء المسلمات بلا حجاب، بل يتجرأ الكثيرون عليه ويصفونه بالرجعية والتخلف والظلم للمرأة. وللعلم فإن القانون الجديد يعطي الطفلة التي لم تصل إلى ثمانية عشر عامًا الحقَّ في رفض الحجاب وإنْ وصلت إلى سن البلوغ، بل إن القانون الجديد يعطي الطفل حق اختيار الديانة، فليس بالضرورة أن يصبح الطفل مسلمًا إذا كان أبواه مسلمين!!

إلى أين تسير الأمة بهذه القوانين؟ ومَنِ المستفيد حقيقةً من تطبيقها؟!

إنني أرى أن مجرد عرض هذه البنود الإباحية والمارقة للمناقشة إثمٌ كبير وذنب عظيم، فما بالكم بإقراره وتطبيقه!! إنهم بدعوى حرية الفكر والرأي، والنظام العالمي الجديد يعرضون كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ على أهواء الناس واختياراتهم، وليس من شك أن الإسلام -وإن كان يؤيد الشورى- إلا أن ذلك لا يكون فيما أحله الله ﷻ أو حرمه.

وما أعظم رسولنا ﷺ وهو يقرأ لنا هذه الأحداث التي تمر بنا حيث قال: «**لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ.** قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: **فَمَنْ**»[(١)].

إن الأمة الإسلامية لن تخرج من كبوتها إلا بالاعتزاز الحقيقي بدينها، وهذا الاعتزاز الحقيقي يعني الرضا بما حكم الله ورسوله، والقناعة التامة بصلاحية الشريعة لحكم المسلمين في كل زمان ومكان، والتطبيق الفعلي لها في كل صغيرة وكبيرة من حياتنا.

وعندما نشعر بهذه العزة فعلاً، سيكون الخروج من أزماتنا بإذن الله، ولن ينصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به أوَّلها.

ونسأل الله ﷻ أن يعز الإسلام والمسلمين!

---

(١) البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم» (٦٨٨٩)، ترقيم مصطفى البغا.



(٢٤)

انتصار التهدئة في غزة!! [١]

من المؤكد أن الكثيرين من المتابعين للموقف في فلسطين كانوا يعتقدون أن إدارة حماس لقطاع غزة سوف تنهار سريعًا بعد قرار الانفصال بالقطاع، وكذلك الحكومة الفلسطينية، واستقلال فتح بالضفة الغربية، وكان الجميع يعتقد هذا الانهيار لكثرة الضغوط التي تتعرض لها حماس ومعها المسلمون المحاصَرون في داخل القطاع؛ فهناك الضغط اليهودي الشرس الذي يحكم الحصار حول القطاع، ولا يكتفي بذلك بل يطلق الصواريخ وقذائف الدبابات، ويتوغل أحيانًا ليلقي القبض على بعض المقاومين أو يقتل آخرين. وهناك الضغط الفلسطيني من السلطة القديمة التي يتزعمها محمود عباس ومن معه ممن انكشفت أوراقهم أمام عموم الناس بعد دخول حماس في السلطة، وظهر أمام الجميع كم الفساد الذي كانت تعاني منه الإدارة الفلسطينية، وما زالت تعاني منه في الضفة الغربية نتيجة سيطرة الرموز الفاسدة على الأمور هناك. وهناك الضغط العربي الذي يشارك في حصار حماس بمنتهى الجدية، ويستقبل زعماء السلطة القديمة على أنهم رموز الحكم الحقيقية، وينسى أن حكومة حماس كانت حكومة منتخبة من عامة الشعب الفلسطيني، وأنها تعرضت لإيذاء متكرر من منظمة فتح والسلطة القديمة، وذلك على



(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ١/ ٧/ ٢٠٠٨.



مـدار السـنوات المتتاليـة. وهنـاك الضغط الأمريكي والأوربي الـذي يُدرِج حماس داخل إطار الجماعات الإرهابيـة المحظـورة، ومـن ثَـمَّ يسـوِّلون لأنفسـهم كـل وسـائل الضـغط عـلى حمـاس، ويـبرزون تعـاطفهم الشـديد مـع اليهـود «المساكين»، ولعل هذا يتضح بقوة من خلال خطابات مرشحي الرئاسة الأمريكية أوباما وماكين على حد سواء.

وهناك أيضًا الضغط الإعلامي الذي يحمِّل حماس مسئولية الحصار الموجود في غزة، والوضع الاقتصادي والاجتماعي والأمني الصعب الذي يمر به القطاع، وكأن المفترض على هذه الحكومة المنتخبة أن تعيد تسليم مفاتيح الكرار إلى القط الفتحاوي القديم!

إن كل هذه الضغوط وغيرها كانت تنبئ بقرب سقوط حماس، وفشلها في السيطرة على الأوضاع في القطاع الفقير في غزة، ولكن هذا لم يحدث!! لقد رأينا أن اليهود على رغم ضخامة آلتهم العسكرية، والتأييد الأمريكي والأوربي، وأحيانًا التأييد العربي! على الرغم من كل ذلك وجدنا إسرائيل تقبل بتهدئة لمدة ٦ أشهر كاملة!! وهذه التهدئة مع قطاع غزة فقط، وليست مع قطاع الضفة الغربية.

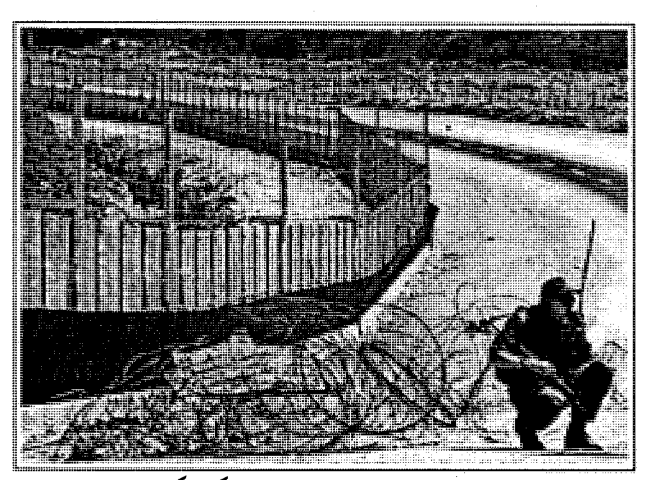
ولا يخفى على أحد أن اليهود لم يفعلوا ذلك لأنهم يرغبون في السلام، أو لأنهم يقترفون ما يقترفون بحق الفلسطينيين في قطاع غزة، أو لأنهم يقدِّرون حماس ويحترمونها، ولكن حدث هذا رغم أنوفهم، وبغير رغبتهم الحقيقية، لقد دُفِعوا إلى ذلك دفعًا؛ لأنّ الضغط الذي تمارسه عليهم حماس بالمقاومة أشدّ من الضغط الذي يمارسونه هم على حماس بالصواريخ والقنابل والعملاء!

إنه موقف فريدٌ حقًّا!

لقد ذكّرني هذا الموقف من أحد الوجوه بصلح الحديبية الذي أرادَت فيه قريش أن تلتقط الأنفاس، وطلبت التهدئة مع رسول الله ﷺ لمدة ١٠ سنوات كاملة، مع أنها هي القبيلة القوية العريقة، والدولة الإسلامية ناشئة وصغيرة؛ ولذلك اعْتُبِر صلح الحديبية فتحًا إسلاميًّا، حتى قال تعالى في وصفه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١].

وليس ضروريًّا أن تكون التهدئة متشابهة تمام التشابه مع صلح الحديبية، ولكنها تعني أمرًا واضحًا، هو أن القوتين -حماس واليهود- قوتان متكافئتان!

إنني أعتبر هذه التهدئة نصرًا للمسلمين بحق!



ولكن لا بُدَّ أن نأخذ في الاعتبار أن قريشًا نقضت عهدها بعد ذلك وخالفت الصلح، واليهود أشد خيانة من قريش والمشركين؛ لذلك يُتَوَقَّع جدًّا أن يقوم اليهود بنقض هذه التهدئة بأي عِلَّةٍ من العلل، أو حتى بدون علة، وقد وصفهم ربنا ﷻ في القرآن بقوله: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠].

وتاريخ اليهود يُثبت هذا الأمر؛ ولعلّ هذا هو ما دفع عموم المشتركين في استبيان الموقع (حوالي ٨٨ ٪) إلى التشكيك في إمكانية أن تستمر التهدئة لمدة ستة أشهر كاملة، وقد بدت بوادر هذا النقض واضحة عندما قرأنا -منذ يومين- عن غلق اليهود المعابر التجارية في غزة.

وعليه فإن كنا نتوقع مثل هذا النقض والغدر فإن علينا أن نستعد، ولا يعني ذلك أن نسارع نحن بنقض العهد أو قطع الهدنة، فالمسلمون عند عهودهم، ولكن يجب أن نأخذ

كل التدابير اللازمة للتعامل مع الموقف بسرعة في حال نقض اليهود للتهدئة المتفق عليها.

وعلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن يقفوا بكل طاقاتهم السياسية والاقتصادية والإعلامية، وقبل ذلك وبعده الإيمانية مع إخوانهم الصامدين في قطاع غزة، فالموقف جَلَل، والحدث مُهِمٌّ، والقضية خطيرة، والجميع مسئول عن أرضٍ انتهبها اليهود في وجود أكثر من مليار مسلم على وجه الأرض.

ونسأل الله ﷻ الثبات لحماس ولكل من رفع راية الإسلام!

ونسأله ﷻ العزة للإسلام والمسلمين!

***

(٢٥)

الولايات المتحدة الإفريقية[1]

سمع الكثيرون عن فكرة الولايات المُتَّحِدَة الإفريقية التي نادى بها منذ فترة الرئيس الليبي العقيد القذافي، وتكرّر الحديث عنها في مؤتمر القمة الإفريقي الأخير؛ حيث قالوا: إنها من الأفكار التي يطمح الزعماء إلى تحقيقها.



وما من شَكٍّ أنّ الاتّحاد قوة، وأنّ الوَحْدة مطلبٌ إسلاميٌّ أصيل، وأنّ الآيات التي وردت تحثُّ المسلمين على الوحدة أكثر من أنْ تُحصى في مقال واحد، وكذلك الأحاديث النبوية.

كما أن التجارب البشرية في التاريخ والواقع وعند المسلمين وعند غير المسلمين، تُثْبِتُ أنّ الوحدة دائمًا تأتي بخير وتَقَدُّمٍ وعِزَّة.

ليس من شَكٍّ في كل هذه الحقائق..

لكن هل الوحدة مُجَرَّد رغبةٍ عابرة تأتي على ذهن إنسان، أم هي مشروع كبير يحتاج إلى فكر وجهد وتضحيات كثيرة؟

إنّ الوحدة الشكليَّة دون نِيَّةٍ حقيقية للاتحاد تُفْرِزُ كيانات هشَّة ضعيفة، مثل الجامعة العربية أو مؤتمر القمة الإفريقي، أو غير ذلك من الاتحادات التي لا تملك سلطة ولا قُوَّة تأثير، إنها فقط مُجرد لقاءات لِذَرِّ الرماد في العيون.

---

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ١٠/ ٧/ ٢٠٠٨م.

إنهم يريدون ولايات مُتّحِدَة إفريقية على غرار الولايات المُتّحِدَة الأمريكية...

ونقول: هذا جميل، ولكن..

من سيكون الرئيس لهذا الكيان؟!

وهل سيقبل زعماء إفريقيا أن تدار بينهم انتخابات حرّة نزيهة لاختيار زعيم كزعيم أمريكا يحكم كل الولايات، ويصبح الزعماء الآخرون مجرّد محافظين على ولاياتهم؟!

مَنْ مِنْ زعماء إفريقيا سيقبل ذلك؟!

إنّ القهر والبطش والدكتاتورية التي تُعاني منها الأقطار الإفريقية لا تَخْفَى على أحد، وابن الزعيم في معظم الدول الإفريقية -إنْ لم يكن كلها- لا يقبل بتسليم السلطة إلى رجل من أهل بَلَدِه ودِينه وعَشِيرته، فكيف سيقبل بتسليمها إلى زعيم من دولة أخرى؟!

وحتى لو قَبِلْنَا بالصورة الأدنى من صورة الولايات المُتّحِدَة الأمريكية؛ كصورة الاتحاد الأوربي مثلاً، فهل الدول الإفريقية بما فيها من حكومات فاسدة، ورشاوى خطيرة، واختلاسات وسرقات وتَعَدِّيَات، ستتفهَّم مسألة فتح الحدود، وسهولة التعامل التجاري والاقتصادي، واتصال الطرق والمعابر، والتعاون في القضايا المشتركة؟!

إنّ الوحدة مرحلة حضاريّة مهمّة تحتاج إلى إعداد مسبق..

لقد زرع الرسول ﷺ الإيمان العميق في قلوب المؤمنين من أهل مكة، وكذلك أهل المدينة؛ حتى يقبلوا في النهاية فكرة الوحدة في داخل إطارٍ واحدٍ هو الإسلام، ولم يكن هذا أمرًا سهلاً، إنما تَطَلَّبَ إعدادًا كبيرًا، وجهدًا مضنيًا، وإيمانًا عميقًا بمبدأ واحد، وقضيّة واحدة.

ولقد دارت حروب شتى في الولايات المُتّحِدَة الأمريكية، وسالت دماءٌ كثيرةٌ، ووضعت دساتير شتى حتى وصلوا في النهاية -بعد جهد- إلى فكرة الوَحْدة، وأصبحت الولايات الكثيرة المتفرقة دولة واحدة.

ولقد مَرَّت أوربا كذلك بتجارب ديمقراطية كثيرة، ومحاولات توحُّد شتى، حتى

وصلت إلى هذه الصيغة النهائية المفيدة، التي تجمع أقطارًا من أصناف شتى، ولغات مُتَعَدِّدة، وتاريخٍ يحمل حروبًا وخلافات، ومستويات اقتصاديّة متفاوتة.

ولم يكن في استطاعة هذا الكيان الأوربي الجديد أن يستوعب الدول المتخلّفة شرق أوربا، إلا بعد أن تحررت من النظام الشرقي الشيوعي المتخلف، التي بدأت في تعديل نظم حياتها وأصول معاملاتها وقوانينها؛ حتى تنسجم مع الوحدة الأوربية الشاملة.

إن إفريقيا تحتاج إلى إعادة تأهيل وتربية، وتحتاج إلى تعديل ثقافات وقناعات؛ لكي تتمكن من الوحدة يومًا ما، وليس هذا بالأمر السريع أو السهل، إنما يحتاج إلى إصلاحات داخلية كثيرة قبل التفكير في الوحدة الخارجية.

وليس من المبالغة إن قلنا: قبل أن ننادي بوحدة الولايات الإفريقية، علينا أن ننادي بوحدة الشعب الواحد داخل القطر الواحد؛ بمعنى أن يَتَّحِدَ الشعبُ بكامله، حكامٌ ومحكومون، وزراء وغفراء، أغنياء وفقراء؛ لتحقيق طموح واحد يهدف إلى رفعة حقيقية للدولة الواحدة.

وعند تحقُّق هذا الأمر في دولتين، يمكن أن يحدث بينهما وحدة.. ولو تحقق في أكثر، فسوف يَتَّحِدُ هذا الكثير.

ونسأل الله ﷻ أن يُعِزَّ الإسلام والمسلمين!

***



(٢٦)

تحرير الأسرى اللبنانيين!![1]

كان المفترض أن يكون مقالنا اليوم عن تهديد أمريكا المستمر لإيران بالضرب والحصار، ولكننا نعتذر لقُرَّائنا، سنؤجل الحديث عن هذا الموضوع المهم أسبوعًا أو أسبوعين؛ لأهمية التعليق على الحدث العاجل الذي رأيناه جميعًا في وسائل الإعلام، وهو تحرير الأسرى اللبنانيين.



لقد رأينا جميعًا عملية تبادل الأسرى التي أبرمها حزب الله مع اليهود عبر مؤسسة الصليب الأحمر، وفيها استرد اللبنانيون خمسة من الأسرى منهم سمير القنطار اللبناني، الذي قضى قرابة الثلاثين عامًا في السجون اليهودية، ولا شَكَّ أن الحدث كبير ويحتاج إلى عدة وقفات..

الوقفة الأولى: رسالة إلى كل الحكام العرب، وإلى منظمة فتح وما شابهها، أن اليهود لا يفقهون مسألة الحقوق والقوانين والأعراف؛ ولذلك فهم لا يَعْتَدُّون بها مُطلقًا، ويَضْرِبون بها دائمًا عُرض الحائط، ولا يقفون وقفة جادة لإعادة الحق إلى أصحابه إلا بعد التعرض لضغط شديد، سواء كان هذا الضغط عسكريًّا، أو كان عن طريق أسر جندي يهودي، أو عن طريق وقفات صلبة من المفاوضين المسلمين، أو نحو ذلك من وسائل الضغط؛ لذلك فليس هناك معنى أبدًا لطاولة مفاوضات يجلس عليها يهودي ومسلم

---

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ١٧/ ٧/ ٢٠٠٨م.

يتبادلون الابتسامات، وكذلك ألقاب التشريف المختلفة، دون أن يكون هناك ورقة ضغط حقيقية على الكيان الصهيوني.

وهذه وقفة مفهومة لكل عاقل، فلم يحمل التاريخ بكامله أي احترام للحقوق من جانب اليهود.

الوقفة الثانية: أعجبني التلاحم الشعبي الجميل الذي قام به اللبنانيون أثناء استقبال الأسرى، حيث اجتمعت الفصائل المختلفة، وأحيانًا المتناحرة، للاحتفال بهذا اليوم المتميز.. فنحن مع المواطنة وتلاحم قوى الشعب المختلفة في قضية حق واحدة، حتى وإن اختلفنا في أمور عقائدية ومذهبية وسياسية، ولكن لا بُدَّ من البحث عن أرضيّة مشتركة يقف عليها الجميع، ولقد قبل الرسول ﷺ أن يتحالف مع بني قريظة للدفاع عن المدينة المنورة عندما هاجمتها الأحزاب المشركة، باعتبار أن كل من يعيش بالمدينة المنورة هو مواطن في هذه الدولة، وعليه الدفاع عنها.

الوقفة الثالثة: على المسلمين أن يفقهوا جيّدًا أن هذه العملية ليست إلا خطوة بسيطة لاسترداد أحد الحقوق المسلوبة من الأمة الإسلامية؛ فالحقوق التي لم تسترد بَعْدُ أكثرَ بكثيرٍ ممّا أخذناه؛ فَعَلَى المستوى اللبناني ما زالت هناك مزارع شبعا محتلة، وكذلك تلال كفر شوبا، وعلى المستوى السوري ما زالت هناك هضبة الجولان الاستراتيجيّة، أما على المستوى الفلسطيني فحدّث ولا حرج، فهناك دولة بكاملها منهوبة، وشعب بكامله مسلوب. وعلى هذا فلا يجب أن يدفعنا الفرح بالنصر الجزئي إلى نسيان أهدافنا الكبرى، وهي تحرير كل أرض محتلة، واستنقاذ كل مظلوم.



الوقفة الرابعة: لا ينبغي أن ننسى أحد عشر ألف أسير فلسطيني في السجون اليهودية، وإذا كان حسن نصر الله قد

فاوض اليهود على الأسرى الخمسة، فَمَنْ مِنَ المسلمين سيتحرّك لهؤلاء؟ وما وسيلة التحرير المناسبة؟ وهل نتوقع أن يوافق اليهود على تحريرهم بمجرد الطلب المؤدب المهذب من بعض المفاوضين: من فضلكم.. إذا سمحتم.. أطلقوا أسرانا!!

الوقفة الخامسة: على جميع الأمة أن تقف بشكل واضح وقوي وفعال مع حماس في مسألة الجندي اليهودي الذي تحتجزه، فهذه ورقةُ ضغطٍ مُهِمَّة جِدًّا، واجتماعُ القوى المسلمة من كل بلاد العالم على تشجيع حماس وتأييدها سيدفعها إلى تحقيق نتائج إيجابية جدًّا، ربما تفوق بكثير تحرير خمسة من الأسرى.

الوقفة السادسة: على الشعب اللبناني أن يجني بكامله ثمرة هذا العمل، ولا ينبغي أن يكون جني الثمرات مقتصرًا على حزب الله أو غيره، وإلا تمزقت لبنان إربًا؛ فالشعب اللبناني كله تعرض للأذى من القصف اليهودي، كما أن حزب الله إذا طالب بالثمرات بمفرده، نتيجة هذه العملية، فسوف يعلن السُّنَّة سيطرتهم على صيدا وبيروت اللتين قام السُّنة بتحريرهما قبل ذلك، وقد يستأثر الدروز بمنطقة، والمسيحيون بأخرى، والسوريون بثالثة... وهكذا تختفي معالم الدولة، ولا نشك أن القوى السُّنِّية في لبنان لو كانت تتلقى دعمًا ماليًّا وعسكريًّا من أي دولة سُنِّية في العالم -كما يتلقى حزب الله المعونة من إيران- لكان أداؤها متميِّزًا، ومقاومتها فعّالة، لكن للأسف فإن السُّنَّة لا بَوَاكِيَ لهم!

وبعد.. فإن الموقف كبير، ووقفاته متعددة، ولكن تبقى الرسالة الكبرى واضحة أمام الجميع -مسلمًا كان أو غير مسلم- أن الذي أُخذ بالقوة لا يمكن أن يسترد إلا بالقوة.

ونسأل الله أن يعز الإسلام والمسلمين!

***



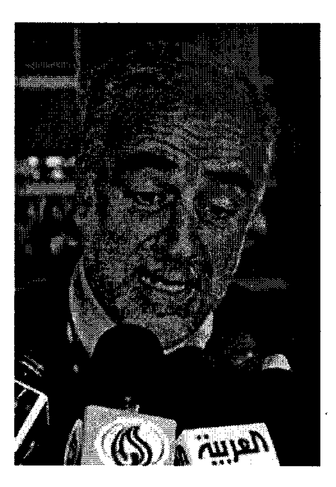
(٢٧)

عشرة آلاف مكيال!! (١)

تابع الجميع القرار الذي أصدرته المحكمة الجنائية الدولية بتوقيف الرئيس السوداني عمر البشير بتهمة ارتكاب جرائم ضد الإنسانية والإبادة الجماعية، والقرار يعكس بصورة فجَّة الأوضاع المقلوبة التي يعيشها العالم نتيجة انفراد القوى الكبرى بالقرارات المصيرية، والتي أصبح المسلمون فيها كالأيتام على موائد اللئام.



إن قرار محاكمة الرئيس السوداني صدر نتيجة تحويل القضية من مجلس الأمن إلى المحكمة الجنائية الدولية؛ وبالتالي فالأعضاء الدائمون في مجلس الأمن -والذين يملكون الفيتو- من حقِّهم أن يرفضوا تحويل رئيس معيَّنٍ، إذا كانوا يرضون عن أعماله، وإلا فلماذا لم يُحَوَّل إلى هذه المحكمة صدام حسين عندما قام بجرائم واسعة ضدَّ الأكراد، إلا في وقت معيَّنٍ أرادته أمريكا؟ ولماذا لم يُحَوَّل عشرات الرؤساء والملوك في العالم إلى هذه المحكمة؟ مع كل ما تقوله وتُثبته جمعيات حقوق الإنسان من وجود عشرات الآلاف من المعتقلين في السجون دون محاكمة، ومن وجود تعذيب وقتل في هذه السجون، وغير ذلك من التعديات الجنائية.



إن المشكلة الحقيقية ليست في دارفور أو الصومال أو العراق فقط، إنما هي في أنظمة

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٢٤/ ٧/ ٢٠٠٨م.

ظالمة، أُطلق لها العنان لتتحكم في رقاب العباد، وذلك في ظلِّ غياب قوة إسلامية وعربية تحفظ كرامة وعِزَّة المسلمين.

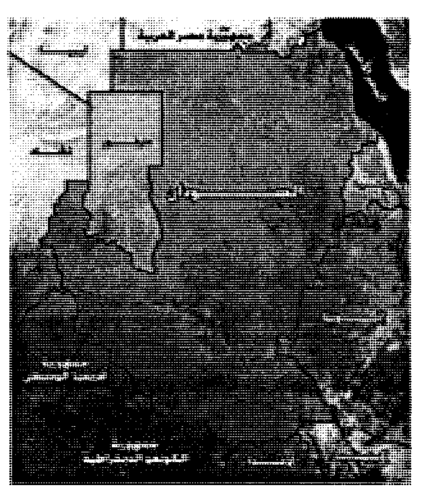
من المؤكد أننا نرفض أن تُصدر المحكمة الدولية قرارًا بشأن الرئيس السوداني لأكثر من سبب:

أوَّلاً: لا نقبل بالتدخُّل الخارجي في شئوننا.

وثانيًا: نحن نعلم التعاون الوثيق بين المتمرِّدين والقوى الغربية المختلفة، بل واليهود.

وثالثًا: فإن الرئيس البشير بالذات من أكثر الرؤساء العرب توازنًا، ومن أشدِّهم تفهُّمًا لأوضاع بلاده، ومن أكثرهم اختلاطًا بشعبه. كما أنه من الرؤساء الذين يشهد لهم المعاصرون بتقوى الله والاهتمام برأي الإسلام في القضايا المختلفة، وليس من المنطقي أن نصدِّق عنه الدعايات الغربية واليهودية التي تدينه بجرائم إبادة.

ورابعًا: فإننا جميعًا ندرك الأطماع الاستعمارية للغرب الأوربي والأمريكي في السودان، وهذا يفسر لنا رقَّة القلب الغربية على المساكين في دارفور!



ولماذا يطمع الغرب في صحراء دارفور؟!

والإجابة مركَّبة!

فدارفور -خاصَّة في جنوبها- تعوم على بحيرة بترول بِكْر، ودارفور يَسْكُنُها مليون مسلم أو أكثر، وكلهم من الفقراء المعدمين، الذين يعتبَرُون مادَّة سخيَّة للتنصير؛ ولذلك تتنافس لجان الإغاثة الأوربية على الخدمة في هذا المكان القفر. وفوق ذلك فالتوجُّه الإسلامي الواضح للحكومة السودانية يرعب المُنَصِّرين الأوربيين من احتمالية انتشار الإسلام في جنوب

السودان الوثني، ومن بعد ذلك في مجاهل وسط إفريقيا.

هذه أسباب تجعل الغرب يهتمُّ بقضية دارفور، ويجمع لها الحشود، ويقتطع من وقت مجلس الأمن والمحكمة الجنائية الدولية الموقرة، بل ومن الممكن أن نجد أن الأمم المتحدة قد جمعت جيوش الأرض بهدف تحرير السودان من رئيسها!

ومع كل هذه الأوضاع المأساوية إلاَّ أن ذلك لا يعني أننا نرضى عن الانتهاكات الإنسانية في أي بلد مسلم، بل في أي بلد في العالم، بل نريد لها تحقيقًا عادلاً يُظهِر الحقيقة، ويُنْزِل العقاب على مَنْ يستحقُّ، دون تعدٍّ أو ظلم.

وكيف يحدث هذا؟!

إنه لن يحدث طالما بقيت الأُمَّة الإسلامية مُفَرَّقة ومُشَتَّتة، ولا كيانٌ واحدٌ يضمُّها، والأمل في الخلاص يكمن في اتِّحاد العالم الإسلامي في منظَّمة تمتلك أدوات التغيير، وتستطيع أن تجمع الأموال، وتَقْدِر على محاكمة الظالمين، ولها إمكانية تجميع الجيوش، والقيام بما تقوم به الأمم المتحدة حاليًّا، وليس هذا أمرًا عجيبًا أو مستحيلاً؛ فالأمم الأوربية فعلتْ ذلك في كيان الاتحاد الأوربي، ولسنا أقلَّ من هذه الدول؛ من حيث فهمنا للأمور، ومن حيث الإمكانيات، ومن حيث التاريخ، بل إننا نفوقها بما لا يُقَارَن وهو العقيدة الإسلامية، والشريعة الربانية، والأخوَّة في الله التي فضَّلها ربنا ﷻ على نعم الأرض جميعًا؛ حيث قال في كتابه: ﴿**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [الأنفال: ٦٣].

إنني أعلم أن هذه الوحدة ليست أمرًا سهلاً، وأعلم أن القائمين على أمور المسلمين لا يريدونها، وأعلم أن الغرب واليهود سيقاومونها بكل طاقتهم، ولكنني أعلم في نفس الوقت أنه «ما ضاع حقٌّ وراءه مطالب»، وأنه «ليس للإنسان إلا ما سعى»، وأن الله ﷻ إذا اطَّلع على قلوب العباد ووجد فيها إخلاصًا ويقينًا فإنه يَمُنُّ عليها بما لا تتخيل من نِعَم، ويرزقها من حيث لا تحتسب. وأرى أن أوَّل الطريق أن نفهم الأمور على حقيقتها، وأن يسعى كلٌّ مِنَّا إلى لَمِّ الشمل، وتوحيد الصفوف، وتكوين جبهات داخلية صلبة في كل

بلد مسلم؛ تستطيع بعد ذلك أن تتوحد في كيان أكبر كلما ازدادت نضجًا وفهمًا للواقع.

أمَّا بالنسبة للمسألة السودانية فعلى الجميع الآن أن يخلق جوًّا عامًّا من الرفض لهذا القرار الظالم من المحكمة الدولية، وأن يُظْهِرَ تعاطفًا واضحًا مع السودان الشقيق؛ ليدرك الغرب أن خطوة اقتحام السودان تحت مسمًّى تحريره من رئيسه لن تكون خطوة آمنة أبدًا.

إنني أحلم باليوم الذي نعالج فيه أمور حياتنا ومشاكلنا وأزماتنا بشكل منهجيٍّ مدروس، وعلى هُدى وبصيرة، ولن يكون ذلك إلاَّ بعودة كاملة إلى الأصول؛ وأصولنا قرآن وسنة.

ونسأل الله أن يُعِزَّ الإسلام والمسلمين!

* * *

(٢٨)

بعبع تحت السيطرة!![1]

قلما تجد صحيفة عربية أو عالمية، وكذلك قلما تجد نشرة أخبار عربية أو عالمية، إلا وقد نقلت خبرًا بخصوص تهديد أمريكا لإيران، واحتمالية أن تتجه أمريكا لحرب إيران عسكريًّا نتيجة للنشاط النووي البارز الذي تقوم به هذه الدولة «المارقة» بحسب توصيف الرئيس الأمريكي جورج بوش.



ويتساءل الكثيرون: هل يمكن -فعلاً- لأمريكا أن تفتح جبهة جديدة للحرب ضد إيران؟ وهل خطورة النشاط النووي الإيراني ستدفع أمريكا إلى تكرار تجربة العراق؟ وهل المصلحة الأمريكية في العالم الآن تستلزم هذه الخطوة الخطيرة؟

كلها تساؤلات تجعل العالم يتابع باهتمام هذه القضية الحساسة..

والذي يبدو لي في هذه المسألة أن احتمال ضرب أمريكا لإيران بعيد جدًّا، بل لعله غير وارد بالمرة!

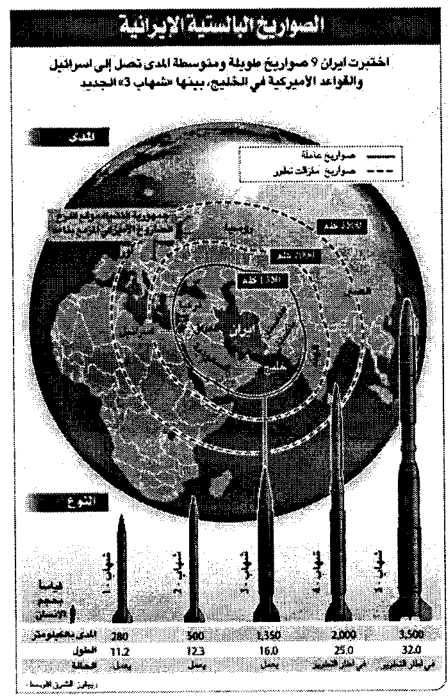
فأوّلاً: أمريكا لم تصل إلى هذه الدرجة من الغباء حتى تفتح على نفسها جبهة جديدة في إيران؛ فالواضح أن الجيوش الأمريكية قد دخلت في مستنقع العراق، ووجدت ما لم تكن تتوقعه من المشاكل، وتعرضت لما خرج عن حساباتها من الخسائر، والكثير من

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٢٧/ ٧/ ٢٠٠٨م.

الشعب الأمريكي يطالب بسحب القوات من العراق، كما يتنافس الآن المرشحان الأمريكيان أوباما وماكين على وسيلة إنهاء المشكلة العراقية.

وثانيًا: فإن أمريكا تعلم أن ضرب إيران قد يُوَحِّدُ السُّنَّة والشيعة -على الأقل سياسيًّا- في قضية واحدة هي الحرب ضد الأمريكان، وقد يتوقف مسلسل ذبح الشيعة لسنة العراق، وهذا قد يُتْعِبُ الأمريكان كثيرًا؛ لأن المقاومة الحقيقية في العراق هي مقاومة سنية، وقد ترفع إيران يدها عن مساعدة شيعة العراق، مِمَّا يُرَجِّحُ كفة السنة هناك، وهذا - لا شَكَّ- سيؤثر سلبًا على الوجود الأمريكي.

ثالثًا: تجربة أمريكا الوحيدة في إيران سنة ١٩٨٠ لتحرير الدبلوماسيين الأمريكان المحتجزين من قبل شباب الثورة الإيرانية، كانت تجربة سلبيّة، وفقدت فيها أمريكا جنودًا وطائرات وموقفًا سياسيًّا، وطبيعة إيران الجبلية والصحراوية قد تُصَعِّبُ على أمريكا أخذ قرار عسكري ضد هذا البلد.



ورابعًا: ليس من السهل أن تأخذ دولة قرارًا بمهاجمة دولة نووية، وأمريكا تعلم أن النشاط النووي الإيراني ليس وهميًّا كالذي كانت تتهم به العراق؛ ومن ثَمَّ فضرب هذا البلد لا بُدَّ أن يحمل خطورة وصول رأس نووي إلى مكان حساس بالنسبة لأمريكا. ولا ننسى أن قطر تحوي أكبر قاعدة عسكرية أمريكية في الشرق الأوسط، كما أن اليهود في فلسطين ليسوا بعيدين عن إيران، ناهيك عن التواجد الأمريكي المكثف في العراق والكويت.

وخامسًا: إن التاريخ الحديث والقديم لم يحمل أي خطورة لدولة شيعية على الدول

غير المسلمة المحاربة للمسلمين، وليس من المعتاد أن تُكَشِّرَ هذه الدول أنيابها في وجه هؤلاء المعتدين، إلا إذا تعرضوا لها شخصيًّا حيث يصبح القتال من أجل البقاء، وعادة ما تُبْقِي هذه الدول الشيعية قوّتها لحرب الدول السنية المجاورة!

فالدولة البويهية الشيعية لم تحارب الدولة البيزنطية النصرانية القريبة، إنما حاربت الخلافة العباسية السنية.

والدولة العبيدية الشيعية (المسماة بالفاطمية) لم تحارب الصليبيين في شمال الأندلس، بل تعاونت معهم لحرب دولة عبد الرحمن الناصر السنية في جنوب الأندلس.

والدولة العبيدية الشيعية في مصر لم تحارب الصليبيين عند غزوهم للشام وفلسطين، بل عرضت عليهم التعاون لضرب السلاجقة السنة في هذه المناطق، وعرضت عليهم تقسيم هذه المناطق السنية بينهم.

والدولة الصفوية الشيعية لم تحارب فرنسا وإنجلترا وروسيا، بل حاربت الدولة العثمانية السنية.

والدولة الإيرانية الشيعية لم تحارب روسيا الملحدة بل كانت تخطف المجاهدين الأفغان، ولم تحارب أمريكا أو اليهود بل حاربت العراق ثماني سنوات.

كل هذا التاريخ يُرَجِّحُ أن إيران لن تتطوع بحرب ضد اليهود أو الأمريكان إلا إذا حدث غزو لأرضها، فهنا ستظهر المخالب دفاعًا عن الرقعة التي يسيطرون عليها، تمامًا كما حدث من حزب الله الشيعي عند احتلال جنوب لبنان.

وسادسًا: رأينا منذ عدة أشهر أن أحمدي نجاد الرئيس الإيراني عندما زار العراق فإنه زارها تحت حماية أمريكية! مما يؤكد أن العلاقات ليست بالسوء الذي تصفه وسائل الإعلام.

إذا كان الأمر كذلك، فلماذا إذن التضخيم من شأن النشاط النووي الإيراني والتهويش الدائم بضربها؟!

إن هذا لا يحمل في تخيُّلي إلا معنى واحدًا، وهو أن أمريكا تريد أن تصنع من إيران

«بعبعًا» جديدًا يُخَوِّفُ المنطقة بكاملها، بحيث يصبح الوجود الأمريكي في العراق والخليج مُبَرَّرًا؛ أي أن إيران ستقوم بالدور الذي كان يقوم به صدام حسين قبل ذلك، حيث حرصت أمريكا على إبقائه في مكانه دون أذى ثلاثة عشر عامًا كاملة، حتى يقبل الجميع بوجود الحامي الكريم (أمريكا) لتحفظ البلاد الإسلامية من شرور صدام! ثم انتهى دور صدام، وضعفت قوته إلى الدرجة التي لم يعُدْ فيها مُخِيفًا لغيره، فكانت تمثيلية أسلحة الدمار الشامل ثم القضاء عليه واحتلال العراق، ولم يجد أحد أسلحة دمار شامل ولا غير شامل، لكن الناس تنسى بسرعة. والآن تحتاج أمريكا إلى «بُعْبُع» جديد تُبْقِيه تحت السيطرة، فلا يؤذي أحدًا، ولا تنمو له مخالب، ولا يتطوع بهجوم أو تهور، ولم تجد أمريكا أفضل لهذا الدور من إيران؛ ولذلك قادت هذه الحملة الإعلامية المنظّمة.

وقد ينتهي دور إيران بعد عدة سنوات، لتبحث أمريكا عن بُعْبُع جديد، ولن تنتهي هذه اللُّعبة السخيفة إلا عندما يصبح المسلمون قادرين على الدفاع عن أنفسهم ضد أي بُعْبُع في المنطقة، سواء كان إيرانيًّا أو أمريكيًّا أو يهوديًّا أو حتى من الفضاء الخارجي!!

ونسأل الله ﷻ أن يعز الإسلام والمسلمين!

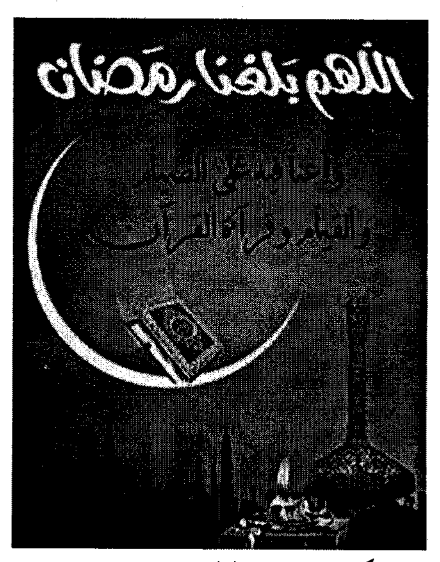
***



(٢٩)

رمضان وبناء الأمة(١)

تعيش الأمة الإسلامية لحظات عظيمة من السعادة؛ لأنها تقترب من حدث جليل، ألا وهو قدوم شهر رمضان المبارك. هذا الحدث يفيض عليها كل عام باليمن والبركات والخير والرحمة، حدث ينتظره الكبير والصغير، ينتظره الرجل والمرأة، وينتظره الغني والفقير، ألقى الله ﷻ محبته في قلوب المؤمنين جميعًا حتى في قلوب الأطفال الذين لا يعرفون صيامًا ولا قيامًا.



لننظر إلى وصف النبي ﷺ لهذا الشهر المبارك الذي قال فيه: «قَدْ جَاءَكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ، افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ...» (٢)؛ لندرك أن فرص عمل الخير ودخول الجنة والنجاة من النار والانتصار على الشياطين، فرصٌ كبيرة جدًّا في رمضان. ثم منَّ الله على هؤلاء الصائمين بهدية لا مثيل لها، ألا وهي ليلة القدر، فقال رسول الله ﷺ: «فِيهِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ»(٣).

فكان رمضان شهرًا تُبنى فيه النفوس، وركنًا من أركان الإسلام الخمسة التي اختارها الله سبحانه من كل أبواب الإسلام الضخمة ومناحيه الواسعة وجعلها أعمدة

---

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٣١/ ٨/ ٢٠٠٨م.

(٢) رواه أحمد (٧١٤٨، ٩٤٩٣)، وصححه شعيب الأرناؤوط.

(٣) الحديث السابق نفسه.

للإسلام، من هذه الأعمدة رمضان.

إذن فشهر رمضان ليس مجرَّد شهر يمر على المسلمين ليسعدوا به لحظات ويحزنوا لفراقه لحظات ثم ننتظره العام القادم؛ فشهر رمضان عمود من الأعمدة التي تحمل الإسلام. فتخيَّل معي أن هذا العمود غير موجود، أو تخيل أن هذا العمود مغشوش أو هش. تخيل أن به خللاً في التصميم أو خللاً في التطبيق، ماذا ستكون النتيجة؟ سينهار البناء بالكُلِّيَّة، عمود واحد فقط ينهار من أجله البناء، نعم ينهار البناء الضخم بالكلية. إذن الأمر في غاية الأهمية إن كنا نريد بناءً قويًّا صُلبًا لهذه الأمة، فلا بُدَّ أن يكون أساسه متينًا، ومن ثَمَّ لا بُدَّ أن يكون صيام رمضان على أعلى درجات الإتقان حتى يحمل فوقه صرح الإسلام العظيم الرائع.

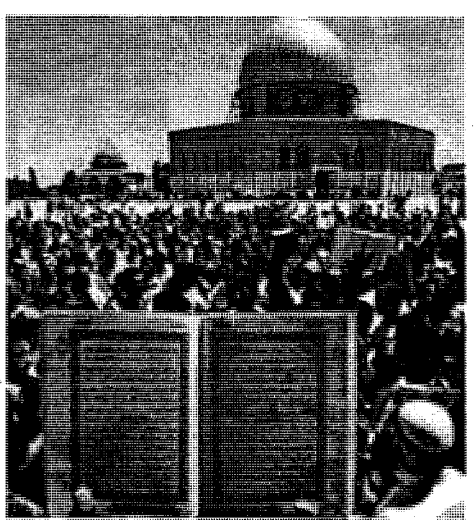
بهذه العزيمة وبهذا الفكر ومن هذا المنطلق نريد أن ندخل إلى رمضان، نريد أن ينتهي رمضان وقد أصبحنا مؤهَّلين لحمل الصرح العظيم والأمانة الكبيرة.

فالقضية ليست قضية صيام فقط، ولكنها قضية بناء أمة، أو قل: بناء خير أمة؛ كيف يبني رمضان أمة الإسلام؟

ولكي نفهم الأمر من بدايته فلنراجع جزئية تاريخية لطيفة، وهي متى فرض رمضان على المسلمين، وإذا عرفنا هذه النقطة فسنعرف دور رمضان في بناء أمة المسلمين.

فُرض رمضان على المسلمين في شهر شعبان سنة ٢ هجرية، بالضبط في ٢ من شعبان سنة ٢ هجرية. لما راجعتُ الأحداث التي وقعت في هذا الشهر بالذات شهر شعبان سنة ٢ هجرية، اكتشفتُ شيئًا عجيبًا جدًّا، اكتشفت أنه قد حدث في هذا الشهر أمور كثيرة من أعظم الأمور التي مرت في تاريخ المسلمين، أذكر أربعة أمور في غاية الأهمية حدثت كلها في شهر شعبان سنة ٢ هجرية؛ أوَّلها: فرض الصيام في رمضان. وثانيها: فرض الزكاة، وكانت مفروضة في مكة ولكن دون تحديد للنصاب والأحكام المختصة بها، فحُدِّد ذلك في شعبان سنة ٢ هجرية. وثالثها: فرض القتال على المسلمين بعد أن كان مأذونًا به فقط، فقال الله ﷻ: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا﴾ [البقرة: ١٩٠].

رابعها: تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة في النصف من شعبان سنة ٢ هجرية، وكل هذه الأحداث في غاية الأهمية، حدثت كلها في شهر واحد، في شهر شعبان سنة ٢ هجرية، لماذا؟ لأنه في الشهر القادم، شهر رمضان ٢ هجرية سيحدث أمر مُهِمٌّ جِدًّا يحتاج إلى كثير إعداد، وإلى عظيم تربية، ستحدث غزوة بدر الكبرى في ١٧ من رمضان سنة ٢ هجرية.



إذن هذه الأمور الأربعة هي لإعداد الجيش المجاهد الذي يخوض المعركة الفاصلة. هذه الأمور الأربعة شرعت لبناء الأمة المجاهدة، الأمة التي يُرجى لها أن تنتصر على غيرها من الأمم، الأمة التي تقود غيرها لا تُقاد بغيرها، الأمة التي تسود غيرها، ولا يسودها غيرها، من هذه الأمور الإعدادية البنائية الأربعة.

فأي شيء يفعله صيام رمضان في إعداد الجيش المجاهد أو في إعداد الأمة المجاهدة؟ يمكننا حصر ما يفعله في ثلاثة أشياء هي: تنقية، وتميز، وتربية.

فتنقية الصف المسلم من كل شائبة تصيبه من أهم عوامل بناء الأمة، فلا بد من انتقاء المسلمين الصالحين للثبات والجهاد، لا بُدَّ من انتقاء المسلمين الصالحين لدخول بدر الكبرى، والصالحين أيضًا لدخول ما شابه بدر الكبرى.

أما التميز فشيء عظيم أن يشعر المسلمون به، وجميل أن يشعر المسلمون بالهويَّة الإسلامية، فالمسلمون في السنة الأولى من الهجرة، وفي المدينة المنورة كانوا يصومون يوم عاشوراء مع اليهود، وكان فرضًا على المسلمين كما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

«قدم النبي ﷺ فرأى اليهود تصوم عاشوراء، فقال: مَا هَذَا؟ قالوا: هذا يومٌ نجَّى الله بني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى. فقال رسول الله ﷺ: «فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ. فصامه وأمر بصيامه»[1].

فلما فُرض شهر رمضان قال: «مَنْ شَاءَ صَامَهُ -أي يوم عاشوراء- وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ»[2]. ولكن بعد فرض صيام رمضان تميزت الأمة الإسلامية عن غيرها؛ لأنها صامت شهرًا خاصًّا بها، فمن المؤكد أنها ستشعر بالعزة لهذا التميز.

وفي نفس الشهر أيضًا، شهر شعبان سنة ٢ هجرية، ستتحول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وهذا تميُّز جديد، قبلة واحدة لكل المسلمين، وليست لأحدٍ إلا للمسلمين.

إن هذا الشعور بالتميز والهوية الإسلامية أداة حتمية من أدوات النصر والتمكين، فالأمة التي تشعر بأنها تبع لغيرها أمةٌ لا تسود ولا تقوم.

وأخيرًا تأتي التربية، فالصف المسلم يحتاج لنوع خاصٍّ جدًّا من التربية، ورمضان يقوم بهذه المهمة؛ فلن يستطيع أحد أن يُجاهد أو يُضحي أو يثبت إلا إذا أخذ قسطًا من التربية. رمضان يربِّي فينا سبعة أخلاق؛ يربي فينا الاستجابة الكاملة لأوامر الله ﷻ بصرف النظر عن حكمة الأمر، كما يربي فينا التحكم في الشهوات التي تصرف في مكانها الصحيح الذي أراده الله ﷻ، التحكم في الأعصاب والقدرة على كظم الغيظ. ويربينا أيضًا على الإنفاق في سبيل الله، كما يربينا على شعور عظيم هو شعور الوحدة والأخوة والألفة بين كل المسلمين في كل بقاع الأرض، الشعور بآلام الغير ومشاكل الآخرين.

وأخيرًا إن رمضان يربي فينا أمرًا مهمًّا جدًّا، هذا الأمر هو لب الصيام، وهو الغاية الرئيسية منه، رمضان يربي فينا «التقوى».

هكذا يجب أن نعيش ونحيا مع رمضان؛ لنبني أنفسنا وأمتنا من جديد.

---

(١) البخاري: كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء (١٩٠٠).

(٢) البخاري: كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء (١٨٩٨)، ومسلم: كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء (١١٢٥).

(٣٠)

أنت والتلفزيون في رمضان[1]

شهر رمضان شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن، شهر العتق والغفران، شهر الصدقات والإحسان، شهر تُفتح فيه أبواب الجنان، وتضاعف فيه الحسنات، شهر تُجاب فيه الدعوات، وتُرفع فيه الدرجات، وتغفر السيئات؛ فعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ حَسَنَةٍ عَمِلَهَا ابْنُ آدَمَ إِلاَّ كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ ﷻ: إِلاَّ الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي. الصِّيَامُ جُنَّةٌ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ، وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»[2].

فسارعوا فيه إلى الطاعات؛ فهو شهر عظيم جعله الله ميدانًا لعباده يتسابقون إليه فيه بالطاعات، ويتنافسون في أنواع الخيرات، وليكن شعارنا في رمضان «لن يسبقنا إلى الله أحد».

ومن نِعم الله علينا فيه أن الله جعل قيامه إيمانًا واحتسابًا مغفرةً للذنوب والآثام؛ فعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٤/ ٩/ ٢٠٠٨م.

(٢) البخاري: كتاب الإيمان، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان (٣٧)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح (٧٥٩).

ولكننا -وللأسف الشديد- لا نعلم جيدًا قيمة الوقت في حياتنا، مع أن الوقت هو الحياة؛ لذلك قال ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»[1].

فالوقت ليس ملكيَّةً خاصَّةً تُوجب حُرِّيَّة التصرُّف فيها كيفما شاء صاحبُها، بل كل إنسان مسئول عن وقته في أي شيء قضاه؛ لقول رسول الله ﷺ: «لاَ تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ»، وذكر منها «عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ»[2].

فما أحوجنا إلى حسن استثمار الأوقات واغتنامها جيدًا في حياتنا عامة وفي رمضان خاصة؛ فقد قال ﷺ لرجلٍ وهو يعظه: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ»، وذَكَرَ منهما: «وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ»[3].

ونحن في رمضان قد أُصبنا بآفة قاتلة لأوقاتنا، ألا وهي آفة مشاهدة التليفزيون؛ إذ يصرف أغلب المسلمين أوقاته أمام مشاهدة المسلسلات والأفلام والبرامج التي لا تفيد، وحجتهم في ذلك قولهم: «أُسلِّي صيامي». ورمضان لم يشرعه الله للتسلية وضياع الوقت، ولكن الله ﷻ شرعه -كما قلنا في المقال السابق- لتربية المجتمع المسلم على قيم ومبادئ يحيا بها ولها.

وهذه القيم والمبادئ لكي تتأصل في النفوس، فإنها تحتاج إلى أعمال تُؤدَّى مثل قراءة القرآن وصلاة القيام وصلة الأرحام والتصدق على الفقراء، وغيرها. فما أحوجنا أن نتذكر حديث رسول الله ﷺ، الذي يرويه عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ

---

(١) البخاري: كتاب الرقاق، باب ما جاء في الصحة والفراغ... (٦٠٤٩)، والترمذي (٢٣٠٤)، وابن ماجه (٤١٧٠)، وأحمد (٣٢٠٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٤١٧)، وقال الألباني: صحيح. انظر حديث رقم (٧٢٩٩) في صحيح الجامع.

(٣) رواه الحاكم (٧٩٥٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٨٨٢)، وقال الألباني: صحيح. انظر حديث رقم (١٠٧٧) في صحيح الجامع.

بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ. وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ. قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ»[1].

فأداء مثل هذه الأعمال يحتاج إلى بذل وقت وجهد، وهذا لن يتأتّى لرجلٍ يضيع وقته أمام التليفزيون بالساعات.



ولا شك أن المسلم يجب أن يضع نُصب عينيه أن ثواب الأعمال تتضاعف في رمضان، ولقد أدرك السلف الصالح هذه الحقيقة؛ لذلك قال الزهري عن فضل تسبيح الله في رمضان: «تسبيحة في رمضان أفضل من ألف تسبيحة في غيره»[2].

فلا وقت لدى المسلم لضياعه في أعمال أقل فضلاً من أعمال رمضان، فما بالكم إن كان الوقت يضيع في مشاهدة بعض الأشياء المحرمة أصلاً، وحتى البرامج الإسلامية التي تذاع في هذا الشهر لا يجب علينا أن نكثر منها؛ لأننا نحتاج إلى كل دقيقة وثانية في هذا الشهر الفضيل لإعادة تربية أنفسنا وأسرتنا على مبادئ الإسلام وقيمه.

ولذلك أنصح كل مسلم يريد اغتنام شهر رمضان أن يرشد من مشاهدة التليفزيون حتى البرامج الإسلامية الملتزمة، فَلْتُجْرِ مسحًا شاملاً سريعًا للبرامج التليفزيونية، واخترْ أهم وأفضل برنامج أو برنامجين من وجهة نظرك، وضعْها ضمن خطتك في رمضان، وأعرضْ عن البرامج الأخرى رغم فائدتها الكبيرة؛ لأن الإنسان المسلم إنسان متوازن يدرك جيدًا واجب الوقت، ولا يُقدِّم أولوية ثانية أو ثالثة على الأولوية الأولى في حياته، وأولويتنا الآن هي اغتنام رمضان.

هكذا يجب أن نحيا في رمضان حياةً يملؤها الإيمان والتقوى، والحرص على الطاعات؛ لنعود بأمتنا من جديد إلى مجدها وعزها.

---

(١) رواه أحمد (٦٦٢٦)، وقال الألباني: صحيح. انظر حديث رقم (٣٨٨٢) في صحيح الجامع.

(٢) ابن أبي الدنيا: فضائل رمضان، ص٢٥.

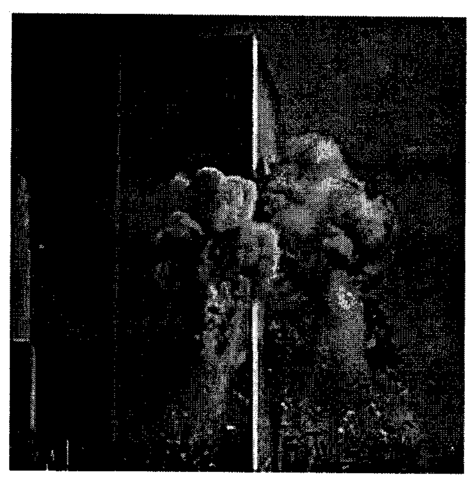
(٣١)

الشيخوخة الأمريكية!![1]

من طبيعة الأمم أنها تمر بكل المراحل التي يمر بها الإنسان في رحلة حياته؛ فهي تولد في البداية ضعيفة ثم تقوى تدريجيًّا، حتى تصل إلى مرحلة الشباب حيث القوة المفرطة التي قد تكون بلا حكمة أحيانًا، ثم تدخل في طور جديد من الخبرة والاستقرار، ثم إنها في النهاية تدخل في مرحلة الشيخوخة فالاحتضار.

رأينا هذه المراحل كلها في الدولة الفارسية والرومانية، ورأيناها في حضارة الفراعنة والبابليين، ورأيناها في دولة التتار، ورأيناها في إنجلترا وفرنسا، ورأيناها مؤخرًا في الاتحاد السوفيتي، ونراها اليوم في دولة أمريكا!

لقد وصلت أمريكا في غضون الستين سنة الماضية -منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية- إلى أقصى درجات مجدها، وحققت من النجاحات ما لم تكن تحلم بتحقيقه، خاصة بعد سقوط الاتحاد السوفيتي سنة ١٩٩١م، وأصبحت أساطيلها تجوب الدنيا بكاملها، ووصلت هيمنتها إلى معظم قصور الرئاسة في العالم، واستقرت أوضاعها إلى حد كبير، وباتت -كما هو واضح- قطبًا أوحد في العالم ليس له منافس.



وعلى الرغم من الصدمة المفاجئة التي حدثت لها في سبتمبر ٢٠٠١م -بصرف النظر عن فاعلها- إلا أنها تمالكت نفسها بسرعة، واستغلت الحدث استغلالاً سياسيًّا

---

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ١٦/٩/٢٠٠٨م.

احترافيًّا؛ فمدت سيطرتها على أجزاء كثيرة من الدنيا بدعوى حرب الإرهاب، ووضعت أقدامها في أفغانستان والعراق، بل وبدأت تبحث بخُطا حثيثة عن أماكن صراع أخرى في السودان وليبيريا وإيران وسوريا وكوريا الشمالية وكوبا وفنزويلا وغيرها.

كل هذا رأيناه جميعًا، ولم يكن التصاعد الأمريكي خافيًا على أحد، لكن هذا التصاعد لم يكن ليستمر أبدًا؛ لأن استمراره مخالف للسنن الثابتة في هذا الكون.. ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٨].

لا بد من الدخول في مرحلة الشيخوخة، وليس بالضرورة أن يحدث في الشيخوخة موت سريع، أو هبوط حاد، إنما المعتاد أن تتراجع القوة تدريجيًّا، ويفقد الشيخ طرفًا من إمكانياته وقدراته كل يوم.

لقد رأينا تراجعًا واضحًا في القوة الأمريكية، وخاصة من سنة ٢٠٠٤م وإلى الآن؛ ولذلك شواهد كثيرة..

لقد فشلت أمريكا في فرض سيطرة آمنة على دولة العراق المسلمة، وذلك مع مرور أضعاف المدة التي حددتها أمريكا لفرض السيطرة.

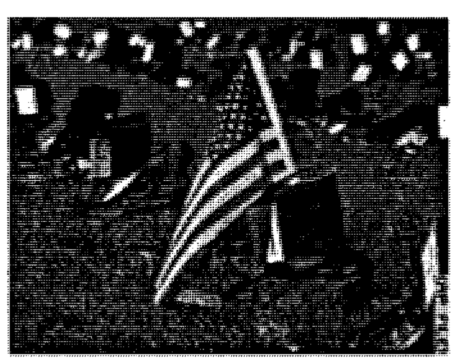
وفشلت أمريكا في القضاء على حركة طالبان وزعمائها مع أنها نجحت في تغيير نظام الحكم هناك، ووضعت حكومة عميلة، وغضت الطرف عن سقوط برويز مشرف في باكستان، ولم تستطع الوقوف بجوراه مع كونه واحدًا من أكبر حلفائها في جنوب آسيا.

وفشلت أمريكا في اتخاذ أي تصرّف حازم ضد كوريا الشمالية التي أعلنت بوضوح وصرامة أنها لن توقف تطوير سلاحها النووي، وكذلك حدث مع إيران التي تحثُّ الخُطا في مشروعها النووي أيضًا.

وفشلت أمريكا في قمع النمو الصيني المتزايد، بل اضطرت إلى عقد اتفاقات ومعاهدات ومهادنات، ورأينا التنين الصيني يغزو أسواق العالم، ورأينا اتفاقات صينية نفطية على أعلى مستوى، ورأينا غزوًا للفضاء، ورأينا تطويرًا للسلاح والطائرات والتقنية،

كل ذلك وليس هناك ردٌّ فعل مناسب من القوة الأمريكية.

وفشلت أمريكا أيضًا في ترويض الدب الروسي، الذي راودته الأحلام من جديد لاستعادة أمجاد الآباء، فانطلق في الشيشان وغيرها من جمهوريات الجنوب الروسي، والآن في جورجيا، ووضعت روسيا أنفها في معظم المباحثات العالمية، وأصبح لزامًا على أمريكا أن تغض الطرف حتى لا تستخدم روسيا الفيتو ضد قرارات أمريكا بخصوص فلسطين ولبنان وسوريا وإيران.



وفشلت أمريكا كذلك في قمع الانتفاضات المتتالية في أمريكا اللاتينية، ولم تعد المسألة هناك شعبية فقط، بل أصبحت حكومية أيضًا، وجاهر الجميع بالعداء المباشر للقوة الأمريكية، وبدأت نماذج لاتينية قوية في الظهور مثل البرازيل وفنزويلا، بل ولعلنا سمعنا مؤخرًا عن طرد السفراء الأمريكيين في بوليفيا والمكسيك، وكذلك هندوراس.

وسمعنا بالاستفتاءات المتتالية في اليابان من أجل إنشاء جيش ياباني، والخروج من الهيمنة العسكرية الأمريكية الموجودة منذ أكثر من ستين سنة.

ونسمع الآن عن أكبر أزمة مالية في تاريخ أمريكا.

كل هذه المشاهد وغيرها تشير إلى أن أمريكا دخلت بالفعل في مرحلة الشيخوخة، كالتي دخلت فيها إنجلترا بعد الحرب العالمية الثانية، وهي مرحلة قد تمتد لفترات طويلة، ولكن لا بد لها من نهاية، وسيصل الأمر إلى ما وصل إليه قبل ذلك مع القوى العالمية السابقة.. ﴿سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾ [الفتح: ٢٣].

والسؤال الذي ينبغي أن نطرحه على أنفسنا بقوة..

ماذا نحن فاعلون إزاء هذه التغيرات العالمية الكبرى؟ وهل سنكتفي بالمشاهدة

والمراقبة؟ وهل نكتفي بالتخمين: من سيكون خليفة لأمريكا؟ هل هو التنين الصيني؟ أم الدب الروسي؟ أم تراهم الهنود؟ أم سيكون التحالف الأوربي الجديد؟

إن التاريخ الإنساني بكامله يشهد أن الضعفاء ليس لهم مكان في خريطة العالم، وأن العالم لا يحترم حقًّا، ولا يقدِّر أحدًا إلا إذا كان محميًّا بقوة، وأنواع القوة كثيرة، لكن لا بُدَّ من قوة، وبغيرها سيتنازل المسلمون عن مكانتهم التي أرادها الله ﷻ لهم.

إن أمة الإسلام أمة باقية خالدة، والذي يحدث إذا تخلى جيل عن الأخذ بأسباب السيادة والتمكين أن الله ﷻ يستبدل هذا الجيل بكامله، ويأتي بقومٍ آخرين يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم.

فلنحذر جميعًا سنة الاستبدال، ولنبحث جميعًا عن قوتنا وأسبابها، ومن أراد تفصيلاتها فهي موجودة في كل صفحة من صفحات القرآن والسنة، والحديث عنها ضروري، والبحث عنها واجب.

وأسأل الله ﷻ أن يعز الإسلام والمسلمين!

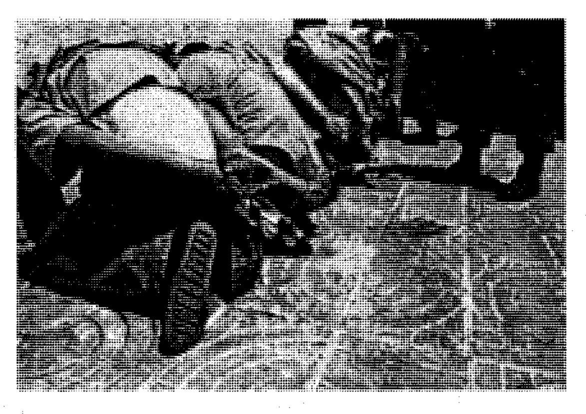
* * *



(٣٢)

هل هكذا تسقط الأمم؟! (١)

لا شكَّ أن شعور الكثيرين من أبناء العالم -وخاصة المسلمين- بالظلم نتيجة الممارسات الأمريكية الغاشمة هنا وهناك يجعل معظم الناس في انتظار شغوف للحظة التي تسقط فيها أمريكا! ولذا أظهرت نتيجة الاستبيان الذي وضعناه في الأسبوع الماضي على موقعنا بخصوص القيادة العالمية أن العدد الأكبر من المشاركين (٤٧ ٪) يَتَوَقَّعُون تغييرًا جذريًّا لقيادة العالم، بمعنى أنهم يَتَوَقَّعُون انهيارًا لأمريكا وصعود قوة جديدة أخرى لتقود الدنيا.



وأنا أقول لهؤلاء الأكثرية: ما هكذا تسير الأمور!

فليس معنى أنني أتمنى شيئًا أن أَتَوَقَّع حدوثه سريعًا! فالأماني والأحلام شيء، والواقع شيء آخر، والإسلام دينُ الواقعية، فمع إيماننا الكامل بقدرة الله على كل شيء، ومع اعتقادنا الجازم أنه إذا أراد الله شيئًا فإنه يقول له كن فيكون، ومع علمنا أن كل الأمم لا بُدَّ أن تدخل في طور الذبول والأفول، إلا أننا ندرك مع كل ذلك أن لله ﷻ سُنَنًا في الأرض لا تتبدَّل ولا تَتَغَيَّر؛ من هذه السنن سنة إهلاك الأمم الظالمة، فإنها -وإن كانت حتمية- إلاَّ أن لها طريقة ثابتة، ومنهجًا واضحًا، فالأمم الكبرى لا تسقط هكذا نتيجة أزمة معينة ولو كانت خطيرة، ولا تهلك لمجرَّد ظهور قوة أخرى إلى جوارها، إنما لا بُدَّ من

---

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ١٩/ ١٠/ ٢٠٠٨م.

النزول في السُّلَّم بشكل مُتَدَرِّجٍ وطبيعي، ثم بعد النزول المستمرِّ فترة من الزمن يأتي حدث ما قد يكون كبيرًا، فيؤدي إلى انزواء الأُمَّة تمامًا عن الساحة وذبولها.

وهذا الكلام يعني أن هلاك الأمم يكون بمجرد وقوعها في الظلم والخطأ.. إنما السُّنَّة الإلهية تقضي بأن الأُمَّة التي تَظْلِم لا تهلك إلاَّ بعد سنوات طويلة من ظلمها المستمرِّ، وهو ما أُسَمِّيه بسُنَّة «الإمهال».

إن رسولنا الأكرم ﷺ يقول: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»[1]، ثم قرأ قول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]. فهذا الحديث الصحيح يُوَضِّح لنا سُنَّة الإملاء أو «الإمهال».

ولهذا الإملاء حِكَمٌ كثيرة؛ لعلنا سَنُفَصِّلها في المقالات القادمة بإذن الله، ولكن الشاهد من الحديث أن الإهلاك لا يحدث مباشرة بعد الظلم، بل إن المشاهدات التاريخية تقول: إن الإهلاك قد يحدث بعد عشرات السنين -وأحيانًا مئات السنين- بعد تفاقم الظلم!

ويكفي للقارئ أن يسترجع في ذهنه قصة فرعون، عندما قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]. وعندما علا في الفساد حتى صار يقتل الأطفال الذكور الرُّضَّع، ويُبْقِي النساء على قيد الحياة ليستمهلهم في خدمته وقومه.

ماذا حدث لفرعون بعد هذا الفساد الكبير الذي أصبح مَضْرِبَ المثل لكل طواغيت الأرض؟!

إن الله ﷻ أمهل فرعون بضعة عقود بعد هذه الصور الفاحشة من الظلم! فقد وُلِدَ موسى عليه السلام في زمان الظلم هذا، ولم يحدث الإهلاك إلاَّ بعد أن نشأ موسى وترعرع، ووصل إلى سنِّ الشباب، وهاجر إلى مَدْيَنَ عشر سنوات، ثم عاد إلى مصر ونزلت عليه

---

(١) البخاري عن أبي موسى: كتاب التفسير، باب تفسير سورة هود (٤٤٠٩) ترقيم مصطفى البغا، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (٢٥٨٣) ترقيم فؤاد عبد الباقي.

الرسالة، ودخل في مناظرات مع فرعون استمرت عدة سنوات أخرى!

ثم حدث الإهلاك بعد كل هذه المدة الطويلة!

وليس هذا مثالاً نادرًا في التاريخ، بل إنه الأصل الذي ينبغي أن نؤمن بثباته.

ولعل مرجع اللبس عند الناس في الفهم، والخطأ في التحليل أنهم ينظرون إلى الأمور بسطحية، فيتابعون حدثًا دون البحث عن جذوره، ويَرَوْنَ نتيجة دون النظر في أسبابها.

وعلى سبيل المثال فإن بعض المسلمين يعتقدون أن دولة فارس أو الروم قد سقطت هكذا فجأة عند ظهور الإسلام، لكن حقيقة الأمر أن القصة ليست كذلك أبدًا!!

لقد بدأت الفتوح الإسلامية في بلاد فارس سنة (١٢هـ)، وسقطت دولة فارس بكاملها سنة (٢٦هـ)، فظنَّ الناس أن سقوط هذه الدولة العملاقة لم يأخذ إلاَّ أربعة عشر عامًا فقط! لكن التحليل العميق يُثْبِتُ غير هذا.

فقصة هلكة فارس أخذت عدة عشرات -وقد يكون عدة مئات- من السنين، فالمُراجِع لتاريخهم سيجد فترة طويلة جدًّا من الظلم والطغيان، واستعباد الشعوب، وسيجد إباحية وفسادًا وَصَلَ إلى حَدِّ المبالغة في القبح، فأَحَلُّوا -من شدَّة شهوانيتهم- زواج المحارم، وكان هذا مُسْتَهْجَنًا في كل بلاد العالم، حتى عند الوثنيين العرب وغيرهم، ومن يُراجع تاريخهم -كذلك- سيجد الطبقية والعنصرية وتقسيم الناس إلى طوائف بينها فجوات هائلة، ناهيك عن عبادة النار من دون الله، ثم ظهرت فيهم شخصية شديدة الانحراف، وكانوا يعتبرونها من الفلاسفة الحكماء، وهذا المنحرف هو (مزدك)، الذي وُلِدَ في سنة (٤٨٧م)، أي قبل تَحَرُّك الجيوش الإسلامية لفتح فارس بـ(١٥٠) سنة! وهذا الرجل بذر بذور الهلكة التامَّة لدولة فارس، حيث دعا فيها إلى مبدأ الشيوعية! فقال: إن الناس شركاء في كل شيء، ومن ثَمَّ فَهُمْ شركاء -أيضًا- في المال والنساء. وبذلك لم يَعُدْ هناك أيَّة حرمة للملكية، ولا أيَّة حرمة للنساء، وصار ذلك جزءًا من دينهم، وأصبح القويُّ يدخل على الضعيف يأخذ منه ماله، فلا ينبغي له أن يعترض؛ لأن المال صار أمرًا شائعًا، ويغلبه على نسائه فلا يتكلَّمُ؛ لأن النساء كذلك صارت أمرًا شائعًا، حتى أصبح

الوَلَدُ -على الأغلب- لا يَعْرِفُ أباه!

والشاهد أن هذه الأحداث المؤسفة كانت قبل الفتح الإسلامي بـ(١٥٠) سنة!



وما قلناه على فارس ينطبق على الروم، فظُلْمُ الرومان -على سبيل المثال- في احتلالهم لمصر استمر أكثر من تسعمائة سنة كاملة حتى حَرَّر الإسلام المصريين.

ونفس الكلام ينطبق حديثًا على الاتحاد السوفيتي السابق، فهو لم يسقط فجأة في سنة (١٩٩١م) عندما قرَّر جورباتشوف حَلَّه، ولكني أرى أنه كان يحمل بذور هلكته منذ أن قام في (١٩١٧م)؛ لأن المبادئ الشيوعية التي جاء بها -مثل مبادئ مزدك الفارسي- كانت مضادَّة للفطرة، ولكنه مع ذلك استمرَّ في الوجود (٧٣) سنة؛ وذلك لفرط قُوَّتِهِ، ولاعتبارات أخرى كثيرة، فهو لم يسقط فجأة، إنما تَوَقَّعُ المحللون الفاهمون سقوطه قبل هذا السقوط بسنوات طويلة.

وأمريكا مثل غيرها من الأمم لا تخرج عن هذه السُّنَّة، وهي الآن في قُوَّة مفرطة، وليس من المُتَوَقَّع -في رؤيتي- أن تسقط حالاً لحدوث أزمة أو أزمات، فأمريكا الآن تُعْتَبَرُ قاطرة لاقتصاد العالم بأكمله، وسقوط أمريكا المفاجئ يعني تَوَقُّفًا لحركة العالم كله اقتصاديًّا وسياسيًّا، ولعلَّ القارئ يُفْجَعُ عندما يعلم أن شركات العالم تُسَوِّقُ أكثر من (٧٠٪) من إنتاجها في السوق الأمريكية! ومعنى هذا أن سقوط أمريكا يعني إفلاس شركات العالم الكبرى في كل مكان، ولعلَّ القارئ يُفجع -أيضًا- إذا عَلِمَ أن أمريكا وحدها تنتج أكثر من (٣٠٪) من إنتاج العالم، وأن هذا الإنتاج في معظمه يبلغ القمة في المستوى التقني والتكنولوجي، وحتى يكون كلامنا بالأرقام فلنرجع إلى الفجوة بين

الناتج القومي الإجمالي لأمريكا -والذي يضعها في الصدارة العالمية- والناتج القومي للدول التي تأتي في المرتبة التالية لها اقتصاديًّا..

إجمالي الناتج القومي الأمريكي للسنة المالية (٢٠٠٧/ ٢٠٠٨م) يزيد على ١٢,٤ تريليون[1] دولار، وتأتي اليابان في المرتبة الثانية بفارق هائل؛ حيث يبلغ إجمالي إنتاجها ٤,٥ تريليون دولار، ثم ألمانيا في المرتبة الثالثة بـ٢,٨ تريليون دولار، والرابعة الصين بـ٢,٢ تريليون دولار، ثم الخامسة إنجلترا بـ٢,٢ تريليون دولار كالصين تقريبًا، ثم فرنسا في المرتبة السادسة بـ٢,١ تريليون دولار.

إنني لا أقول هذا الكلام للتعبير عن انبهاري غير المُقَنَّنِ بالقُوَّة الأمريكية، ولا أقول هذا الكلام لأَبُثَّ الإحباط في نفوس المسلمين، ولكني أقوله لأَرُدَّ المسلمين من ميادين الأحلام والمثاليات إلى ساحات الجِدِّ والواقعية.

إن سقوط فارس أو الروم صَاحَبَه ظهور قوة إيمانية هائلة في الدولة الإسلامية الناشئة، فَتَسَلَّمَ المسلمون الراية بشكل طبيعي، وليس مفاجئًا أن الله ﷻ -الذي يمتلك المقادير كلها، ويُصَرِّفُ الكون بحكمته- رأى أن الدولتين الفارسية والرومانية قد أُمْهِلَتَا بما فيه الكفاية، وأن هذه الطائفة المسلمة الجديرة بالنصر قد صلح قلبها وعملها، فنقل الراية من الظالمين إلى المصلحين بـ(كُنْ فيكون)، وكل ذلك عن طريق سُنن ثابتة ومناهج واضحة، دون مفاجآت غير متوقَّعة، وهل هلاك الدولة الظالمة -مهما كانت عملاقة- يُعَدُّ مفاجأة؟! وهل نصر الله للقِلَّة المؤمنة يُعَدُّ مفاجأة لنا؟!

---

(١) التريليون: مليون مليون، أي: واحد وأمامه ١٢ صفرًا.

وإنني بعد هذا التحليل أرى أن المسلمين يجب أن يَقِفُوا مع الأحداث المعاصرة، ويعرضوا على أنفسهم أسئلة كثيرة مهمَّة؛ منها:

- هل نتمنى من قلوبنا هلكة أمريكا؟ أم عندنا رغبات أخرى؟

- هل نتوقع أن نتسلم راية قيادة العالم بظروفنا الحالية؟

- هل الغرور الأمريكي في المجال العسكري والسياسي فقط؟ وهل هذا الغرور كافٍ للسقوط؟

- هل يمتلك الاتحاد الأوربي مقومات الاستمرارية؟

- هل تعتقد أن الصين أفضل لقيادة العالم من أمريكا؟

- هل الأزمة المالية العالمية الآن سَتُوقِعُ الدول الكبرى في شَرِّ أعمالها، وتترك الدول النامية دون تدمير؟

- هل في الإسلام مَخْرَجٌ لهذه الأزمة المالية العالمية؟

لعلَّ الإجابة عن هذه الأسئلة وأشباهها يفتح للقارئ المسلم آفاقًا أخرى أرحب من التفكير والتحليل، فيرى الأحداث على حقيقتها، ويُدْرِكُ بواطن الأمور، ويَتَعَلَّمُ كيف يقرأ ما بين السطور، ولعلَّ الإجابة عن هذه الأسئلة -بإذن الله- ستكون موضوع مقالاتنا القادمة. ونسأل الله أن يُعِزَّ الإسلام والمسلمين!

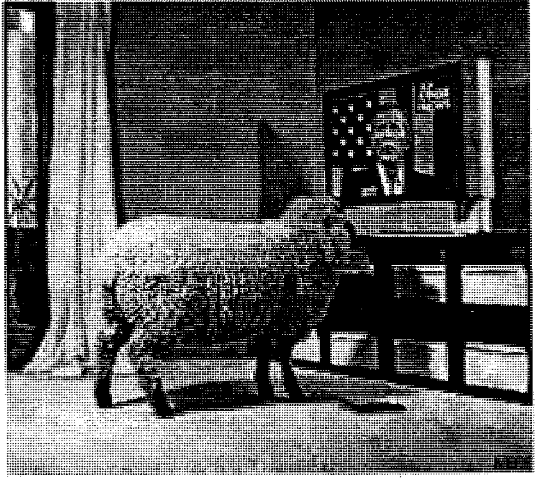
* * *



(٣٣)

الفصام الأليم!! [1]

يعاني الكثير من أفراد المجتمع المسلم من مرض أحسبه خطيرًا، وهو مرض الفصام بين السياسة والدعوة.



إننا في خضم التحليلات السياسية الكثيرة، ومن جرَّاء الآلات الإعلامية الضخمة التي عرضت لنا وجهات نظر الساسة في المشرق والمغرب، ونتيجة لغياب التربية الإسلامية الصحيحة في المجتمعات المسلمة بصفة عامة، وفي المحافل المهتمة بالسياسة بصفة خاصة..

نتيجة هذه العوامل وغيرها حدث فصام أليم بين السياسة والدعوة، وتلوَّث بهذا الفصام كثير من المسلمين الملتزمين، حتى غابت عنهم الرؤية، وتاهت المفاهيم.

والسؤال الذي يجب أن ندرك الإجابة عنه بوضوح:

ما دورنا في الدنيا كمسلمين؟!

والإجابة التي أراها تكون من شقَّيْنِ رئيسيين؛ أمَّا الشقُّ الأول فهو أن نعبد الله ﷻ بالطريقة التي يريدها هو ﷻ، وأمَّا الشقُّ الثاني فهو أن نُعرِّف العالم أجمع كيف يعبدون ربهم ﷻ.

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٢٦/ ١٠/ ٢٠٠٨م.

فنحن لم نُخْلَق لأنفسنا فقط، إنما مَنَّ الله علينا بنعمة الإسلام لِنَصِلَ بها إلى بقيَّة خلقه ممن لا يعرفون هذه النعمة، وهذا ما نفهمه من قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾[آل عمران: ١١٠]. فنحن أُمَّة أخرجها الله ﷻ لجميع البشر لتُعَرِّفَهم بالمعروف وتأمرهم به، وتُبَيِّنَ لهم المنكر وتنهاهم عنه.

هذا من أهم أهداف الأُمَّة الإسلامية..

وعلى ذلك فليس واجب المسلمين في الأرض تدمير الشعوب التي لا تؤمن بالله ﷻ، ولا إهلاكهم، إنما نحلم -كمسلمين فاهمين لدينهم ووظيفتهم- أن يهديهم الله ﷻ للإيمان والإسلام، وأن يُنْقَذُوا من النار إلى الجنة.

وراجِعُوا سيرة رسول الله ﷺ، وعندما أدعوكم إلى مراجعة سيرته ﷺ فإنني لا أطلب العودة إلى سيرة حكيم أو فيلسوف نأخذ منه ونترك، إنما أدعوكم إلى سيرة الرسول ﷺ الذي جعله الله ﷻ أسوة لنا في كل أعمالنا، وليس المقصود بالأسوة فقط مجال العقيدة والعبادة، ولكن مقصود ذلك مجال السياسة والاقتصاد والقضاء والمعاملات وكل شيء، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]. إننا رأيناه في كل حياته يدعو للكافرين الذين يعبدون الأصنام من دون الله بالهداية والتوفيق إلى الإيمان، ولم يكن يدعو عليهم في غالب أمره بالهلكة والتدمير.

بل إننا رأينا هذه الدعوات بالهداية في مواقف يصعب فهمها إلاَّ في ضوء فقه دور الأُمَّة الإسلامية؛ فقد رأينا أنه بعد انتهاء غزوة أُحُد، وبعد قتل سبعين من خيرة الصحابة، وبعد التمثيل بجثثهم، طلب الصحابة من رسول الله ﷺ أن يدعو على قريش، فرفع يده إلى السماء وقال: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ**»[١]!!

هذا موقف يفسر لنا طريقة تفكيره ﷺ كداعية، مع العلم أنه كان أبرع السياسيين،

---

(١) البخاري عن عبد الله بن مسعود: كتاب الأنبياء، باب «أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ» (٣٢٩٠) ترقيم مصطفى البغا، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد (١٧٩٢) ترقيم فؤاد عبد الباقي.

وأفقه الحربيين، ولم يكن يقول هذا الكلام مطلقًا من باب الضعف -حاشاه- إنما كان يفهم دوره ناحية أولئك المساكين، الذين لا يعرفون رب العالمين.

وعندما كَذَّبت قبيلة دوس اليمنية وظاهرت على أمر الله، وطلب أحد رجالاتها المشهورين وهو الطفيل بن عمرو الدوسي ﷺمن رسول الله ﷺ أن يدعو عليهم ليُهْلِكَهُم الله ﷻ، رفع ﷺ يده إلى السماء، وقال: «اللهُمَّ اهْدِ دَوْسًا، وَأْتِ بِهِمْ»[1]. وتكرَّر نفس الموقف عندما حاصر رسول الله ﷺ مدينة الطائف في العام التاسع من الهجرة، وبها قبيلة ثقيف التي طردته قبل ذلك من ديارها، وأَغْرَتْ به سفهاءها وغلمانها فقذفوه بالحجارة، وطلب الصحابة من رسول الله ﷺ أن يدعو على ثقيف، رفع رسول الله ﷺ يده إلى السماء وقال: «اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا»[2].

إنه منهج ثابت إذن، وأنا أعلم أن بعض المتربِّصِينَ سيقولون: ولكن رسول الله ﷺ دعا على زعماء الكفر في مكة، وخصَّ منهم سبعة فقال: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ ابْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ»[3]... إلى آخر الدعاء. ودعا كذلك شهرًا كاملاً على قبائل رعل وذكوان ولحيان عندما قتلوا سبعين من الصحابة.

---

(١) البخاري عن أبي هريرة: كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم (٢٧٧٩)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل غفار وأسلم... (٢٥٢٤).

(٢) الترمذي عن جابر: كتاب المناقب، باب مناقب في ثقيف وبني حنيفة (٣٩٤٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. وأحمد (١٤٧١٥).

(٣) البخاري عن عبد الله بن مسعود: كتاب الوضوء، باب إذا ألقي على ظهر المصلي قذر... (٢٣٧)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين (١٧٩٤).

وإنما أقول لهؤلاء المتحمسين: رويدًا رويدًا، وتعالَوْا نفهم ديننا.

إنَّ رسول الله ﷺ في جانب طويل من حياته كان يدعو لهؤلاء الزعماء من أهل الكفر بالهداية والإسلام، وكلنا يحفظ دعاءه لأبي جهل عندما قال: «اللهمّ أعزّ الإسلام بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ»[1]. وكان هذا منهجه الثابت، إلى أن أوحى الله ﷻ له بأن هذا الرجل لن يسلم، وأن المجموعة الأخرى التي دعا عليهم كذلك لن يسلموا؛ ومن ثَمَّ طلب رسول الله ﷺ من ربه أن يهلكهم؛ لئلاً يفتنوا المؤمنين عن دينهم. ودليل ذلك أنه لم يَدْعُ في حياته قطُّ على رجل أسلم في نهاية عمره مهما كان قاسيًا على المسلمين؛ فهو لم يَدْعُ على أبي سفيان، أو خالد بن الوليد، أو عمرو بن العاص، أو طلحة بن عثمان، أو صفوان بن أمية، أو عكرمة بن أبي جهل، مع أنه في ميدان القتال لم يكن يمانع من قتل هؤلاء المحاربين، لكنه في نفس الوقت يتمنى إسلامهم لا موتهم على الكفر، وراجِعُوا موقفه مع هؤلاء -وقد كانوا يقودون الحرب ضده- لتفهموا طبيعة السياسي المسلم، وكيف لا يفصل في حياته أبدًا بين السياسة والدعوة.

وفي موقف قُنُوتِهِ شهرًا كاملاً يدعو على القبائل التي غدرت بسبعين من القُرَّاء الحفظة المسلمين السبعين، فإنني لن أتكلم فقط عن جريمة هؤلاء الخائنين، والتي تستحقُّ الهلكة والإبعاد، بل سأذكر ما قد يَعْجَبُ له الكثيرون، وهو أن الله ﷻ هو الذي طلب منه ﷺ أن يَكُفَّ عن الدعاء على هؤلاء المجرمين، بل أنزل قرآنًا يُفْهَمُ منه أننا يجب أن نتمنى لهم الهداية إلى الإسلام ومغفرة الذنوب!

فقد أنزل الله تعالى قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

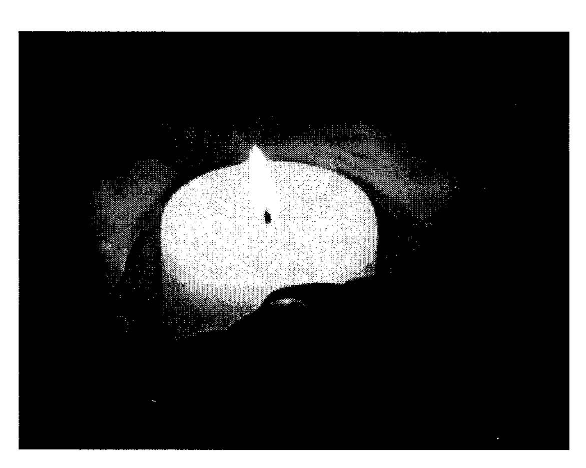
فمع كونهم من الظالمين إلاَّ أنهم لو تابوا لتاب الله عليهم!

---

(١) الترمذي عن عبد الله بن عمر: كتاب المناقب، باب في مناقب عمر بن الخطاب (٣٦٨١) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر. وأحمد (٥٦٩٦)، وابن حبان (٦٨٨١)، والحاكم (٤٤٨٥).

إن هذا المنهج الراقي سيُغَيِّر كثيرًا من سلوكياتنا، ومن تعاملنا مع الأمور والأحداث، إننا لن نصطفَّ بعد هذا الفهم في صفوف الصلاة ندعو على الأمريكان أن يُيَتِّم الله ﷻ أولادهم، وأن يُرَمِّل نساءهم، وأن يستأصل خضراءهم، وأن يُدَمِّر بنيانهم!

إنما سنرفع أيدينا إلى السماء ونقول بصدق: «اللهم اهدِ الأمريكان، والصينيين، واليابانيين، والأوربيين، وكل العالمين وأْتِ بهم».



بل إننا لن نكتفي بالدعاء دون حركة وعمل، إننا سنحمل رسالتنا إليهم بيضاء نقية، نُعَرِّفهم بالخير العميم الذي جهلوه السنوات الطوال، وسنشرح لهم المنهج الذي يسعدهم في الدنيا والآخرة، وسنفرح بإنقاذهم بنا من النار كما فرح رسول الله ﷺ بإنقاذ غلام يهودي بسيط من النار عندما دعاه إلى الإسلام فأسلم.

إننا يجب أن نقف وقفة مع أنفسنا ونفكر:

مَن لهؤلاء الأطفال الذين وُلِدُوا في أمريكا أو اليابان فتعلَّموا أن ربهم هو المسيح أو بوذا، وشاهدوا الإباحية والمجون في بيوتهم ومدارسهم فنَشَأوا على ذلك، وطُمست فطرتهم السليمة التي وُلِدُوا بها؟

مَن للشعوب التي تعيش في قهر دائم يُبْعِدهم عن فقه الإسلام الصحيح؟

وإن كنا نتحدث قديمًا عن قهر السلاح والسياط، فنحن نتحدث اليوم عن قهر الإعلام بشتى وسائله، فالشعوب الآن -للأسف- أسيرة لما تسمع وترى في وسائل إعلامها، والشعب الأمريكي -على سبيل المثال- من أكثر شعوب العالم جهلاً بما حوله.

وليس عجيبًا أبدًا أن تجد الصفحات الأولى من الجرائد اليومية تتحدث عن ماسورة

مكسورة، أو جريمة قتل، أو افتتاح مدرسة، بينما تختفي أخبار السياسة في الصفحات الأخيرة. ولقد سألتني موظفة كبيرة في أحد البنوك هناك (في أمريكا) عندما علمت أنني من مصر «Egypt» فقالت: وهل «Egypt» هي عاصمة دولة إفريقيا؟! فآخر معلوماتها هي حدود المدينة التي تعيش فيها وليس حدود أمريكا، فما بالكم بالعالم الإسلامي والإسلام والرسول ﷺ وقواعد الشريعة الغرّاء؟!

إنها لا تعرف عن هذه الأمور إلا ما تبثه إذاعة الـCNN، أو CBS، أو US Today، أو ما تقرؤه في صحيفة Washington Post.

إنني أريد من كل قارئ أن يسأل نفسه: ما الفارق بين الشام أو مصر -مثلاً قبل الإسلام- وبين أمريكا أو إنجلترا أو فرنسا الآن؟!

ألم تكن الشام دولة نصرانية تحت حكم الرومان وكذلك مصر، فما الذي جعلهم مسلمين وتغيرت مناهج حياتهم كلها، وفقهوا غاية الخلق، وأدركوا حقيقة الدنيا والآخرة، وعرفوا كيف يعبدون ربهم؟!

إن الذي حَوَّلَهم إلى هذا الوضع الجديد هو الدعوة الإسلامية التي حملها رجال مخلصون، ولو دعا علينا الرسول ﷺ والصحابة بالهلكة؛ لأننا شعوب محكومة بالجيش الروماني الظالم لما وصل الإسلام إلينا، ولكانت خسارتنا فادحة.

ولا أريد أن يفهم أحد من كلامي هذا أننا سنرضى بالظلم والضيم واحتلال أرضنا دون أن نحرك ساكنًا أملاً في إسلامهم! فقد كانت دعوة رسول الله ﷺ مستمرة لهم بالهداية، وذلك دون توقف الغزوات المتتالية التي تدافع عن حقوق المسلمين ودينهم وحرماتهم، وإن الرسول ﷺ الذي كان يدعو بعد أُحُد أن يغفر الله لقومه؛ لأنهم لا يعلمون، هو نفسه الرسول ﷺ الذي جهز جيشه بعد أقل من أربع وعشرين ساعة ليهاجم الكفار من جديد في موقعة حمراء الأسد.

وهذا هو التوازن الذي نريده، وشمول النظرة الذي نغذيه.

وهذا هو السياسي الناجح الذي لا تغيب عن ذهنه أبدًا قضايا الدعوة والإسلام.

إنني أحلم باليوم الذي أرى فيه الشعب الأمريكي وغيره من شعوب العالم يصلِّي ويصوم ويزكي ويحجُّ.

أحلم بأن أراه يقرأ القرآن ويدرس السُّنَّة.

أحلم بأن أراه مجاهدًا في سبيل الله، رافعًا لواء الإسلام، مدافعًا عنه في كل مكان.

وإن كنتم تستكثرون هذا الحلم وتستغربونه فراجعوا تاريخ دول العالم الإسلامي قبل أن يدخلها الإسلام، واقرءوا عن قصة الشام ومصر وشمال إفريقيا، واقرءوا أيضًا قصة باكستان وأفغانستان، وكذا إندونيسيا وماليزيا.

وأنا أعلم أن هذا الحلم يتطلب جهدًا خارقًا، وعملاً طويلاً شاقًّا، وصبرًا لا يأس فيه، ولكن أول الطريق أن نفهم مهمتنا، وأن ندرك هدفنا في هذه الحياة الدنيا، وأن نعلم مدى الأزمة التي يعيشها أقوام ما عرفوا الله ﷻ ولا رسوله الأكرم ﷺ.

ونسأل الله ﷻ أن يُعِزَّ الإسلام والمسلمين!

***

(٣٤)

الصين أم أمريكا؟! [1]

نتيجة الطغيان الأمريكي البارز، وانفراد الأمريكان بقيادة العالم في العقدين الأخيرين من عمر البشرية، ونتيجة الاحتلال الأمريكي الغاشم للعراق وأفغانستان، ونتيجة التأييد الأمريكي السافر لليهود في فلسطين، فإن كثيرًا من المسلمين صاروا يسعدون كثيرًا بالنمو الصيني المتزايد على أمل أن يقف الصينيون في وجه القوة الأمريكية المتنامية؛ وبالتالي يتحقق شيء من التوازن في العالم نتيجة وجود قطبين أو أكثر بدلاً من قطب واحد.



وبالتالي رأينا الكثير من المسلمين يعلقون الآمال على الدولة الصينية العملاقة، ويتحدثون بعاطفة أقرب إلى الفخر عن إنجازاتها وكأنها أحد بقية الأقطار الإسلامية الشقيقة!

وهؤلاء يغفلون عن حقائق كثيرة لعلَّهم لو عرفوها لتوجسوا خيفة من نمو الصين بدلاً من أن يفرحوا به..

فهم يغفلون أولاً عن سنن الله في نصر المؤمنين، وأن الله لا ينصر المسلمين بتوازن القوى العالمية، إنما ينصرهم بارتباطهم بربهم ﷻ واعتمادهم عليه، واتّباعهم لشرعه،

---

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٢/ ١١/ ٢٠٠٨م.

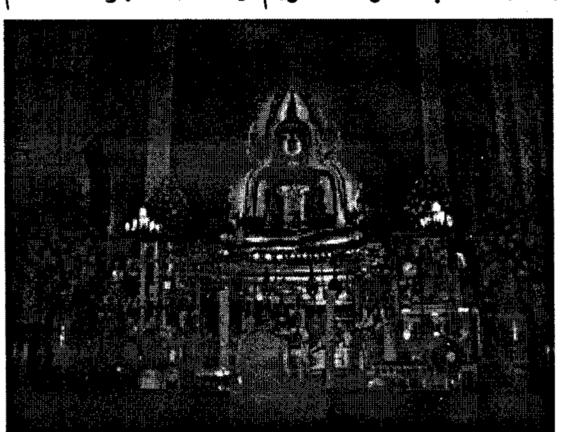
ووحدتهم على أساس العقيدة، لا ينصرهم في ذلك توازن القوى العالمية أو عدم توازنه. نعم قد يستغل المسلمون التغيرات الموجودة في الدنيا ليحققوا مصلحة ما لهم ولأمتهم، لكنهم لا يعتبرون هذه التغيرات الدنيوية وسيلة حتمية لتحقيق النصر، ومن ثَمَّ يضيع الفارق بين الوسيلة والغاية؛ فالغاية أن نصبح أقوياء بالله ﷻ وبارتباطنا به، وعندها سننتصر مهما كانت الظروف العالمية، وفي ظل قوة أمريكا أو الصين أو غيرهما.

والخطورة الحقيقية في هذا المنهج أنه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة يعلِّق المسلمين بالأسباب، وينسيهم ربَّ الأسباب. ولقد استمعتُ بنفسي إلى محاضر مسلم متخصص في السياسة يقول: إن على المسلمين أن يحاولوا دائمًا أن يتوقعوا الأقطاب العالمية القوية قبل قوتها حتى يقيموا معها علاقات قوية، فإذا قامت كنا أصدقاءها المقربين، وبالتالي دخلنا في المعسكر المتغلب!!

إن هذا المنهج الانهزامي الذي يفترض أن فرصة المسلمين للنجاة لا تكون إلا بالاعتماد على دولة أجنبية، منهجٌ محبط وغير فاهم لطبيعة النصر في حياة هذه الأمة.

فهذه هي الحقيقة الأولى التي يغفلونها.

وثانيًا: هم يغفلون ديانة هذه الدولة الصينية كعادة السياسيين، فإنهم يضعون الدين جانبًا عند التحليل، أما نحن المسلمين فإننا نعتبر القرآن الكريم والسنة المطهرة هما أهم الوسائل المساعدة لنا على فَهْم الماضي الذي رأيناه، والواقع الذي نعيشه، والمستقبل الذي نقبل عليه.



فهؤلاء الصينيون إما ملاحدة شيوعيون لا يؤمنون بإله أصلاً، أو وثنيون يعبدون بوذا وكونفشيوس من دون الله. ومع أن الأمريكان يشركون المسيح عليه السلام مع الله ﷻ إلا أنهم في النهاية أهل كتاب، وهذه معلومة أخبرنا

القرآن الكريم أن لها علاقة مهمة بتحليلاتنا..

فالله ﷻ يقول في كتابه: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾ [المائدة: ٨٢].

فأشد الناس عداوة للذين آمنوا بنص القرآن، هم اليهود والمشركون الوثنيون عبّاد الحجر والبقر، ومن باب أولى الملحدون الذين ينكرون أن للكون خالقًا. نَعَمْ قد نجد مشركًا رحيمًا محبًّا للمؤمنين كأبي طالب والمطعم بن عديّ، وقد نجد النصارى قساة في حروبهم غلاظًا في عداوتهم، لكن يبقى الأصل هو ما ذكره ربنا تصريحًا في كتابه.

وإن الشواهد على ذلك كثيرة من التاريخ والواقع، ولنسأل أنفسنا كم من الصينيين أو اليهود أسلم في السنوات السابقة؟! وكم من الأمريكان أسلم في نفس السنوات؟! لا شك أن لعوامل اللغة والتاريخ تأثيرًا، لكن تبقى قلوب النصارى بصفة عامة أقرب إلى الإسلام من قلوب المشركين، وتبقى قلوب النصارى أرحم من قلوب الملحدين.

وثالثًا: فإن هؤلاء الذين يعلِّقون آمالهم على الصين يغفلون تاريخهم في الأراضي! والصينيون من أكثر شعوب الأرض دموية. ومن هذه البلاد ومن منغوليا أتت جحافل التتار التي أذاقت شعوب العالم العذاب ألوانًا، وقاسى المسلمون منها بشدة، وذُبح الملايين على أيديهم، وكان الموفق عبد اللطيف[1] يصف سيرتهم قائلاً: «إنهم لا يقصدون المُلك والمال بل إبادة العالم ليرجع يبابًا[2]»[3].

وكانت هذه طبيعتهم في كل معاركهم، حتى بعد زمن التتار، ولقد عانى منهم المسلمون أشد المعاناة في تركستان الشرقية المحتلة! فهذا الإقليم المسلم محتل من الصين

---

(١) هو موفَّق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي (٥٥٧- ٦٢٩هـ/ ١١٦٢- ١٢٣١م)، المعروف بابن اللَّبَّاد: من فلاسفة الإسلام، وأحد العلماء المكثرين من التصنيف في الحكمة وعلم النفس والطب والتاريخ والبلدان والأدب. انظر: الزركلي: الأعلام ٤/ ٦١.

(٢) يبابًا: خرابًا.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام ٤٣/ ٢٦، ٢٧.

منذ أكثر من ثلاثمائة عام، وتمارس فيه الصين كل محاولات طمس الهوية وإبعاد المسلمين عن دينهم. نعم قد يفتتحون مسجدًا أو يكرمون حافظًا للقرآن، أو يحتفلون برحلة حج! لكن كل هذه مظاهر غرضها إخفاء الدموية الصينية في الإقليم المسلم. ولقد قامت الصين بقتل مائة ألف مسلم في هذا الإقليم في السنوات الأربع بين ١٩٤٩ و١٩٥٣م!



ورابعًا: فإن معلقي الآمال على الصين يغفلون طبيعة الحكم الصيني، الذي ما تغير عبر القرون الطويلة، ولم يختلف كثيرًا في شيوعيته الحديثة عن إمبراطورية الصين القديمة؛ فالحكم في الصين دومًا هو الحكم الدكتاتوري الأوحد، ولا يقبل فيها مطلقًا بالرأي الآخر. ولقد اعترف ماوتسي تونج زعيمهم الأكبر أنه قتَل في سنة ١٩٥١م -تحت مسمى القضاء على الثورة المضادة- أكثرَ من ٨٠٠,٠٠٠ شخص من المناوئين لسياسته! كما كان يفتخر بأنه دفن أكثر من ٤٦,٠٠٠ عالمٍ وهم أحياء!!

ولكُمْ أن تتخيلوا كيف يكون الحال إذا أطلقت مثل هذه الدولة على العالم! فهذا حالهم مع أهلهم، فكيف سيكون مع من حولهم من الشعوب؟!

وخامسًا: فإن الذين يعلقون آمالهم على هؤلاء الوثنيين يغفلون دراسة السيرة النبوية، أو لا يربطونها بواقعهم..

أليس في علاقة أمريكا بالصين شبه مع علاقة أخرى دوّنتها لنا كتب السيرة؟!

أليس لها وجه شبه مباشر مع الحرب بين الروم والفرس؟!

لماذا حزن المسلمون لهزيمة الروم، وانتظروا الأيام كي تنتصر؟!

ألم يكن الروم في ذلك الوقت يعبدون المسيح من دون الله، ويمارسون الظلم على كل الشعوب التي يحتلونها؟!

كان هذا يحدث، ولكنهم في النهاية أهل كتاب، وإيمانهم أقرب، وقلوبهم أرق من أولئك الذين يعبدون النار.

وليس معنى هذا أن الأمور تميعت، وأصبح الروم كالمسلمين؛ فقد تعقدت الأمور بين الدولة الإسلامية الناشئة وبين دولة الروم العملاقة، وصار الأمر إلى صدام مباشر بين المسلمين والروم.

ومن هنا فإنه لا يفهم من كلامي هذا أنني أعلق الآمال على الأمريكان، وأتوسم فيهم نجدة المسلمين، بل أقول: إننا لن نرفع رأسنا ونعز أنفسنا إلا بالإسلام، وإلا بالتوجُّه الكامل لله ﷻ لا لأمريكا ولا للصين ولا لغيرهما، ولكن يبقى نصر الأمريكان على الصينيين أحب إلى قلوبنا؛ نتيجة ما ذكرناه من عوامل.

إن الإحباط الذي أصاب المسلمين نتيجة التجبُّر الأمريكي دفعهم إلى الرغبة في الخلاص من مشاكلهم ولو بتعليق الآمال على الشيوعيين، ونسي المسلمون إجرام الشيوعيين السوفيت واليوغسلاف والصينيين وغيرهم، وكان المسلمون كالمستجير من الرّمضاء بالنّار، وتفرقت بهم السبل، وتاهوا في طرقات السياسة النفعية. ولو أفاقوا لأدركوا أن السبيل للعزة والتمكين والنجاة واحد لا ثاني له، وقد ذكره ربُّنا في كتابه حين قال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وأسأل الله ﷻ أن يعز الإسلام والمسلمين!

* * *

(٣٥)

الآمال الواقعية[1]

استقبل كثير من المسلمين خبر فوز أوباما برئاسة أمريكا بارتياح شديد، بل قُلْ: بسعادة كبيرة، على أمل أن يكون أخف وطأة على المسلمين من سلفه جورج بوش، ومنافسه ماكين، وخاصةً أنه يسير في اتجاه سحب الجيوش الأمريكية من العراق وأفغانستان، وهذا -لا شك- يهدِّئ الأوضاع نسبيًّا في هاتين البلدتين المنكوبتين.



فهل حقًّا ينبغي لنا أن نسعد بفوزه؟!

واقع الأمر أن القرآن يعلمنا أن غير المسلمين ليسوا جميعًا على درجة واحدة من الإعراض والصد عن سبيل الله، وليسوا على درجة واحدة من العداء والكراهية للمؤمنين، بل إن منهم من يقف أحيانًا إلى جوار المسلمين في قضاياهم، وأكد في القرآن قوله الله ﷻ عند حديثه عن أهل الكتاب: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ [آل عمران: ١١٣]. وقوله أيضًا في موضع آخر: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

فبعضهم أمين على قنطار كامل من الأموال والممتلكات، وبعضهم على النقيض لا يُؤتمن على دينار واحد!!

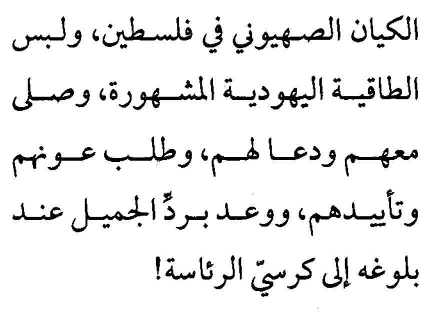
فأين أوباما من هذه الرؤية؟!

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٦/ ١١/ ٢٠٠٨م.

إن أوباما يعلن في مؤتمراته أنه يتجه إلى سحب القوات الأمريكية من العراق وأفغانستان، لكنه يعلن عن استمراره في حرب الجماعات التي يسميها إرهابية، وكلها إسلامية، وليس فيها جماعات المافيا الأوربية، ولا عصابات المخدرات في أمريكا اللاتينية، ولا الحكومات المتمردة في كوريا الشمالية وكوبا وغيرها، فأين ستكون حروبه هذه؟! إنها -لا شك- ستكون في بلاد المسلمين.

كما أنه أعلن بوضوح أنه سيسحب القوات الأمريكية؛ لأن وجودها في العراق وأفغانستان يكلف أمريكا عشرة مليارات دولار شهريًّا، وهذا يرهق دافع الضرائب الأمريكي. ولن يكون هذا السحب للقوات لإحساسه بشيء من الظلم وقع على هذه الشعوب، ولا لكون قرار الحرب كان مخطئًا في بدايته، ومن هنا فهو يبحث عن المصلحة الأمريكية فقط، وهذا في حدِّ ذاته قد لا يعيبه، ولكن العيب هو عدم احترام مصالح الآخرين، وخاصةً إن كان الأمر يتعلق بقضايا العدل وحقوق الإنسان.

وفي الملف الفلسطيني أعلن أوباما بوضوح أنه مع إسرائيل إلى النهاية، بل وزار الكيان الصهيوني في فلسطين، ولبس الطاقية اليهودية المشهورة، وصلى معهم ودعا لهم، وطلب عونهم وتأييدهم، ووعد بردِّ الجميل عند بلوغه إلى كرسيّ الرئاسة!





وانقسم اليهود إلى حزبين في هذه الانتخابات؛ فاليمين المتطرف يؤيد ماكين لوضوح عنفه وعدوانيته، وما يطلق عليهم بالحمائم وقفوا مع أوباما الذي سيحقق لهم الآمال على طريقة كلينتون دون حرب ولا إراقة دماء!

إن الفريقين مجرمون! ولكن كل فريق له طريقته الخاصة في القتل؛ فالصقور اليهودية تؤيد السفّاح ماكين، حيث سيمارس القتل بطريقة النهش أو تكسير العظام، والحمائم اليهودية تؤيد أوباما الذي سيلف حبلاً ناعمًا من الحرير حول عنق الفلسطينيين، ويجذب برفق شديد وتدرج؛ حتى تصعد روح الشعب إلى بارئها دون ضجيج إعلامي كبير!!

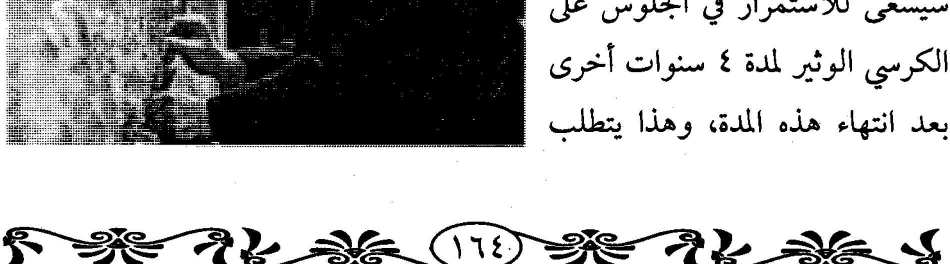
ومع ذلك فماكين يختلف عن أوباما في جزئية مهمة..

فماكين مثل بوش ورفيقه يكرهون المسلمين كراهية شديدة، ومن ثَمَّ فالغل والحقد الذي في قلوبهم يدفع إلى انتهاز الفرص للتعرض لهم بالإيذاء والقهر، كما أنهم قد يقبلون بتضحية في سبيل الكيد للمسلمين. إضافةً إلى أنهم ينتمون إلى اليمين المسيحي المتطرف والمعروف بالمسيحية الصهيونية، والتي ترى عداءها للمسلمين أمرًا أصيلاً، كما ترى أن إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين واجب ديني لا بد أن يقوم به المسيحيون؛ تمهيدًا لعودة المسيح عليه السلام كما يعتقدون.

أما أوباما فمن حزب الديمقراطيين، وهو حزب علماني إلى حد كبير، ومنفتح على المدارس الأخرى بشكل واضح، ومن ثَمَّ فهو لا يُكِنُّ كراهية خاصة للمسلمين، إنما يبحث عن مصالحه فقط، وللأسف فإن المصالح كلها الآن تدفعهم إلى أن يدوسوا المسلمين بأقدامهم، فلا مانع حينئذٍ!!

إنني أريد للمسلمين أن يكونوا واقعيين في آمالهم وأحلامهم..

إن صعود أوباما إلى كرسي الحكم في أمريكا سيخفف الوطأة نسبيًّا على المسلمين، ولكن لن يرفعها، ولا يشك مراقب للأحداث أن أوباما سيسعى للاستمرار في الجلوس على الكرسي الوثير لمدة ٤ سنوات أخرى بعد انتهاء هذه المدة، وهذا يتطلب



إرضاءً للأمريكيين، وكذلك إرضاءً لليهود، ولكن لن يتطلب حتى هذه اللحظة إرضاءً للمسلمين!

ولا يعتقد أحد أن الجذور الإسلامية الكينية لأوباما ستؤثر في قراراته! فالرجل اعتبر إثارة هذه النقطة هي محاولة خبيثة من الحزب الجمهوري للطعن في مصداقيته، أما هو فقد أعلن بوضوح أنه مسيحي تمامًا، وأنه أمريكي في المقام الأول، وقصة الإسلام أو إفريقيا هي قضايا تاريخية لا وجود لها في عالمنا المعاصر!

إن المسلمين أصبحوا مثل الغريق الذي يتعلق بقشة! ويبحثون عن أمل النجاة في أي منقذ ولو كان عدوًّا، ولم يدرك الكثير من المسلمين بعدُ أن عليهم أن يتقنوا السباحة بدلاً من استجداء الرحمة من أوباما أو من غيره.

ولعل كثيرًا من المسلمين يتساءلون ماذا نفعل؟! وقد رضخت حكوماتنا رضوخًا مذلاً لكل الأطراف، فهم يسمعون ويطيعون للديمقراطيين والجمهوريين، ويسمعون ويطيعون كذلك للصقور والحمائم، فأين السبيل؟ وكيف الخروج من الأزمة؟!

وإن الحل يكمن في نقاط ثلاث:

رغبة صادقة في عزة هذه الأمة..

وفَهْم دقيق لطبيعة الدين الإسلامي وشموليته ووسائل التغيير والإصلاح فيه..

ثم أخيرًا عمل دءوب مستمر من كل المخلصين على ضوء ما فهموه من دينهم، وكلٌّ في مجاله وتخصصه.

إن بناء الأمم ليس قضية سهلة، ولكنه في ذات الوقت ليس مستحيلاً، ولا بد لتحقيقه من الاعتماد -بعد الله عز وجل- على سواعد المسلمين والمسلمات، وقد يتعاون المسلمون مع غيرهم من غير المسلمين، لكن لا ينبغي أن يُوكِلوا إليهم بناء أمة الإسلام، فهذا ما يرفضه العقل والشرع، ولا يؤيده التاريخ ولا الواقع!

ونسأل الله عز وجل أن يعز الإسلام والمسلمين!

(٣٦)

السياسة في حياة الجاليات المسلمة[1]

قد يبدو أن مشاركةَ الجاليات المسلمة في الغرب في انتخابات الرئاسة هناك، أمرٌ بَدَهِيٌّ لا بد من فعله والإسهام فيه، وقد يبدو لنا أن الاستبيان الذي وضعناه على موقعنا بخصوص هذه المشاركة لا معنى له؛ فالأغلبية الساحقة (٨٣٪) من المشاركين في الاستبيان اختاروا أن تشارك الجاليات المسلمة في الغرب في انتخابات الرئاسة.



قد يبدو لنا أن هذه المشاركة أمرٌ واضحٌ لا يحتاج لمناقشة، ولكن الواقع -للأسف- ليس كذلك!

إن قليلاً من الجاليات المسلمة في البلاد الغربية يشارك في انتخابات الرئاسة أو مجالس الشعب والمحليات، وبالتالي فلا يهتم -عادةً- أيٌّ من الرؤساء المرشحين باستقطاب المسلمين، أو الجري وراء أصواتهم! وبالتالي فليست هناك وعود إصلاحية خاصة بالمسلمين أثناء الدعاية الانتخابية للرؤساء في أمريكا وأوربا، وهذا أمر لافت للنظر؛ لأن أعداد الجاليات المسلمة في البلاد الغربية ليست قليلة، ولكن الواضح أن المسألة ليست بالعدد!

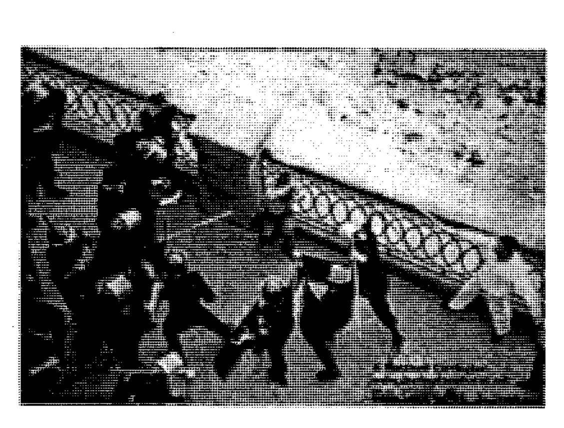
(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ١٣/ ١١/ ٢٠٠٨م.

إن عدد المسلمين في أمريكا يزيد على ستة ملايين، وتصل بهم بعض التقديرات إلى عشرة ملايين، وعدد المسلمين في فرنسا يزيد على سبعة ملايين، ويصل أيضًا في بعض التقديرات إلى عشرة ملايين. أما المسلمون في ألمانيا فيصلون إلى أربعة ملايين، وكذلك المسلمون في بريطانيا يصلون إلى نفس العدد تقريبًا، ويصل عدد المسلمين في إيطاليا إلى أكثر من مليون مسلم، فأين كل هذه الجموع في الأحداث الكبرى في البلاد التي يعيشون فيها؟! وأين تأثيرهم على القرار هناك؟!

لقد أعلن إبراهيم هوبر المتحدث باسم مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية (كير) بأن أيًّا من الزعيمين أوباما وماكين لم يتصل أصلاً بأي قيادة إسلامية لضمان الحصول على أصوات المسلمين!!

ولا بد لنا من وقفة..

لماذا يصل الوضع إلى هذه الصورة مع أن المسلمين في تزايد مستمر في البلاد الغربية؟! والإجابة في رؤيتي تشمل عدة أسباب:



أولاً: لقد انتقل المسلمون إلى أوربا وأمريكا وهم يحملون كل الأمراض التي أصيبوا بها في بلادهم الإسلامية الأصلية! وهذه الأمراض كثيرة، ويأتي على رأسها مرض السلبية القاتل، والذي تعوَّد عليه في بلاد المسلمين التي تُحْكَم في معظمها بأنظمة ديكتاتورية لا تسمح بأي رأي إصلاحي أو معارض، وإن سمحت أحيانًا فإنها لا تلبث أن تزوِّره وتعبث به، ولو أصرَّ صاحب الصوت المعارض على الكلام، فإنه يُكَمَّم أو يُحبس وقد يقتل! وهذا دفع أجيالاً كاملة أن تعيش في الظلام، وأن تقبل بالضيم، وأن تخشى من فكرة الاعتراض، وأن تتردد كثيرًا جدًّا في أن تشهد شهادة الحق ولو من وراء

ستار، وأن تحذف من قاموسها تمامًا كلمة «لا»! ثم انتقل فريق من هؤلاء للعيش في بلاد الغرب وهم يحملون أوزارهم، فلم يلاحظوا أن البيئة تغيرت، وأنه أصبح مسموحًا أن تقول رأيك، وأن أوراق اللُّعبة مختلفة عن تلك التي نراها في بلادنا المنكوبة، فعاشوا كما يقولون في «سلام»، وجعلوا شعارهم «دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله»! وهكذا رأت هذه الطائفة -وهي ليست قليلة- أنهم يكفيهم فخرًا أنهم «يعيشون» في أمريكا أو أوربا، فلا داعي للطموح الأهوج في تغيير الأنظمة هناك!

كان هذا هو السبب الأول في انعزال المسلمين عن الساحة السياسية في البلاد الغربية.



ثانيًا: يعاني المسلمون أيضًا في بلاد الغرب من مشكلة الخوف الدائم من تهمة الإرهاب، بل ويعاني بعضهم من الخوف من تهمة «الإسلام»!

فقد أصبح الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ في حد ذاته تهمة قد تكون خطيرة! ومن جرَّاء هذا الخوف الدائم أصبح كثير من المسلمين يتجنبون الإعلان عن هويتهم أصلاً، فما بالكم بالإعلان عن أنهم يؤيدون حزبًا على حساب آخر! وماذا يحدث لو خسر الحزب الذي يؤيدونه؟ وماذا سيكون مصيري حينئذٍ؟ هل سيكون الطرد من الوظيفة؟ أم سيكون الإرسال إلى أحد المعتقلات؟ أم سيكون الأسوأ والأفدح وهو سحب الجنسية الغربية وإعادة الرجل إلى بلاده الإسلامية؟!!

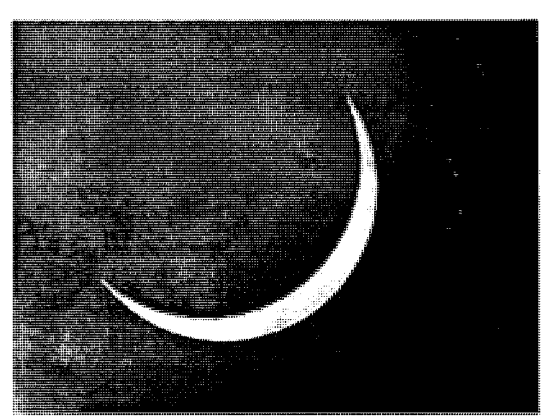
هذا كابوس يدفع كثيرًا من المسلمين إلى طمس هويتهم، أو عدم الإفصاح عنها أبدًا. ولقد قابلت أحد المسلمين في بريطانيا وهو شخصية علمية مؤثرة، ومع ذلك فقد قال لي

إنه قد جاءهم في أحد الأيام استبيان من الحكومة الإنجليزية يسألون فيه عن أمور كثيرة في حياة الشخص بهدف الإحصاء، وكان من هذه الأمور دين الشخص، وكان هذا السؤال اختياريًّا؛ لأن الدولة علمانية، ولا تستطيع أن تفرض عليك أن تعلن دينك، وكان اختيار هذه الشخصية المسلمة ألاَّ يكتب شيئًا في مكان الديانة، مع أن الإحصاء لو أظهر أن عدد المسلمين كبير في بريطانيا، فإنهم قد يعملون لهم حسابًا في قوانينهم وانتخاباتهم ومعاملاتهم مع الدول الإسلامية، ولكن آثر التخفي لكي لا يصيبه ضرر، وقال: إن المسلمين إذا كانوا غير واضحين ولا معروفين؛ فهذا أدعى لطول بقائهم!

لقد نسي هذا الشخص أن الغرب لو رأى أن الذي أمامه لا وزن له ولا تأثير، فإنه لن يتردد في سحقه بقدمه عند أول فرصة!

ثالثًا: يعاني المسلمون أيضًا في البلاد الغربية من ضعف الخبرة في المجالات السياسية، فليس هناك -فيما رأيت بنفسي- توعية سياسية مناسبة للجاليات المسلمة، وبالتالي فهم لا يعرفون ماذا ينبغي لهم أن يفعلوا، ولا يدركون حقيقة مزايا مرشح عن آخر، ولا يعلمون آليات إنشاء عمل سياسي محترف. وقد يرجع ذلك إلى أن معظم أفراد الجاليات المسلمة قد هاجروا إلى البلاد الغربية بُغْيَةَ التربح أو الدراسة، وهؤلاء ليسوا من السياسيين عادةً، بل إن كثيرًا منهم يعتبرون أن الكلام في السياسة حرامٌ وعيب ولا يصح؛ لأنهم تعلموا ذلك في بلادهم المسحوقة!

رابعًا: القلة من المسلمين لا يشاركون في أي أعمال سياسية؛ بسبب أنهم يرون عدم جواز ذلك شرعًا، وهم يعتقدون أنهم إذا شاركوا عن طريق الانتخاب أو الترشيح، فإن ذلك يعني إقرار الأنظمة الوضعية، وهي تحكم بغير ما أنزل الله؛ ولذا فلا يجوز التعاون معهم في رؤيتهم. والحق أن هذه الرؤية قاصرة؛ لأن المسلم لا ينتخب أحد الرؤساء الغربيين لكي يقول له: أوافقك على الربا والإباحية والظلم، إنما ينتخبه لكي يعدِّل من القوانين والسياسات بما يخدم مصالح المسلمين، ومن ثَمَّ فإنه يرشِّح رئيسًا دون آخر بحثًا عن مصلحة المسلمين، وليس إقرارًا لباطلٍ هم عليه.



خامسًا: وهذه من أهم أسباب فقدان التأثير، وهي فُرقة المسلمين في البلاد الغربية بشكل لافت للنظر، فليس هناك رابط بأي صورة من الصور يجمع المسلمين تحت راية واحدة في أي قطر غربي، بل إن المساجد لا تتحد معًا أبدًا، وليس هذا على مستوى القطر الواحد بل على مستوى المدينة الواحدة في داخل القطر، بل كثيرًا ما تجد المساجد المختلفة والهيئات المختلفة تتصارع وتتنافس ويخالف بعضها بعضًا. ولا يخفى على أحدٍ الجدالُ السنوي الذي يتم في داخل كل مدينة، بل وفي داخل كل مسجد كل سنة في أول رمضان على موعد الصيام، وعلى طريقة رؤية الهلال، وكذلك عند عيد الفطر. وليس مستغربًا أن تجد في داخل المدينة الواحدة من يصوم ومن يفطر في نفس اليوم!

إن داء الفُرقة هذا مدمِّر، ولا تقوم للأمة قائمة بغير وَحْدة، وهذا الداء الخطير يفسِّر ضعف المسلمين سياسيًّا في أمريكا وأوربا؛ فحتى لو عرف المسلمون قيمة المشاركة الإيجابية، وعرفوا أن فلانًا أفضل من غيره، فأي رابط يربطهم؟ وأي متحدث رسمي يتحدث باسمهم؟ وهل يملك هذا المتحدث أو هذا الرابط أي سلطة توجيهية للجموع الإسلامية أم أنه سيقول كلامًا، وتفعل الجالية خلافه؟ وما هي آليات اختيار هذه الهيئة الرسمية؟ وكيف تكتسب ثقةً في الجالية؟

إن هذه الأسئلة لن يتم الإجابة عليها إلا من خلال وحدة حقيقية بين أفراد الجالية المسلمة في كل قطر، بل لا أبالغ في أحلامي إن قلت: إنَّه يجب أن يكون هناك تواصل بين أفراد الجاليات المسلمة في البلاد المختلفة؛ لكي نتبادل الخبرة بين هذه الجاليات في أمريكا وفرنسا وبريطانيا وألمانيا وغيرها، بل أكثر من ذلك: لماذا لا يكون هناك تواصل بين الجاليات المسلمة والهيئات الأخرى غير الإسلامية الموجودة في الغرب، سواءٌ كانت هذه

الهيئات سياسية أم قومية لإحدى الجاليات أو العرقيات لتكوين جبهة واحدة تدفع في اتجاه واحد يصبُّ في مصلحة المسلمين؟!

وليس معنى كل ما سبق أن أفراد الجاليات المسلمة في الغرب لا يعلمون، بل إن منهم الكثير ممن يتحرك بقوة لخدمة مصالح المسلمين، ومنهم من عنده وضوح رؤية كامل، ومنهم من يهتم بأمور الدعوة والأسرة والجالية بصفة عامة، لكن ما زال الأثر أقل بكثير من الإمكانيات، وما زالت النتائج أقل بكثير من الطموحات.

ولا شك أن الأمر يحتاج إلى وقفات ووقفات، خاصةً أننا نرى أن غيرنا ممن بدأ بعدنا، أو يملك أقل من قدراتنا، قد سبقنا وتقدم علينا، وهذا لا يستقيم لأمة وُصِفَتْ بأنها خير أمة أخرجت للناس.

ونسأل الله ﷻ أن يعز الإسلام والمسلمين!

***

(٣٧)

مصلحة أمريكا أم مصلحة اليهود؟! [1]

لا يخفى على عاقل أن المساعدة الأمريكية لليهود في فلسطين أصبحت تمثل ركنًا رئيسيًّا من أركان الحكم في أمريكا وإسرائيل، وأن الوضع قد استمر على هذه الحال عدة عقود متتالية، ولعله سيستمر فترة أطول من الزمان، الله أعلم بها.

وقد يخطئ البعض ويظن أن المصالح وحدها هي التي تحكم العلاقة بين الطرفين، بمعنى أن أمريكا تساعد اليهود لأن مصالح أمريكا تقتضي ذلك؛ لأننا كثيرًا ما نرى أن الأمريكان يساعدون اليهود في فلسطين ضد مصالح أمريكا ذاتها! وهذا ليس أمرًا جديدًا، إنما هو يحدث قبل أن تقوم لليهود دولة في داخل فلسطين الحبيبة.

ولقد قام طيار أمريكي مشهور هو لندبرج (أول من عبر المحيط الأطلنطي بطائرة سنة ١٩٢٧م من نيويورك إلى باريس)، قام هذا الطيار بإلقاء خطبة في ١١ سبتمبر سنة ١٩٤١م في جمع من الأمريكيين يزيد على سبعة آلاف، وذلك في ولاية (أيوا) الأمريكية، وقال فيها: إن أمريكا تتورط الآن في دخول الحرب العالمية الثانية، وأن الذي يورطهم في هذه الأزمة هم الإنجليز واليهود، ثم وقف يتحدث عن اليهود ويذكر ملكيتهم الضخمة لكثير من الشركات والاستوديوهات العملاقة في

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٢٠/ ١١/ ٢٠٠٨م.

أمريكا، ثم قال في وضوح عن اليهود: «إن اليهود يريدون لنا التورط في الحرب لأسباب مفهومة من وجهة نظرهم، بقدر ما هي غير حكيمة من وجهة نظرنا، فهي أسباب غير أمريكية»! ثم قال:« نحن لا نستطيع لومهم لأنهم يتطلعون إلى ما يعتقدون أنه في صالحهم، ولكننا يجب أيضًا أن نتطلع إلى صالحنا، ونحن لا يمكن لنا أن نسمح للعواطف الطبيعية لقوم آخرين وتحيُّزاتهم بأن تدفع ببلادنا إلى الخراب».

لكن واقع الأمر أن كلمات (لندبرج) مرت أدراج الرياح، ودفع اليهودُ أمريكا دفعًا إلى دخول الحرب العالمية الثانية، وإلى حمل الملف اليهودي بكل حماسة، والسعي الحثيث وراء إنشاء دولة لهم في أرض فلسطين، حتى وصل الأمر إلى أن أمريكا أعلنت اعترافها بدولة اليهود في فلسطين بعد إحدى عشرة دقيقة فقط من إعلانها!!

هل كانت هذه هي المصلحة الأمريكية البحتة؟!

أبدًا.. لم يكن الأمر كذلك.

إن أمريكا دولة ضخمة جدًّا، بل هي قارة بكاملها، وهي تضم بين طياتها ٥٢ ولاية بمنزلة ٥٢ دولة من دول عالمنا المعاصر، وقد ظلت فترة طويلة من الزمن تعيش في عزلة عن العالم، ويفصل بينها وبين العالم المعمور المحيطُ الأطلنطي من جهة، والمحيط الهادي من جهة أخرى، ولم تكن تحتاج -لا من قريب ولا من بعيد- إلى الدخول في صراعات في دول العالم هنا وهناك، بل كانت تعيش في ظروف جيدة جدًّا، خاصةً وأنها بمساحاتها الشاسعة تتمتع بثروات اقتصادية وزراعية ومعدنية وبترولية ومائية هائلة، إضافة إلى التقدم العلمي الملموس الذي تعيشه منذ أكثر من مائة وخمسين عامًا.

إنها لا حاجة لها أن تزجَّ بأنفها في الحرب العالمية الأولى، وليس من مصلحتها أن تندفع إلى الحرب الكونية الرهيبة التي دارت بين الحلفاء والألمان، ولكن واقع الأمر أن إنجلترا وسَّطت اليهود للضغط على الأمريكان؛ ليدخلوا الحرب لينقذوا الحلفاء من هزيمة وشيكة على يد القوة الألمانية المتطورة، وكان ثمن هذه الوساطة أن تقوم إنجلترا بتثبيت أقدام اليهود في فلسطين، وإنشاء دولة مستقلة لهم هناك. أما اليهود فقد قبلوا

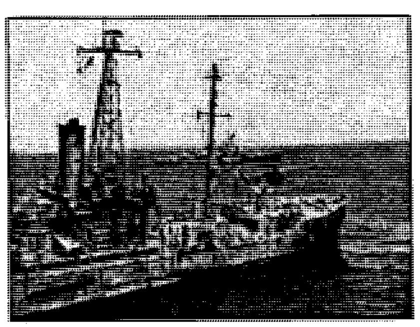
الوساطة ليس فقط لشراء وُدِّ الإنجليز، بل إنهم قبلوها لما هو أكثر! فقد بدا لهم أن المستقبل لأمريكا، وأن هذه القوة المتصاعدة لن يقف أمامها أحد في العقود القادمة، وبدا لهم أيضًا أن نجم الإمبراطورية البريطانية قد بدأ في الأفول، ولذلك لا بد من سند جديد يدعم الكيان اليهودي، وهذا السند هو أمريكا.

كل هذا يعني أن المصلحة الأمريكية البحتة لم تكن تتطلب هذا التهور الأمريكي في حرب ضد العالم القديم، مع تبديد طاقات هائلة في هذه الحروب.

هل هذه هي الملاحظة الوحيدة؟!

كلا.. فأمثال هذه الملاحظة في التاريخ أكثر من أن تُذكر في مقال!

وحادثة ضرب السفينة الأمريكية الحربية «ليبرتي» مشهورة..



لقد قصف الطيران الإسرائيلي (بعد احتلال سيناء بثلاثة أيام) السفينة الأمريكية ليبرتي، والمزوَّدة بأجهزة للتجسس غاية في التقدم، وكانت في البحر الأبيض المتوسط، وذلك حتى يحول اليهود دون الكشف عن مخططهم في غزو الجولان، والذي لم تكن تعلم به أمريكا، وقد قُتل في هذا القصف أربعة وثلاثون بحارًا أمريكيًّا، وجُرح مائة وواحد وسبعون آخرون، وكان تحليق الطائرات الإسرائيلية فوق السفينة المنكوبة ست ساعات كاملة، واستمر القصف سبعين دقيقة، وبعد كل هذا اعتذرت الحكومة الإسرائيلية عن هذا «الخطأ»، وتم حفظ القضية!

لكن بعد هذه القصة بثلاثة عشر عامًا، استطاع أحد شهود العيان، وهو ضابط الاتصال بالسفينة ليبرتي، واسمه «إينس» أن يكشف الحقيقة في كتاب له، وبرهن فيه على أن الهجوم كان متعمدًا، وأنه كان حادث قتل واضح، ثم قام اللوبي الصهيوني في أمريكا بالسيطرة على الكتاب الخطير، لكن بعدها بقليل قام الأميرال توماس مور رئيس أركان

حرب الأسلحة المشتركة سابقًا بتأكيد هذا الكلام بمقولة هي أشد خطورة، حيث قال: «إنه كان حادثة قتل، لكن الرئيس الأمريكي جونسون كان يخشى ردود فعل الناخبين اليهود! »، ثم أردف قائلاً: «إن الشعب الأمريكي كان يمكن أن يصبح مجنونًا إذا عرف ما يجري!! لقد تكتم الرئيس الأمريكي وقيادات الجيش والحكومة على هذه الفضيحة؛ طمعًا في أصوات الناخبين اليهود».

والأميرال توماس مور هذا يكشف موقفًا آخر حدث سنة ١٩٧٣ عندما كان يشغل منصب رئيس أركان حرب القوات الأمريكية، فقد طلب منه موردخاي جور الملحق العسكري الإسرائيلي في واشنطن أن يسلم إسرائيل سربًا من الطائرات المسلحة بصاروخ جديد متطور جدًّا اسمه مافريك (Maverick)، ولكن توماس مور قال للملحق الإسرائيلي: إننا لا نستطيع تسليمكم هذا النوع من الطائرات والصواريخ، فليس لدينا سوى سرب واحد منها، وقد ناقشنا أمره قبل ذلك في الكونجرس، وقلنا إننا في أشد الحاجة إليه. فقال له موردخاي جور: «أعطني أنت الطائرات، أما الكونجرس فأنا كفيل به!».



وصدق موردخاي، فقد وافق الكونجرس، وذهب السرب الوحيد إلى إسرائيل!!

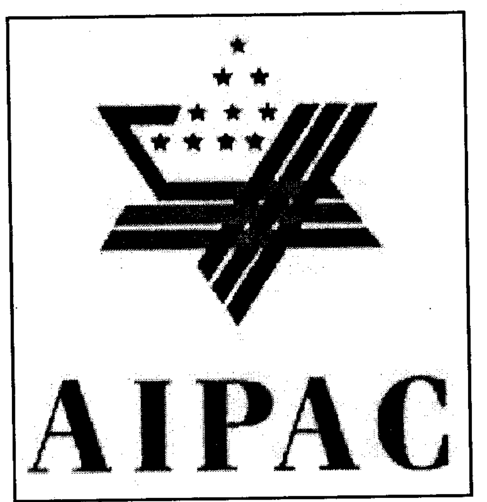
وفي حرب ١٩٨٢ التي شنها اليهود على لبنان، طلب اليهود من أمريكا صفقة من القنابل العنقودية، ورفض وزير الدفاع الأمريكي لأن هذا يتعارض مع القانون الأمريكي الذي يمنع بيع هذا النوع من القنابل؛ لأنها تستخدم ضد المدنيين، لكن بعدها بأيام تسلَّم اليهود الصفقة بعد أن أقرّها الرئيس الأمريكي ريجان شخصيًّا!!

ولا يخفى علينا أن الاقتصاد الأمريكي مهما عانى، فإن ذلك لا يؤثر على المعونات الأمريكية لدولة إسرائيل..

ولقد حدثت أزمة مالية في أمريكا سنة ١٩٨٤، وقدمت وزارة التجارة -إضافة إلى عدد من النقابات- تقارير إلى الكونجرس توضح فيه حجم المشكلة، وأوصت بتحديد علاقات التبادل التجاري مع بعض الدول في العالم منها إسرائيل، وذلك كي يخرج الأمريكان من الأزمة بسلام. وفي ٣ أكتوبر سنة ١٩٨٤ صوَّت الكونجرس بأغلبية أكثر من ٩٨ ٪ على عدم تحديد أي تبادل تجاري بين إسرائيل وأمريكا!!

وليس الأمر مقصورًا بطبيعة الحال على سنة من السنوات، فالمعونة الأمريكية لإسرائيل متزايدة من عام إلى عام، بصرف النظر عن أي خفض للميزانية العامة الأمريكية، وإسرائيل بالطبع هي أكبر الدول تلقيًا للمعونة من أمريكا على مدار الخمسين سنة الماضية!

ناهيك عن الصورة السيئة لأمريكا في العالم بسبب التأييد السافر لإسرائيل، واستخدام الفيتو في مواقف مخزية تجعل صورة الأمريكان في غاية السوء أمام دول العالم أجمع.



إن كل هذه الملاحظات وغيرها يثبت -بما لا يدع مجالاً للشك- أن السبب وراء المساعدة الأمريكية لليهود ليس هو التقاء المصالح بقدر ما هو الضغط اليهودي المستمر على أمريكا، والذي يقود إلى خدمة إسرائيل حتى لو أدى ذلك إلى الإضرار بمصالح أمريكا.

وهذا الضغط اليهودي في واقع الحال متزايد، وهو اليوم -ولا شك- في أعلى صوره، ولقد كان مرشحو الرئاسة الأمريكية سابقًا يخطبون وُدَّ اليهود عن طريق زيارة لمؤتمراتهم أو مراكزهم، أما اليوم فالمرشح الأمريكي الذي يريد النجاح في الانتخابات لا بد له من زيارة إسرائيل!!

والأمر فعلاً يبدو عجيبًا، فلماذا يكلف المرشح الأمريكي نفسه الطيران لكل هذه المسافة، والذهاب إلى دولة أخرى لكي يدعم موقفه في الانتخابات؟!

بل إنه لا يتردد -حتى لو كان علمانيًّا صِرفًا- أن يلبس الطاقية اليهودية، ويصلي صلاة اليهود أمام حائط المبكى (والأصح أنه حائط البراق).

إن القضية فعلاً قضية ضغط، وهذا الضغط بأكثر من وسيلة، وهو يحتاج إلى تفصيل، وسنُفرِد له عدة مقالات بإذن الله.

لكن ما يهمني في هذا الموقف أن أشير إلى أنني لا أذكر كل هذه الحقائق لأعلن انبهاري باليهود، أو خوفي من تسلطهم، فالله ﷻ أجلُّ وأعلى.. ولكن أذكر هذا حتى يعلم الذين يطمعون أن تحلَّ لهم أمريكا مشاكلهم، أو أن تساعدهم في إقامة وطن لهم في فلسطين إلى جوار اليهود، أو أن تقف موقفًا عادلاً في القضية، عليهم جميعًا أن يعلموا أن الأمر خارج عن يد أمريكا نفسها، وأنهم وإن كانوا يرون أحيانًا أن تصرفاتهم هي أقرب إلى الجنون إلا أنهم لا يستطيعون منعها! ومن ثَمَّ فلا معنى مطلقًا، لا شرعًا ولا عقلاً، أن يعتقد البعض أن الخروج من الأزمة يكمن في زيادة الولاء لأمريكا، أو في مزيد من الرضوخ لها.

أما الأمر الثاني الذي أحب أن أشير إليه، هو أن قصة اليهود في أمريكا ليست طويلة، وأن اليهود لم يرثوا وضعًا قويًّا من أسلافهم، ولا حبًّا في قلوب الأمريكيين، ولكنهم خططوا وعملوا وتعبوا واجتهدوا، فوصلوا إلى الوضع الذي نراه حاليًا، وقد قضت سنة الله ﷻ أن الذي يعمل في الدنيا ويتعب، فإنه يجني ثمار تعبه.. قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ﴾ [هود: ١٥].

حدث كل هذا على الرغم من أنهم قوم مُنكَرون، وهم كذلك مكروهون في قلوب العالمين بما فيهم الأمريكان أنفسهم، وهم فوق كل ذلك قلة قليلة، لكنها السنن الماضية، والقواعد الثابتة، وليس لنا من سبيل إلا أن نعمل بجدٍّ واجتهاد وصبر ومصابرة، وقبل ذلك وبعده أن نأوي إلى ركن شديد؛ ركن رب العالمين.

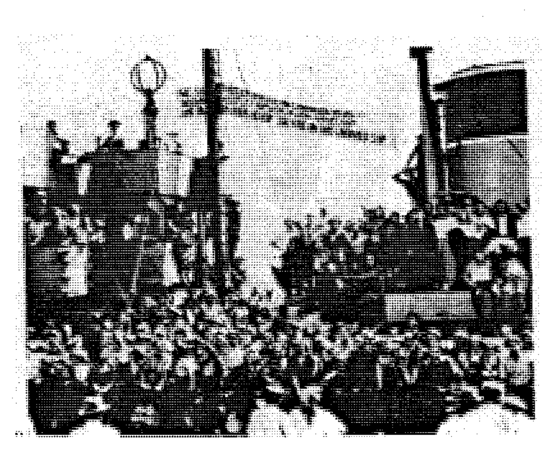
ونسأل الله أن يعز الإسلام والمسلمين!

(٣٨)

الإعلام اليهودي وقيادة أمريكا!! (1)

لا شيء أقوى أثرًا في تحريك الشعوب وتوجيه السياسات من تغيير الفكر! والإنسان قد يتحول من أقصى اليمين إلى أقصى الشمال لمعلومة يعرفها، أو لكلمات يقرؤها، أو لخطبة يسمعها، وهذا التحول قد يكون إيجابيًّا، وقد يكون سلبيًّا؛ تبعًا للكلمات التي يتلقاها. ولقد تحوَّل العرب الجفاة الغلاظ إلى بناة حضارة، وقادة إنسانية عندما سمعوا كلمات القرآن الكريم، وعلى النقيض من ذلك، فإن قوم فرعون سيتبعونه في جهنم لأنهم سمعوا لكلماته، ولم يلتفتوا إلى كلام النبي الكريم موسى عليه السلام.

ولقد أدرك اليهود قيمة التغيير الفكري في تحريك الشعوب، فعملوا على استعمال هذه السياسة في كل تاريخهم، وما أكثر الشائعات الباطلة، والتعليقات المزوَّرة التي حاربوا بها رسول الله ﷺ وصحابته منذ الأيام الأولى لدعوة الإسلام! وما زال اليهود إلى زماننا الآن يستخدمون نفس السياسة، وإن كان خطرهم قد أصبح أشدَّ، وأثرهم صار أعمق؛ وذلك لقوة الآلة الإعلامية في زماننا من ناحية، ومن ناحية أخرى لغياب الإعلام المضاد الذي يصحِّح المفاهيم، ويردُّ على الإشاعات والأباطيل.



ولقد بدا أثر الإعلام اليهودي واضحًا جدًّا في الضغط على أمريكا لتغيِّر من

(1) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٢٧/ ١١/ ٢٠٠٨م.

سياساتها، وتحوِّل من مسارها تبعًا لرغبات اليهود، حتى لو كان هذا التحوُّل في كثير من الأحايين ضد المصلحة الأمريكية ذاتها!

والذي يُراجِع تاريخ اليهود في أمريكا يجد أن اهتمامهم بالإعلام كان كبيرًا جدًّا، وذلك منذ الأيام الأولى لهم في هذا البلد الجديد؛ فقد هاجر اليهود إلى أمريكا للمرة الأولى في أعداد قليلة من إسبانيا والبرتغال، وذلك بعد اكتشاف أمريكا وتعرض اليهود للاضطهاد فيهما بعد سقوط الأندلس الإسلامية! فقد كان الصليبيون الأسبان والبرتغال يضطهدون كل المخالفين لهم في العقيدة، سواء كان من المسلمين أو اليهود. ثم كانت الهجرة الثانية من ألمانيا بعد عام ١٨٤٠م، وأخيرًا كانت الهجرة الرئيسية لهم من أوربا الشرقية بعد عام ١٨٨٠م، وهذه الهجرة الأخيرة هي الهجرة التي خططت للسيطرة على الأمور في أمريكا، وكانت هذه السيطرة عن طريق عدة أمور، يأتي في مقدمتها الإعلام ثم المال ثم الدين.

لقد هاجر اليهود إلى أمريكا ومعهم أموال ضخمة لكونهم يعشقون التجارة ويهتمون بالكنز، ولكنهم لم يركزوا اهتمامهم على المشاريع التجارية فقط، إنما اهتموا اهتمامًا كبيرًا بالإعلام.

لم ينظر اليهود إلى صحيفة صغيرة ينشئونها أو وسيلة بدائية من وسائل الإعلام، بل توجهوا إلى أوسع الجرائد الأمريكية انتشارًا، وهي جريدة النيويورك تايمز، التي بدأت عملها في سنة ١٨٥١م، ولكنها كانت تعاني من بعض المشاكل المالية في أواخر القرن التاسع عشر، فعرض اليهوديُّ النشط أدولف أوكس (Adolf Ochs) شراء الصحيفة الشهيرة، وتم له ذلك بالفعل، وصارت جريدة النيويورك تايمز من هذه اللحظة وإلى الآن جريدة يهودية صِرفة! أما صحيفة الواشنطن بوست فهي الجريدة التي تؤثر تأثيرًا مباشرًا في السياسة الأمريكية، وهي التي يحرص على


The Washington Post

قراءتها يوميًّا كبار الموظفين في الحكومة الأمريكية، وهي صاحبة التأثير المباشر في الانتخابات الأمريكية، سواء الخاصة بالرئاسة أو بالكونجرس أو بالمحليات.

وكانت هذه الجريدة تُدار من خلال أسرة ماكلين mclean المحافظة، والتي لم تكن تسير بشكل واضح مع قضايا اليهود؛ مما دفع المعلنين اليهود إلى سحب إعلاناتهم من الواشنطن بوست وتوجيهها إلى صحف واشنطن الأخرى، وهذا أدى -مع مرور الوقت- إلى إفلاس الواشنطن بوست نتيجة منافسة الصحف الأخرى، وكان ذلك سنة ١٩٥٤م، فتقدم اليهودي يوجين ماير (Eugene Meyer) لشراء الصحيفة بمبلغ زهيد نسبيًّا، وتم له ما أراد، وعادت الإعلانات اليهودية إلى الصحيفة الشهيرة، وصارت بذلك أقوى الصحف السياسية في أمريكا صحيفة يهودية.

وما ذكرناه عن صحيفتي نيويورك تايمز والواشنطن بوست ينطبق على صحيفة وول ستريت (Wall Street Journal)، التي تعدّ أكثر صحيفة يومية تجارية توزيعًا في أمريكا، حيث تُوزَّع أكثر من مليوني نسخة يوميًّا، وهي مملوكة لليهودي بيتر كان (Peter Kann).



أما أكثر المجلات الأمريكية توزيعًا فهي مجلات التايم والنيوزويك والنيوز آند وورلد ريبورت، وكلها مجلات يهودية.

وليس الاهتمام اليهودي بالإعلام عن طريقة الصحافة فقط، ولكنهم أيضًا يهتمون بكل وسائل الإعلام الأخرى، فهم يسيطرون بشكل كامل على ثلاث شبكات تليفزيونية تنتج الأكثرية الساحقة من مواد التسلية الأمريكية، وتمثل المصدر الرئيسي للأنباء للأمريكيين، وهذه الشبكات هي NBC وCBC وABC. ولا يخفى على أي متابع لهذه القنوات الصبغة اليهودية الواضحة.

أما في مجال نشر الكتب فاليهود يملكون الشركة الثانية على مستوى أمريكا، وهي

شركة سيمون وشاستر (simon & schuster)، ويملكون كذلك الشركة الثالثة، واسمها تايم وارنر تريد جروب (Time warner tread group). كما أنهم يسيطرون على عدة مواقع مهمة في الشركة الأولى على مستوى أمريكا، وهي شركة راندوم هاوس (Random House).

أما مجال إنتاج الأفلام فيقع تحت سيطرة يهودية شبه تامة، وليس عجيبًا أن تجد معظم أسماء الشركات الشهيرة في هذا المجال شركات يهودية صِرفة. ويكفي أن نعلم أن أكبر تجمُّع في العالم الآن هو شركة (والت ديزني) التي تملك تليفزيون والت ديزني، وتليفزيون تاتش ستون، وكذلك تليفزيون بوينا فيستا، إضافة إلى شبكة الكوابل الخاصة بها التي يشترك بها أكثر من ٢٠ مليون مشترك.. وهذه الشركة (والت ديزني) يرأس مجلسها التنفيذي اليهودي ميشيل إيزنر (Michael Eisner)[1].



أما ثاني أكبر تجمع إعلامي فهو تجمع تايم وارنر، والتي يعدّ فرعها الشهير Hbo هو أكبر شركة تليفزيونية على مستوى أمريكا والعالم، وهذا التجمع يُدار بمجلس إدارة يجلس على قمته اليهودي جيرالد ليفين (Gerard Levin).

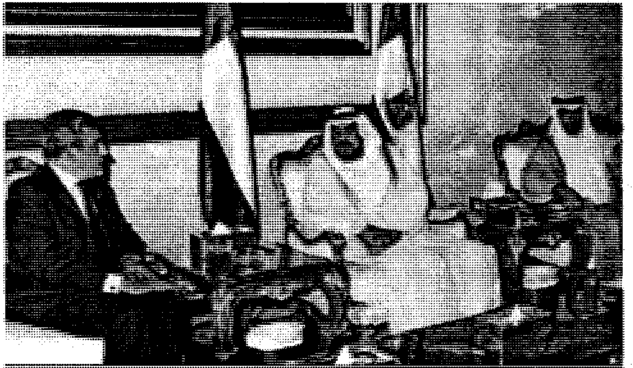
وتعتبر هوليوود -وهي مدينة السينما الأولى في العالم- مدينة يهودية خالصة، والجميع يعلم ذلك، ولقد قال قبل ذلك الممثل الأمريكي العالمي مارلون براندو سنة ١٩٩٦م: «إن هوليوود يديرها اليهود، ويملكها اليهود، يظهرون دائمًا مرحين لطفاء محبين كرماء، في الوقت الذي يفضحون فيه أية مجموعة عرقية أخرى». ولقد دفع مارلون براندو

---

(١) ديفيد ديوك: الصحوة.. النفوذ اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية، ترجمة د. إبراهيم الشهابي، دار الفكر- دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، ص١٧٩.

ثمن هذه الجرأة، حيث شنت المجموعات اليهودية عليه حربًا شديدة، بل قالوا في تصريح صحفي مباشر أنهم لن يسمحوا له بالعمل في السينما مرة ثانية! وكاد مارلون براندو أن يهلك لولا أنه ركع أمام إمبراطور السينما اليهودي ويسينتال (Wiesenthal) الذي قَبِل منه اعتذاره، على ألاّ يفعل هذا الجرم ثانية[1]!!

إن ما ذكرناه من أمثلة لا يمثل إلا قليل القليل من معلومات هائلة كثيرة، وهذه الوسائل الإعلامية المؤثرة تغيِّر تمامًا من الرأي العام الأمريكي، وتبرز اليهود دائمًا في صورة طيبة جميلة، وتبرز أعداءهم في صورة إرهابية مقيتة. كما أن هذه الوسائل الإعلامية تؤثر بشكل مباشر على انتخابات الرئاسة وغيرها من الانتخابات، ولقد دفع الرئيس الأمريكي السابق نيكسون كرسيه ثمنًا لهجمة صحفية شرسة من جريدة الواشنطن بوست اليهودية الأمريكية.



والسؤال الذي يجب أن نجيب عليه بصراحة: إذا كان هذا هو جهد اليهود، فأين المسلمون؟!

هل يمكن أن يقول أحد: إن اليهود يملكون المال؛ ولذلك فعلوا كل ذلك؟ إن الرد على مثل هذا التحليل الساذج، أن نقول: وهل لا يمتلك المسلمون المال؟ إن الأموال العربية والإسلامية أكثر من أن تُحصى، ولقد شاهدنا جميعًا رئيس الوزراء البريطاني منذ أسابيع وهو يدور على الدول الخليجية يطلب منها المعونة لإنقاذ العالم من الأزمة المالية الطاحنة!!

إن القضية ليست قضية مال..

إنما القضية في الحقيقة هي قضية فكر!!

(١) المصدر السابق نفسه، ص٢٠٠.

إننا كثيرًا ما نصرخ بأعلى أصواتنا، ولكن داخل غرفة مغلقة!!

وبينما يتحدث اليهود في وسائل إعلام تخاطب البلايين، وتصل إلى كل مكان في العالم من أقصاه إلى أقصاه، نجد أن المسلمين لا يخاطبون إلا أنفسهم، ولا يشرحون قضاياهم إلا لأبنائهم!!

أيها الأمة العظيمة أمة الإسلام، أليس من أدوار العلماء والدعاة أن يلفتوا أنظار الأمة إلى أهمية هذا المجال الخطير؟ وإلى مدى تأثيره؟!

أليس من مهمة الساسة المسلمين أن يوجِّهوا طاقات دولهم إلى إنشاء إعلام منافس يردُّ على أباطيل اليهود وأكاذيبهم؟!

أليس من اهتمامات الاقتصاديين الإسلاميين أن يُنشِئوا القنوات الفضائية، والمجلات الاحترافية، ومواقع الإنترنت المتمكِّنة التي تحمل أخبارنا بألسنتنا إلى العالم أجمع؟!

أليس من مهمة المسلمين الذين يتقنون اللغات الأجنبية أن يحوِّلوا كل حقائقنا إلى لغات العالم حتى يفهم الجميع قضيتنا بدلاً من التنافس غير المفهوم بين قنوات وجرائد كلها يتكلم اللغة العربية فقط؟!

أليس من مهمة الجاليات المسلمة في البلاد الغربية أن يردوا على هذا الإعلام اليهودي الجبّار بإعلام إسلامي مضاد، وأن يُدخِلوا الإعلام في بؤرة اهتمامهم بدلاً من هذا الإهمال غير المقبول؟!

إنني أعلم أن القضية ليست سهلة، وأن الطريق صعب وطويل، ولكني في ذات الوقت على يقين أنه إذا كان اليهود قد نجحوا فيه، فالمسلمون على النجاح أقدر، ولكن لا بد من بداية جادَّة.

يوم نستطيع أن نجيب على الأسئلة السابقة، سوف يتغير حالنا تغيرًا جذريًّا بإذن الله. وليس من الحكمة ولا الصواب أن نكتفي بلوم اليهود على كذبهم وتزويرهم، بينما يحترف أصحاب الحق السكوت!!

ونسأل الله أن يعز الإسلام والمسلمين!

(٣٩)

خطبة عرفة وإعلان حقوق الإنسان[١]

حقيقة لا مراء فيها أن حقوق الإنسان في أرجاء العالم المختلفة تتعرض لانتهاكات لا حصر لها، وليس من السهل أن تجد منطقة في شرق العالم أو غربه لا تعاني من هذا الانتهاك، وقد يكون الانتهاك داخليًّا بأيدي أصحاب السلطان والحكم، وقد يكون من دولة متجبِّرة لدولة أخرى ضعيفة، وقد يكون من طائفة لطائفة أخرى، وقد يكون من فردٍ لأفراد آخرين، ولكنه في كل الأحوال موجود ومنتشر، بل ليس غريبًا أن تصبح المعاناة هي شعار الأغلبية من سكان هذا الكوكب!



وهذا الانتهاك لحقوق الإنسان ليس مستحدثًا في الأرض، بل إن السمة الغالبة لكل الأمم التي حكمت الدنيا قبل ذلك، هي سمة الظلم والاضطهاد للآخرين، ولا فرق في ذلك بين فرس ولا رومان، ولا هنود ولا صينيين، ولا تتار ولا صليبيين، ولا إنجليز ولا فرنسيين، ولا أمريكان ولا يهود.. إنها النتيجة الحتمية للقوة إذا نُزعت منها الرحمة، وإذا تجرَّدت من الأخلاق والدين.

أما الذي يحزننا حقًّا فهو أن نرى هذا الانتهاك لحقوق الإنسان متفشيًّا في بلاد المسلمين، التي أنعم الله عليها بدين يحفظ حقوق الإنسان من أول يوم نزل فيه القرآن إلى آخر أيام التشريع.. وهو الدين الذي جعل الله ﷻ سمته الرئيسية هي الرحمة،

---

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٤/ ١٢/ ٢٠٠٨م.

فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وهو الدين الذي لا يقبل الظلم بأي صورة من الصور، يقول تعالى في الحديث القدسيِّ: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلاَ تَظَالَمُوا»[1].

يحزن المرء حقًّا عندما ينظر إلى بلاد الإسلام فيجد الأعداد الغفيرة من المظلومين قد دخلت السجون والمعتقلات بغير جريمة ولا ذنب، بل بغير قضية ولا تحقيق من الأصل، ويجد أن الأعياد تلو الأعياد تمرُّ على الأمة فلا تحمل إلا الحزن لعائلات كثيرة، فَقَدت عائلها خلف القضبان بغير حق ولا دليل!

يحزن المرء كثيرًا عندما يجد أن إرادات الشعوب الإسلامية تُزَوَّر وتُلفَّق، حتى تسير الأمور وَفْق هوى شخص بعينه، وتحقيقًا لمصالح إنسان بذاته.

يحزن المرء كثيرًا عندما يشاهد مُكوسًا وضرائب، وجبايات وفروضًا تثقل كاهل المساكين، وتشقُّ على عامَّة المواطنين.

يحزن المرء كثيرًا عندما يرى في بلاد المسلمين أطفالاً لا مأوى لهم، فيما عُرف بظاهرة (أطفال الشوارع)، ويجد نساء وأرامل لا يجدن ما يكفي لسدِّ جوعهن وجوع أولادهن، بينما تُختلس أموال البلاد الإسلامية وتُبدَّد بالملايين والمليارات.

كل هذا وغيره انتهاك لحقوق الإنسان في بلاد المسلمين.

ولهذا فليس مفاجئًا لنا أن نجد أن الغالب الأعم من الدول التي تنتهك حقوق الإنسان في العالم، هي دول إسلامية!

وهذه والله فتنة كبيرة، وبلية عظيمة!

ماذا تقول شعوب العالم الذي يسمونه بالمتحضر عندما يشاهدون هذه الظواهر والكوارث في بلاد المسلمين؟! أليس من المتوقع أن يُرجِعوا ذلك كله إلى الإسلام نفسه؟! أليس طبيعيًّا جدًّا أن يقولوا إن العامل المشترك الذي يجمعهم جميعًا هو الإسلام، فلا شك

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧)، وأحمد (٢١٤٥٨).

إذن أنه دين عنف وإرهاب واضطهاد وقهر وعنصرية وطبقية؟!

إنها والله فتنة!

ولذلك يقول ربنا ﷻ: ﴿رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الممتحنة: ٥]. ونحن نكون فتنة للذين كفروا إذا كان حالنا دافعًا لهم أن يبتعدوا عن هذا الدين وعن أهله.

والحق أن الإسلام بريء تمامًا من هذه التصرفات والمخالفات.. والفرق بين قواعد الشريعة وبين ما يفعله غالب الحكام وأصحاب السلطان، كالفرق تمامًا بين السماء والأرض، أو لعله أبعد!



وما أجمل -ونحن في هذه الأيام المباركة- أن نتعرف على قواعد الإسلام الصحيح من خلال خطبة نبي الإسلام وخاتم المرسلين محمد ﷺ، وذلك يوم عرفة، وهو يخاطب عموم المسلمين المجتمعين معه في هذا الموقف المهيب.

لقد كانت خطبة عرفة ذات طابع مميز مختلف عن بقية خطبه ﷺ، ليس ذلك فقط لأنها كانت خطبة توديعية للأمة، ولكنها في الواقع كانت خطبة الرسول ﷺ لأمته القوية الممكَّنة في الأرض. لقد خاطب رسول الله ﷺ قبل ذلك المستضعفين، وخاطب المحاصَرين والمضطهدين، وحتى في فترة المدينة فإن حياة المسلمين كانت بين شدٍّ وجذب، وقوة وضعف، وعلوٍّ وهبوط، إلا أنه الآن في خطبة عرفة يخاطب أمة قوية لها السيطرة على الجزيرة العربية بكاملها، ولها الكلمة العليا في كل المنطقة، وهو في خطابه لها يعلِّمها ويعلِّم البشرية جميعًا أن القوة إذا كانت في يد مسلم حقيقي، فإنه يسخِّر هذه القوة لحفظ حقوق الإنسان لا لهدرها، ولترسيخ العدل في الأرض لا الظلم، ولتعزيز المبادئ الأخلاقية والحضارية لا الاستبدادية التعسفية.

لقد كان أعظم إعلان لحقوق الإنسان في تاريخ الإنسانية!

إن الرسول الأكرم ﷺ وقف معلنًا في أكثر من موضع حرمة الدماء والأموال، وهما أكثر الأشياء التي يتصارع لأجلها البشر، وهما أهم الأشياء التي يسعى الإنسان للحفاظ عليها، فقال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا»[1].

إنه يحرم تمامًا أن يتعرض أحدٌ لدم أحدٍ أو ماله بغير وجه حق، بل إنه يعلن في موضع آخر أن هذا ليس فقط في الأموال الكثيرة، وليس فقط في الظلم المُعلَن الواضح، ولكن في أي صورة من صور التحايل، فيقول في روعة بالغة: «لاَ يَحِلُّ لِامْرِئٍ مِنْ أَخِيهِ إِلاَّ مَا أَعْطَاهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ، فَلاَ تَظْلِمُنَّ أَنْفُسَكُمْ»[2].



ثم هو يمنع أن يُؤخذ أحدٌ بجريرة إنسان آخر، فقال: «دِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ»[3]. فليس من المقبول أن يُقتل إنسان لا لشيء إلا لأن أباه أو أخاه أخطأ بقتل آخر، فكل نفس بما كسبت رهينة.

وهو كذلك يمنع الاستغلال الاقتصادي، ويحرِّم تحكُّم الأغنياء في الفقراء، فيقول: «وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا، رِبَا

(١) رواه البخاري (١٦٥٤، ١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩).

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية ٢/ ٦٠٤.

(٣) رواه مسلم (١٢١٨)، وابن ماجه (٣٠٧٤).

الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ»[1]. إن الربا ظلم مبين، وهدر لحقوق الإنسان، ولعلَّ العالم كله الآن شاهد مصيبة الربا وأثرها على الأزمة المالية العالمية، ورسولنا الأكرم يحذِّرنا من هذا الشر المحض، ويمنعنا من استغلال الناس وقهرهم.

ثم لعلنا نلحظ أنه ﷺ لا يتفضل بقيادته ونبوته وحكمه على الناس، ولا يترفع عليهم، ولا يستثني نفسه من حكمٍ ويضعه على غيره، بل إنه يصبح أول المتنازلين عن دماء الجاهلية، وعن ثأر الآباء، وهو كذلك أول المتنازلين عن فوائد الربا التي كان يقبضها عمه العباس ﷺ؛ ليعلن للجميع أن الحاكم لا ينبغي له أن يتسلط على رقاب المحكومين، بل على العكس إنه يضرب من نفسه المثل والقدوة لكل شعبه.

وهو أيضًا في هذا الموقف الجامع يوصي بحفظ حقوق النساء، التي كثيرًا ما تتعرض لهدرٍ عظيم إذا ما نسي الإنسان خُلُقَه، وابتعد عن دينه، فيقول الرسول ﷺ: «**اتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ؛ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ**»[2].

ثم يُسَطِّر قانونًا من أعظم قوانين الإنسانية، وهو قانون المساواة، ونبذ العنصرية والطبقية، وعدم الاعتبار مطلقًا بفروق الجنس والعرق واللون والثروة، فيقول في رقيٍّ ظاهر: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلاَ لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلاَّ بِالتَّقْوَى**»[3].

وأكثر من كل ذلك فإنه لا يمانع أن يصعد عبدٌ حبشي إلى قمة الحكم في الدولة الإسلامية، بل إنه يوصي أصحابه وأمته أن يسمعوا له ويطيعوا، ولا يجعلوا فارق اللون أو الثروة مانعًا لهم أن يتبعوه. يقول رسول الله ﷺ: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ مُجَدَّعٌ**[4]**، مَا أَقَامَ فِيكُمْ كِتَابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**»[5].

---

(١) التخريج السابق نفسه.

(٢) التخريج السابق.

(٣) رواه أحمد (٢٣٥٣٦)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٤) المجدع: مقطوع الأطراف.

(٥) رواه الترمذي (١٧٠٦)، وابن ماجه (٢٨٦١)، وأحمد (١٦٧٠٠)، واللفظ له.

إن هذه القوانين الرائعة، والقواعد السامية أُعلنت منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان، وأُعلنت هكذا كاملة دون نقص، ومحكمة دون ثغرة، وهذا من أبلغ دلائل نبوته ﷺ.

إننا نحتاج أن نفهم ديننا، وأن نعرف قصة حبيبنا ﷺ، وأن نفخر بدستورنا وشرعنا.

ونحتاج أيضًا أن نرفض الظلم بكل صوره، وأن نغضب لإهدار حق إنسان واحد، فضلاً عن إهدار حقوق الشعوب.

ونحتاج فوق هذا أن نحمل رسالة ديننا إلى العالمين؛ ليعلم الجميع أن دين الله حق، وأن شريعته عادلة، وأن سعادة الدنيا والآخرة في تطبيقها واتِّباعها.

نسأله ﷻ أن يرفع الكرب عن المكروبين، وأن يردَّ الحقوق لأصحابها، وأن يُسعِد البشرية جميعًا بدين الإسلام.

كما نسأله سبحانه أن يعز الإسلام والمسلمين!

* * *

(٤٠)

هل للدين أثر على علاقة اليهود بأمريكا؟! [1]

من المؤكد أن هناك تغيرًا جذريًا في نوع العلاقة بين اليهود والنصارى أدى إلى أوضاع مغايرة جدًّا لما كنا نألفه عن العلاقة التقليدية بين الطائفتين! فالتاريخ يخبرنا عن العلاقة شديدة السوء بين اليهود والنصارى منذ قدم الزمن، ولقد استقبل اليهودُ المسيحَ عليه السلام أسوأ استقبال، واتهموا أمَّه العذراء البتول مريم عليها السلام بالفاحشة، وسعوا لدى أمير القدس الروماني لكي يقتل المسيح عليه السلام، بل ويعتقد النصارى أن المسيح عليه السلام قد صُلب وقُتل بالفعل، وإن كنا نحن المسلمين نعتقد اعتقادًا جازمًا أنه لم يُصلب ولم يقتل بل رفعه الله إليه.. قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]. لكن النصارى يعتقدون في الصلب والقتل، وهذا أدى إلى انحراف عقائدي هائل، وكان من نتيجة هذا الانحراف أن حمَّل النصارى اليهودَ هذا الذنب الضخم، ليس فقط لمن عاصر المسيح عليه السلام ولكن لكل يهود الدنيا، حتى صار اليهود يعرفون في التراث المسيحي «بالأمة الملعونة»، وحتى صار النصارى يتوارثون في كل وقتٍ كراهية اليهود. وكلنا يعلم ما طلبه أسقف القدس النصراني من عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند إجراء الصلح مع المسلمين من اشتراط ألاَّ يسكن اليهود مدينة القدس المقدسة بحال من الأحوال.

> وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾

---

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ١١/ ١٢/ ٢٠٠٨م.

هذا كله تاريخ معروف، والكراهية متبادلة بين الطرفين، وقد نقل الله ﷻ هذه الصورة لنا في قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣].

ثم إذا بالأيام تدور، والأحداث تتغير، فنرى اليوم توافقًا عجيبًا بين الطرفين، واستماتة نصرانية في الدفاع عن اليهود، أو إن شئت فقل: الدفاع عن أباطيل اليهود، ونرى زيارات دينية متبادلة، وتأييد كنسيّ لكثير من قضايا اليهود، وخاصة اليهود الذين يعيشون في فلسطين.

فما سرُّ هذا التحوُّل العجيب؟!

إننا لن نفهم هذا التحول إلا بالعودة إلى التاريخ، فنعيد قراءة بعض الأحداث قراءة متأنية، تبصرنا في النهاية بتفسير الأوضاع الجديدة التي نعاصرها الآن.

لقد عاش اليهود كل حياتهم في سلاسل مختلفة من الاضطهاد من الأوربيين؛ فالدولة الرومانية الوثنية اجتاحت القدس سنة ٧٠م، وقامت بمذبحة بشعة في اليهود على يد القائد الروماني الشهير تيتوس، وتكررت المأساة في سنة ١٣٢م على يد القائد الروماني إيليا هدريان.. ثم عندما تنصَّرت الدولة الرومانية سنة ٣٢٤م بعد تنصُّر قيصرها قسطنطين، تحولت أوربا كلها إلى النصرانية، وبدأت سلاسل جديدة من الاضطهاد لليهود، ولكن بتوجُّه أيدلوجي جديد، وهو اضطهاد النصارى للأمة الملعونة التي قتلت المسيح ﷺ في اعتقادهم، واستمر هذا الاضطهاد في معظم فترات التاريخ الأوربي القديم. ولقد كان يعلو أحيانًا ويفتر أحيانًا لكن دائمًا موجود، وكان النصارى في كل ذلك يُسمُّون اليهود بالكفار.

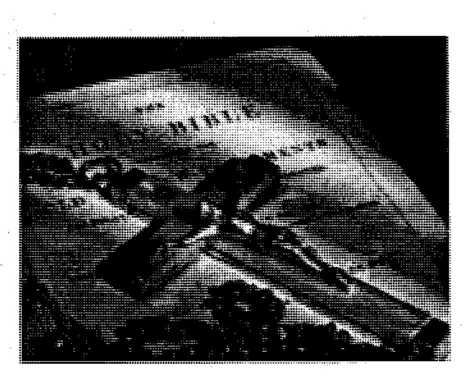
ثم حدث تطور كبير في هذا الاضطهاد سنة ١٢٩٠م، حيث أمر ملك إنجلترا «إدوارد الأول» بطرد كل اليهود (الكفار) من سائر بريطانيا، وزادت حدة الاضطهاد في أوربا، وتفاقمت في سنة ١٣٠٦م عندما أعلن فيليب ملك فرنسا أنه على كل يهود فرنسا أن يختاروا بين ثلاث: إما الخروج النهائي من فرنسا، وإما القتل، وإما التنصُّر! فعندها

انقسم اليهود إلى فريقين، توجه أحدهما إلى الأندلس (إسبانيا) حيث كان المسلمون يحكمون هذه البلاد، وقد اشتهر المسلمون على مر عصورهم بالحرية الدينية، والسماح للأقليات المختلفة بممارسة شعائرهم.



أما الفريق اليهودي الآخر فقد تحول إلى النصرانية ظاهريًّا، كما أمرهم بذلك حاخام اليهود في فرنسا، وظل هذا الفريق الخطير متخفيًا في رداء النصرانية، بل إن منهم من دخل البلاط الكنسي، وترقى في المناصب الدينية النصرانية، وصاروا من أئمة النصارى في فرنسا وأوربا!

ثم قام اليهود في القرن السادس عشر الميلادي بحركة جريئة جدًّا تهدف إلى إحداث تغيير استراتيجي خطير على الساحة الأوربية بل والعالمية، وكانت هذه الحركة تهدف إلى تحريف النصرانية (المحرفة أصلاً) إلى دين جديد يخدم مصالح اليهود، ولكن باسم النصرانية الجديدة. ومن هنا كان ظهور مذهب «البروتستانت»، أي الاحتجاج أو الاعتراض!!



لقد كان القس الألماني «مارتن لوثر» مدفوعًا بقوة من اليهود بالثورة على الكنيسة الكاثوليكية المسيطرة على غرب أوربا، وكانت الشعارات المرفوعة هي شعارات الإصلاح، وقام يناصره عامة القساوسة اليهود الذين سيطروا على أكثر من مكان حساس في الكنائس الأوربية، وأظهر «مارتن لوثر» حبه الجارف لليهود، فألف كتابًا سنة ١٥٢٣م جعل عنوانه «المسيح ولد يهوديًّا»!! ومع أن مارتن لوثر نفسه لم يكن من أصول يهودية

(غالبًا لكي لا يثير الشبهة) إلا أنه كتب كلامًا أكثر تعاطفًا مع اليهود من اليهود أنفسهم!! فقد قال على سبيل المثال: «إن الروح القدس (يقصد الله) شاءت أن تُنزِل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم، إن اليهود هم أبناء الرب، ونحن الضيوف الغرباء، وعلينا نحن النصارى أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل من فتات مائدة أسيادها»[1].

وبهذه الكلمات وأمثالها أثَّر مارتن لوثر في مشاعر الأوربيين تأثيرًا ظل مستمرًّا عدة قرون، بل وإلى زماننا الآن.

غير أن أثر مارتن لوثر لم يقف عند حد تعظيم قدر اليهود وتقديسهم، بل إن الأمر فاق ذلك عندما تدخَّل معه القساوسة اليهود ليزرعوا أفكارًا أخرى جديدة تؤيد أكثر وأكثر من مواقف اليهود، ولعل من أهم هذه الأفكار فكرتين كانتا لهما الأثر المباشر في سياسة الأوربيين بعد ذلك، وخاصة البروتستانت.

أما الفكرة الأولى فهي أن العهد الجديد من الإنجيل قد تعرض لتحريف شديد (وهذا صحيح)؛ ولذلك يجب نبذُه والاعتماد فقط على العهد القديم الذي لم يُحرَّف (وهذا غير صحيح فقد حُرِّف هو الآخر تحريفًا كبيرًا). والعهد القديم هو التوراة! وبذلك أصبح الكتاب المقدس عند البروتستانت (النصارى الجدد) هو التوراة اليهودية!!

وأما الفكرة الثانية فقد زرعوها زرعًا في الديانة الجديدة، وهي أنه لكي يعود المسيح عليه السلام إلى الدنيا لا بد من إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وبغير هذا الوطن لن يعود المسيح. وبذلك أصبح لزامًا على النصارى المحبين للمسيح عليه السلام أن يساعدوا اليهود في إقامة وطن قومي لهم في فلسطين، بل وأصبح ذلك جزءًا من العقيدة لا يمكن التنازل عنه، وأكثر من ذلك أن اليهود أخذوا عند البروتستانت قدسيَّة خاصة، جعلتهم يغضُّون الطرف تمامًا عن أي خطأ لهم أو مخالفة، بل يعتبرون مجرد نقدهم هو نقد للربِّ ذاته!!

---

(١) رضا هلال: المسيح اليهودي ونهاية العالم، ص٦٣.

ولا شك أن الكنيسة الكاثوليكية رفضت هذه المبادئ رفضًا قاطعًا، وهذا الذي رأيناه من مارتن لوثر كان يعتبر ثورة حقيقية على البابا والنظام الكاثوليكي، ومن ثَمَّ فقد دارت حروب مباشرة بين البابا ومارتن لوثر، وانقسمت أوربا نتيجة هذا الصراع إلى طائفتين؛ طائفة مؤيدة للبابا الكاثوليكي، وتزعمت هذه الطائفة فرنسا، وهي أكبر دولة كاثوليكية في العالم، وحليفة البابا على طول الخط، وكان معها أيضًا إسبانيا وإيطاليا. وأما الطائفة الثانية فهي الطائفة التي كانت تعادي البابا قبل ذلك سياسيًّا وعسكريًّا، وعلى رأسها ألمانيا وإنجلترا، وهذه الطائفية تمسكت برأي مارتن لوثر على أساس أنه الاتجاه المعاكس للبابا، بصرف النظر عن كونه مقنعًا أو غير مقنع!

وفي سنة ١٥٣٨م أعلن هنري الثامن ملك إنجلترا الانفصال الرسمي عن كنيسة روما الكاثوليكية، وتبنَّى بوضوح المذهب البروتستانتي، بل وفتح باب إنجلترا من جديد لدخول اليهود بعد أن كان مغلقًا من أيام إدوارد الأول سنة ١٢٩٠م. وهكذا صارت إنجلترا بروتستانتية مؤيدة لليهود بكل قوتها كجزءٍ من دينها.

ومع أن مارتن لوثر قد تبرأ بعد ذلك من مدحه لليهود، وكتب كتابًا عام ١٥٤٤م بعنوان «ما يتعلق باليهود وأكاذيبهم»، إلا أن فكره الأول انتشر في كثير من البلدان الأوربية، وبدأ هذا الفكر يظهر في كتابات وأقوال المفكرين والفلاسفة والعلماء ممن اعتنقوا مذهب البروتستانت؛ فعلى سبيل المثال يقول إسحاق نيوتن العالم الإنجليزي الشهير (١٦٤٢- ١٧٢٧م) في كتابه (ملاحظات حول نبوءات دانيال ورؤيا القديس يوحنا): «إن اليهود سيعودون إلى وطنهم، لا أدري كيف سيتم ذلك؟ ولنترك الزمن يفسِّره». ويصف الفيلسوف الألماني (كانط) اليهود بأنهم: «الفلسطينيون الذين يعيشون بيننا».

تزامنت هذه الأحداث أيضًا مع اكتشاف أمريكا، ومن ثَمَّ فإنه عندما زادت وتيرة الاضطهاد الكاثوليكي للبروتستانت في أوربا، فإن هؤلاء البروتستانت أصحاب الفكر اليهودي اتجهوا إلى البلاد الجديدة (أمريكا)، وبالتالي -ومع مرور الوقت- صارت نسبة البروتستانت أعلى من نسبة الأسبان الكاثوليك الذي قَدِموا قبلهم.

ثم حدث تطور خطير يصبّ في مصالح المذهب البروتستانتي، وهو قيام الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م، التي ثارت على كل التقاليد القديمة في فرنسا، ولم تكتفِ بإزالة الحكم الملكي، بل أزالت كل ما يمتُّ له بصلة. ومن ثَمَّ أعلنت اعتراضها الواضح على المذهب الكاثوليكي، وأنها تتبنَّى المذهب البروتستانتي، مع أنها في الأصل ثورة علمانية لا تؤمن بالدين أصلاً، ولكن حدث هذا كنوع من الاعتراض على كل ما هو قديم! بل إن نابليون بونابرت في سنة ١٧٩٩م عندما غزا فلسطين، أعلن من هناك نداءً إلى كل يهود العالم ليأتوا إلى فلسطين لإقامة وطن قومي لهم، وذلك كجزء من البروتستانتية التي يعتنقها، ولكن محاولته هذه فشلت؛ لأن الدولة العثمانية بالتعاون مع إنجلترا وروسيا أخرجوه من فلسطين. ولكن هذا التحوُّل في منهج الحكم في فرنسا كان ظاهريًّا فقط ومؤقتًا، وظلت فرنسا كاثوليكية في المعظم.

وهكذا ظهرت دعاوى مختلفة بعد ذلك في العالم البروتستانتي تنادي بتقديس اليهود، وإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، ولم تكن أمريكا بعيدة عن هذه المطالب، بل تقدَّم على سبيل المثال «ويليام بلاكستون» -وهو أحد أبرز هؤلاء البروتستانت في أمريكا- يطالب الرئيس الأمريكي بنيامين هاريسون سنة ١٨٩١م بإطلاق حركة العودة اليهودية إلى فلسطين، وقال في طلبه: «طبقًا لتوزيع الرب أرضه على الأمم، تظل فلسطين وطن اليهود، وتظل ملكًا لهم غير قابل للتصرُّف». وهكذا أظهر ما يسمى بالصهيونية المسيحية، وهي دعوة نصرانية لعودة اليهود إلى فلسطين (جبل صهيون).



ولاحظ أن هذه الدعوة لعودة اليهود إلى فلسطين كانت قبل دعوة (هرتزل) نفسه بتأسيس وطن لليهود في فلسطين (كانت دعوة هرتزل في سنة ١٨٩٧م).

وَلْنُعِدِ الآن النظر إلى الأمور بعد هذه الخلفية التاريخية..

إن البروتستانت في أمريكا يشكلون أكبر الطوائف المسيحية (أكثر من ٦٥ ٪ من النصارى بينما الكاثوليك يمثلون ٣٠ ٪ منهم)، وهم كذلك في إنجلترا (البروتستانت ٧٦٪ من النصارى، والكاثوليك ٢٤ ٪ منهم)، بينما تتعادل نسبتهم في ألمانيا مع الكاثوليك، وتبقى فرنسا وإيطاليا وإسبانيا كاثوليكية بأغلبية ساحقة.

ومع ذلك فنتيجة الأوضاع الجديدة في العالم وعلوّ نجم إنجلترا ثم أمريكا، وازدياد التغلغل اليهودي في معظم الأنظمة السياسية والاقتصادية في العالم، اضطر البابا الكاثوليكي في سنة ١٩٦٦م إلى إعلان خطير غير مسبوق في تاريخ الكاثوليكية، وهو تبرئة اليهود من دم المسيح عليه السلام!! وهو وإن لم يكن تأييدًا واضحًا لليهود كما يفعل البروتستانت، إلا أنه تراجع كبير عن عقائد استمرت مئات السنوات. وأنا أعتقد أنها موازنات سياسية وليست عقيدة دينية بالمرة؛ فالكاثوليك ما زالوا يتوجسون من اليهود وتاريخهم.

من كل ما سبق يظهر لنا أن حب الأمريكان والإنجليز لليهود، ودفاعهم عن قضاياهم، وزرع إنجلترا لليهود في داخل فلسطين، واستكمال أمريكا لمسيرة إنجلترا مع اليهود، واتحاد أمريكا وإنجلترا بشكل مستمر، وغير ذلك من إشارات.. كل ذلك يرجع إلى أن عقيدة الشعبين الأمريكي والإنجليزي تُرسِّخ توقير اليهود في القلوب، وتقدِّم إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين على مصالحهم الخاصة، ويرون أن المسيح عليه السلام لن يعود إلى الأرض إلا بعد هذه الخطوة؛ ولذلك فليس هناك أي احتمال يبدو في الأفق أن تتنازل هذه الشعوب عن مساعدة اليهود إلا إذا حدث عندها تغيُّر عقائدي جديد!!

هذا هو الموقف عند الشعوب، فهل يختلف الرؤساء والحكام عن ذلك، أم يسيرون في نفس الاتجاه؟!

هذا موضوع في غاية الأهمية؛ ولذلك سنُفرِد له مقالاً خاصًّا.

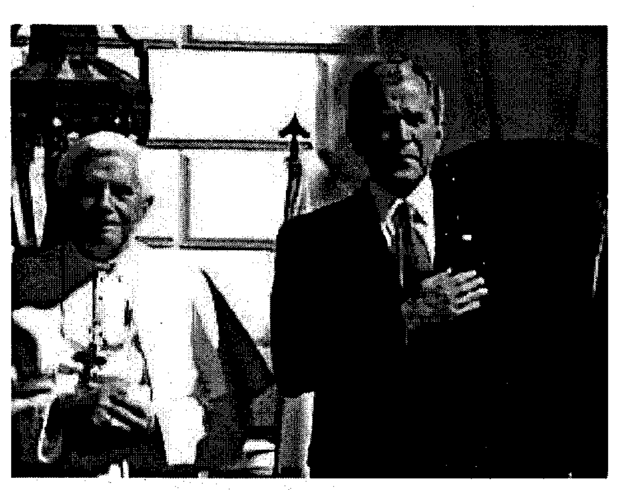
ونسأل الله أن يعز الإسلام والمسلمين!

* * *

(٤١)

أثر الدين على رؤساء أمريكا!! [١]

يظن بعض المسلمين أن الرؤساء الأمريكيين ليست لهم علاقة بالمرة بقضايا الدين، وأن الرئيس لا ينشغل عادةً إلا بالأمور السياسية التي تكفل له البقاء مدة أطول في الكرسي. ولعل هذا الانطباع قد جاء عند هؤلاء المسلمين نتيجة ما يرونه عادة من سلوك معظم الرؤساء المسلمين؛ حيث إن الغالب الأعم منهم لا يُظهِر تديُّنًا بشكل من الأشكال، بل على العكس فإن المعظم منهم يعتبر المتدينين منافسين له في الحكم، وبالتالي فليس مستغربًا أبدًا أن تجد الحرب المعلنة بين الحكام في المنطقة الإسلامية وبين من يرفع لواء الدين!



لكن الأمر في أمريكا ليس كذلك!

لقد تحدثنا في مقال سابق عن أهمية الدين في حياة الشعب الأمريكي، وخاصة المذهب البروتستانتي، وأن نشأة أمريكا الحديثة كانت نتيجة هروب المتدينين البروتستانت من أوربا إلى الأرض الجديدة أمريكا؛ وهذا أدى إلى وجود روح عامة من التديُّن في هذه الدولة منذ نشأتها.. وهذه الروح -ولا شك- تتعرض لفترات نشاط، وكذلك تتعرض لفترات كسل وفتور.

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ١٨/ ١٢/ ٢٠٠٨م.

والمُراجِع لتاريخ أمريكا الحديث يجد أن هناك صحوة دينية بروتستانتية مع بداية الخمسينيات من القرن العشرين، وهذه الصحوة كان لها أثر مباشر على الرؤساء الأمريكيين، كما كان لها أثر مباشر على الشعب الأمريكي كذلك.

لقد شملت هذه الصحوة أرجاء أمريكا، وصار نتيجتها الرئيس الأمريكي أحد رجلين: إما رئيس متدين ينطلق في قراراته من الأصول الدينية المسيحية، وإما رئيس علماني، ولكن يضطر إلى احترام المتدينين جدًّا؛ ليظل محافظًا على منصبه دون اضطراب.



ولا يخفى علينا أن هذه الصحوة بروتستانتية في الأساس، وهذه المذهبية قضية محورية عند الشعب الأمريكي. ويكفي أن نعرف أن جميع رؤساء أمريكا في القرن العشرين كله كانوا من البروتستانت، باستثناء زعيم واحد فقط كان كاثوليكيًّا وهو جون كيندي، الذي قُتل -كما يقولون- في ظروف غامضة!!

فالشعب الأمريكي لا ينتخب كاثوليكيًّا إلا في أحيانٍ نادرة جدًّا، وحتى في هذه الأحيان فإن هذا الكاثوليكي لا يُكتب له الاستمرار في حكم أمريكا!

وكما يعلم الجميع فإن التنافس على كرسيِّ الرئاسة في أمريكا يكون في الأساس بين الحزبين (الديمقراطي) المشهور بالتحرر والليبرالية إلى حدٍّ كبير، و(الحزب الجمهوري) المشهور بالتحفظ والتدين بشكل عام. ولقد وجد الحزب الجمهوري في هذه الصحوة الدينية فرصة كبيرة لتدعيم مركزه ضد الحزب الديمقراطي؛ ولذلك عقد الحزب الجمهوري تحالفًا واضحًا مع قادة اليمين المسيحي المتشدد (كلهم من البروتستانت)؛ لكي يضمن تشجيعهم له في انتخابات الرئاسة، وكذلك في انتخابات مجلس الشيوخ والمحليات وغير ذلك.

وأثمر هذا التحالف القوي عن فوز الحزب الديمقراطي بالمركز الرئاسي في تسع مرات من أصل خمس عشرة مرة منذ بداية الخمسينيات وحتى الآن (٦٠ ٪)، مع سيطرة

شبه مستمرة على مجلس الشيوخ والكونجرس، وهذا دعا إلى بروز الخطاب الديني في كلمات الرؤساء الأمريكيين، حتى العلمانيون منهم؛ لعدم قدرتهم على مواجهة التيار الأصولي المتنامي في القوة.



وفي السبعينيات زادت الحركة الدينية نشاطًا في أمريكا، وظهر ما يُعرف بالكنائس التليفزيونية، التي نشرت فكرًا دينيًّا عند عموم الشعب الأمريكي، كما ازدادت الطوائف الأصولية قوة، وذلك مثل الطائفة المعمدانية (Babtist)، والطائفة المنهجية (Methodist)، بل نما جدًّا تيار «المسيحيين المولودين من جديد» (Born Again Christians)، وهو أكثر التيارات المسيحية اعتقادًا في مسألة قدسية اليهود وعصمتهم، بل وصل إلى كرسيِّ الحكم في أمريكا سنة ١٩٧٦م لأول مرة في تاريخها، رئيسٌ متدين ينتمي إلى هذا التيار الأصولي، وهو الرئيس جيمي كارتر، الذي أعلن صراحةً في خطاب له أمام الكنيست سنة ١٩٧٩م أن العلاقة بين أمريكا وإسرائيل هي علاقة دينية في الأساس، وكان مما قاله: «إن علاقة أمريكا بإسرائيل أكثر من علاقة خاصة، لقد كانت ولا تزال علاقة فريدة، وهي علاقة لا يمكن تقويضها؛ لأنها متأصِّلة في وجدان وأخلاق وديانة ومعتقدات الشعب الأمريكي».

ثم حدث تطور أكبر عندما ظهر على الساحة السياسية في أمريكا المرشح الجديد للرئاسة (رونالد ريجان)، وقد أعلن بوضوح في سنة ١٩٨٠م بعد مؤتمر ترشيحه للرئاسة أنه سيؤيد تمامًا الأجندة الأخلاقية لليمين المسيحي، وكان من نتيجة ذلك أن قامت منظمة «الأغلبية الأخلاقية» -وهي منظمة مسيحية متشددة، أسسها القس الأمريكي (جيري فالويل) سنة ١٩٧٩م- بحشد ثلاثة ملايين ناخب أمريكي لترجيح كفة رونالد ريجان في

الانتخابات، كما قام رونالد ريجان بزيارة المنظمة اليهودية «بناي برث» في واشنطن، وذلك أثناء حملته الانتخابية، وخطب هناك قائلاً:



«إن إسرائيل ليست أمة فقط، بل هي رمز؛ ففي دفاعنا عن حق إسرائيل في الوجود، إنما ندافع عن ذات القيم التي بُنيت على أساسها أمتنا».

ونجح ريجان في الانتخابات! بل ونجح مرة ثانية، ليستمر في الحكم ثماني سنوات من ١٩٨١ إلى ١٩٨٩م، وكان في كل هذه السنوات -كما يقول الكاتب الأمريكي جيمس ميلز- ينطلق في سياسته من إيمانه بتنبؤات الكتاب المقدس، وخاصة سِفر حزقيال، وما جاء فيه من أن الرب سيأخذ أولاد إسرائيل إلى الأرض الموعودة. وكان ريجان كثيرًا ما يصرح بإيمانه بموقعة هرمجدون، ولقاء المسيحيين مع الكفار، والمجيء الثاني للمسيح، ولقد قال في يوم من الأيام لمدير اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشئون العامة (إيباك)، وهو يهودي بالطبع: «عندما أعود بالذاكرة لأنبيائكم الأقدمين في التوراة، والعلامات التي تتنبأ بالمعركة الفاصلة هرمجدون، أجدني أتساءل: إذا كنا نحن الجيل الذي سيشهد وقوعها».



وسار على نفس الطريق جورج بوش الأب، بل إنه قدَّم أجلَّ الخدمات للكيان

الصهيوني، وللتيار المسيحي المتشدد، وذلك بالتواجد العسكري الدائم في منطقة الشرق الأوسط؛ ليصبح حُلم هرمجدون قريب الحدوث، ولتتحرك العواطف بشكل أكبر من دولة اليهود.

ثم هدأت لغة الخطاب الديني إلى حد كبير في عهد الرئيس الديمقراطي بيل كلينتون (١٩٩٣- ٢٠٠١م)، إلا أنها عادت، وبقوة أشد من كل الفترات السابقة، عندما اعتلى عرش أمريكا الرئيس الأمريكي المتشدد جدًّا جورج بوش الابن! ولم يكن تشدُّده واضحًا فقط في شخصه، بل وفي كل حكومته؛ فقد كانت أصولية من الدرجة الأولى، وهو الذي لم يتردد في أن يعلن أن اليهود هم الشعب الوحيد الذي اختاره الله، وكان يرى أن الضفة الغربية وقطاع غزة منحة ربانية لليهود لا يجوز التنازل عنها! ولم يكن يبدأ يومه -كما أعلن بنفسه- إلا بقراءة صفحات من الكتاب المقدس. بل إنه لم يتردد أن يُعلن -كما سمع الجميع- أن حربه ضد المسلمين هي حرب صليبية! وأنا لا أعتبرها سقطة ينبغي الاعتذار عنها، ولكنها صراحة شديدة، وأمانة في نقل الأفكار والمشاعر!!



ومع أن باراك أوباما ديمقراطي ليبرالي إلا أنه لا يستطيع أن يخرج عن المسار، ومع أن جذوره مسلمة إلا أنه يُعلن أنه بروتستانتي يؤمن بكل معتقدات البروتستانت، ولن يعمل ضدها أبدًا؛ إما رغبًا وإما رهبًا!!

وإن الأمور في غاية الوضوح، والدين يُعتبر من أهم المحرِّكات للإنسان، بل هو أهمها في كثير من الأحيان، والرؤساء الأمريكيون لا يخفون ذلك ولا يخشونه، بل يعلنونه ويفتخرون به؛ لأنهم

يعلمون أثر الدين في تحريك الشعوب.

ألاَ يأتي علينا يومٌ نرى فيه زعماء المسلمين يبدءون يومهم بقراءة صفحات من القرآن الكريم، ويخطبون وُدَّ المتمسكين بالإسلام، ويتحدثون عن نبوءات القرآن والسُّنة، ويدافعون عن عقيدة عظيمة سليمة غير محرَّفة هي عقيدة الإسلام؟!

لقد حدث هذا في أمريكا، أفلا يحدث في بلاد المسلمين؟!

إن القارئ قد يجد السؤال هزليًّا، وأن الإجابة سلبية لا محالة، ولكنني أبشِّر كل القارئين أن الله ﷻ غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون!!

ونسأل الله أن يعز الإسلام والمسلمين!

***



الفهرس



***